سلسلة تصحيح المفاهيم الخاطئة

آيات مظلومة

بين جهل المسلمين
وحقد المستشرقين

تأليف

د . عمر بن عبدالعزيز قريشي

مكتبة الأديب
الرياض
ت / ٠٥٢٧٧٢٣٥٣

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/١٥٦٩٣

الطبعة الأولى

بالمملكة العربية السعودية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة الأديب

الريـــاض

ت / ٤٦٠٤٧٣٠ هاتف ، جوال ٠٥٢٧٧٢٣٥٣

مصـــر - المنصـــورة

٠١٠١٥٤٤٠٤١

➢ مقدمة فضيلة / الشيخ عائض القرني ➣

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فقد طالعت كتاب(**آيات مظلومة بين جهل المسلمين وحقد المستشرقين**) للدكتور عمر بن عبد العزيز قرِيشي فحاز إعجابي واستوجب شكري وشكر كل طالب علم ، محب للخير ، باحث عن الحق ؛ لما فيه من حُسن عرض ، وجودة استنباط ، وسلامة منهج ، مع معرفة بمقاصد الشرع وأسرار الملة ، واحترام للنص ، واحتفاء بالدليل ، وتعظيم للشارع الحكيم ، في زمن اختلت فيه المفاهيم ، واضطربت فيه الأفكار ، وماجت فيه القيم ، وابتعد الجيل عن المنبع الصافي ، والمورد العذب الزلال ؛ وهو الوحي المقدس ، والميثاق الرباني ، وإن هذا الكتاب عندي مرشح ليكون **وثيقة دراسة للجيل** ، **وكتاب علم وثقافة للأمة** .

وأقول كما قال أبو الطيب المتنبي :

قطف الرجال القول وقت نباته وقطفت أنت القول لما نورا

جزى الله المؤلف خيرًا ، وأحسن عاقبته ، ورفع درجته .

بقلم / عائض القرني

١٤٢٣/١/١٧هـ

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مقدمة الكتاب﴾

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . إنه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ .

أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، فكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد .. فهذا كتابنا الجديد ، نتناول فيه قضية ذات بال ، ألا وهى قضية تصحيح المفاهيم الخاطئة في حياة المسلمين ، ذلك أنه كثرت تلك المفاهيم الخاطئة ، خاصة في هذا الزمان ، وهذه المفاهيم منها ما يرتبط بالقرآن أو السنة أو الأصول والمبادئ .

وهذه المفاهيم منها ما يردده المسلمون ، أو ما يردده المستشرقون أو المستغربون.

وخطورة هذه المفاهيم الخاطئة في حياة المسلمين أنها جهلتهم بمعالم دينهم وجهلتهم بطبيعة هذا الدين ، فتفرقت الأمة شيعا وأحزابا .

ويكفي في خطورة المفاهيم الخاطئة أن تتفرق الأمة ، إذ معناه لن تقوم للإسلام قائمة ، ومعناه أيضاً أن يفعل الأعداء ما يشاءون بالأمة ، لأن ضعف الأمة الإسلامية

قوة لأعدائها، وتفرق هذه الأمة هو أعظم سلاح علينا نعطيه ونهديه لأعدائنا . ومعلوم أنه ما انتصر الأعداء على المسلمين في يوم ما ، إلاّ وللفرقة دور رئيس في ذلك واسألوا التاريخ .

ومعلوم أن سياسة أعداء الإسلام — خاصة أشد الناس عداوة للذين آمنوا — هي " فَرِّق تَسُد " ، إذاً خطورة المفاهيم الخاطئة — التي نريد أن نتحدث عنها — أنها أورثت الأمة ضعفاً وانقساماً وفرقة وهزيمة .

وإذا استطعنا أن نصحح تلك المفاهيم ، وأن نجمع الأمة الإسلامية عليها ، لاسيما إذا خلت النفوس من أغراضها ، والقلوب من أمراضها ، فإن هذه الأمة ستتحد — بإذن الله تعالى — وإذا اتحدت فقد أخذت طريقها إلى النصر .

ولكن طالما أن الأمة متفرقة فإنه لا سبيل إلى نصرها ، وذلك أن الفرقة والتنازع يورثان الفشل والهزيمة ، قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾. [الأنفال:٤٦] .

والمفاهيم الخاطئة — من وجهة نظري على الأقل — لها أكبر الأثر السيئ في حياة المسلمين ، ولها أكبر الدور في فرقة المسلمين ، ومن أخطر الأسباب في إضلال كثير من المسلمين .

ونحن إذ ننشد صحوة إسلامية راشدة ، وننشد وحدة إسلامية صحيحة ، منضبطة بضوابط الشرع الحنيف .

فلنا مع هذه المفاهيم الخاطئة وقفات ووقفات إن شاء الله تعالى ، نضع لبنة على طريق البناء الصحيح ، نوضح المعالم ونصحح الأخطاء ، ونقوم المعوج ، ونضع الأمور في نصابها ونزنها بالميزان الصحيح ، إن شاء الله تعالى .

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ، وأن يتقبل منا صالح العمل ، وأن يجنبنا الزلل ، في القول أو العمل ، وأن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

كاتبه

د. عمر بن عبدالعزيز قريشي

<مقدمة الطبعة الثانية>

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،، أما بعد ..

فهذه الطبعة الثانية من كتابنا " آيات مظلومة بين جهل المســلمين وحقــد المستشرقين " تخرج في ثوبها الجديد ، وقد جمعت بين دفتيها الجزئين في مجلد واحــد ، وقد كانت هذه الطبعة بعد إقبال الناس على الطبعة الأولى ، ونفاذهــا مــن الســوق وسؤال الناس عنها لما فيها من فوائد جمة ، ومنافع مهمة .

فرأيت – بتوفيق الله تعالى – إعادة طباعتها من جديد ، منقحة ومصححة، فلعــل الله ينفع بها كل من يقرأها ويطلع عليها ، ونرجو منهم دعوة صالحة مع النصــيحة إذا وقع في الكتاب أخطاء مطبعية أو علمية ، .

وجزاكم الله خيرًا ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كاتبه

عمر بن عبدالعزيز

❁❁❁

آيات مظلومة

ماذا نعني بالآيات المظلومة ؟

أي أنها التي ظُلمت – من قِبل المسلمين أو غير المسلمين ، من المستشرقين والمستغربين – فغُير معناها ، ووُضعت في غير موضعها . أو فُسرت على غير وجهها ، أو تنـــزلت من عليائها لتوضع في الحضيض ، أو تُمرغ في التراب ، فهذا ظلم شنيع لكتاب الله جل وعلا .

وهذا النوع تحريف للكلم عن مواضعه ، وإن لم يكن تحريفاً للفظه ، لأن الله قد حفظه بنفسه ، فهو تحريف لمعناه بما يخالف منهج الله ، ويغير معالم الدين .

فهي آيات مظلومة ومقلوبة ، مع أن القرآن حق كله ، ولكن كم من حق أُريد به باطل ، فهذا الذي نعنيه بالآيات المظلومة ، (الآيات حق) لكن أُريد بها باطل .

فهذا قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ . يفهم بمعنى تحريم الجهاد والاستشهاد .

وهذا قوله سبحانه : ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ يراد به الخروج عن الدين ، وترك طاعة رب العالمين .

وهذا قوله عز من قائل : ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ** ﴾ يفسر على أنه تلك الحركات البهلوانية الرعناء.

وهذا قول ربنا جل في علاه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم**

مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ يفسر بالأنانية وترك الدعوة .

وهذا كلام الله يقول : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ فيفهم على أنه منــزلة إذا وصل عندها العبد سقط عنه التكليف .

وهذا قول ربنا : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ﴾ أُتخذ مطية لبناء المساجد على القبور ، وعبادة أصحابها من دون الله العزيز الغفور ، وهذا ... ، وهذا .. ، كثير ، بل كثير جداً .

على نحو ما سترى من ظلم بيِّن للآيات، وتحريف لكلام فاطر الأرض والسماوات ، وانحراف عن المنهج ، بل خروج عن الدين باسم الآيات البينات.

والآن مع نماذج من الآيات المظلومة ، مرتبة بترتيب سور القرآن ، بدءاً بسورة البقرة وآل عمران ... الخ .

❁❁❁

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة البقرة

تصحيح المفاهيم الخاطئة في " سورة البقرة "

وقد اشتملت تلك السورة على بعض الآيات التي أساء الناس فهمها ، واخطأوا في تفسيرها ، أو حشوها بالإسرائيليات ، أو استشهدوا بها في غير محلها، ومن ذلك ، حسب ترتيب الآيات :

" ما الحكمة من سؤال الملائكة "

(١) قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] .

فزعموا أن ذلك من قبيل الاعتراض على الله – ونسوا أن الاعتراض على الله ليس مجرد معصية فقط وإنما ذلك هو الكفر البواح الذي وقع فيه إبليس – عليه لعنة الله – كما زعموا أن قولهم هذا فيه سب لآدم وذريته ، ومدح وتزكية لنفوسهم ، واعتراض على حكم ربهم !!.

ونبادر فنقول : إن زعمهم هذا من نسج الخيال ، وشبهتهم هذه تدل على الجهل والخبال ، فإن عصمة الملائكة ثابتة بالقرآن والسنة ، وعليه إجماع الأمة.

فالله عز وجل خلق الملائكة ، وجبلهم على طاعته ، وعصمهم من معصيته ، فهم كما وصفهم بقوله : ﴿ **لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [سورة التحريم : ٦] ، وقال : ﴿ **وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ** ﴾ ، وكما قال عنهم : ﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ** ﴾ [سورة الأنبياء : ١٩ ، ٢٠] ، وقال عنهم : ﴿ **عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦)لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ**

وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦ ، ٢٨] ، وقال عنهم ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥٠] ومن كان هذا حالهم ، وتلك صفاتهم ، فإنهم لا يعصون ربهم ، فكيف يعترضون على حكم خالقهم وينفون حكمة ربهم ؟ ويتطاولون أمام الله بتزكية نفوسهم ؟ كلا وألف كلا .

ولعل الحكمة من إخبار الله عز وجل للملائكة عن هذا المخلوق وذريته ما سيكون بينه وبينهم من صلة فقد أُمروا - بعد خلقه - بتكريمه وتعظيمه بالسجود له، امتحانًا لطاعتهم .

وقدَّر الله سبحانه أن يكون منهم الحفظة والكتبة ، وملائكة الوحي ، والمطر والنبات ، والعذاب والموت ... وكلها متعلقة بحياة البشر ومقاديرهم ومصائرهم . هذا .. ولم يكن جواب الملائكة على هذا الإخبار الإلهي بخلق آدم من قبيل الاعتراض مطلقا ، وقد علمت أن الاعتراض على الله ليس مجرد معصية فقط – كما زعموا – وإنما هو الكفر البواح الذي وقع فيه إبليس عليه لعنة الله.

وإنما كانت حكمة هذا الخلق الجديد خافية عليهم فأرادوا معرفتها ، لماذا يخلق الله خلقا غيرهم ؟ وهل بدر منهم تقصير أو قصور في مهمتهم ، لذلك أراد الله أن يخلق غيرهم ؟.

فكان سؤالهم واستفسارهم .

وكونهم وصفوا الإنسان بالفساد في الأرض وسفك الدماء قبل أن يوجد ،

لأن الله بذلك أعلمهم .

ولأنهم أدركوا أنه مادام هذا المخلوق سيكون من طين ويعيش في الأرض فلابد أن تكون له طبيعة قابلة للخير والشر ، وحينئذ لابد أن يقع التنازع والصراع بين ذريته ، فيحصل الفساد وتسفك الدماء .

ولكن حين أدرك الملائكة خصائص هذا المخلوق وعرفوا ما زوده الله به من الاستعداد للمعرفة والتزود من العلم . سجدوا سجود تحية وتكريم امتثالا لأمر الحق تبارك وتعالى .

❁❁❁

هل كان إبليس من الملائكة؟

(٢) ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : ٣٤] .

وحتى هذه الآية الكريمة الأخرى جعلوا منها شبهة ثانية في عدم عصمة الملائكة، لأن إبليس – وهو من الملائكة !! ، كما زعموا – لم يمتثل لأمر الله ، واعترض على حكمه ، وقاس بعقله الفاسد بينه وبين آدم ، وقال : ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾ [سورة ص : ٧٦] فاستحق بذلك الغواية والطرد من رحمة الله ومن جنته ، كما حكته الآيات في غير موضع في القرآن الكريم .

فنقول – وبالله التوفيق : إن من زعم أن إبليس كان من الملائكة فقد أبعد النــزع ، وأخطأ الفهم ، وضل الطريق ، وذلك لأن الله عز وجل فصل في القضية – ولا يجوز التقديم بين يديَّ الله ورسوله – وذلك بآية كريمة في سورة الكهف، فقال : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] .

فهل بعد هذا الحق الناصع ، والوضوح القاطع ، يقول أحد بان إبليس من الملائكة ؟! أو يردد تلك الإسرائيليات بأن إبليس كان طاووس الملائكة ، وأعلم الملائكة ، وأعبد الملائكة ، ونحو ذلك ، كيف ؟ وقد اختلف عنهم خلقاً وخُلقاً، وبداية ونهاية ، وحياة ومصيرًا . !

أي وجه للشبه بين إبليس والملائكة ؟ وهم مخلوقون من نور ، وقد خلق من نار ، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهو قد فسق عن أمر ربه ، واعترض على حكم خالقه ، وهم لا يتزوجون ولا يتناسلون ، وهو له أزواج وذرية على شاكلته أعداء لله رب العالمين ، وهم الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، وهو الذي أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وهم الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو الذي لا يفتر ولا يتوانى في إضلال خلق الله بعد ما أقسم بعزة الله على إغواء الخلق أجمعين ، إلاَّ من لا يستطيع الوصول إليه من المخلصين ، وهو الذي لا يدع وسيلة ولا باباً إلى إغوائهم إلاَّ سلكه إليهم ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)** ﴾ [سورة الأعراف : ١٦ ، ١٧] .

فكل هذه فروق بين الملائكة وإبليس ، تحول أن يكون إبليس من الملائكة طرفة عين ، فضلا عما حكم الله عز وجل به عليه من مصير .

﴿ **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [سورة الأعراف : ١٨] .

لكن يبقى هنا استفسار : ما وجه الحكمة في استثناء إبليس من السجود مع أن الأمر به للملائكة ؟

نقول – وبالله التوفيق : **أولاً** : هذا الاستثناء منقطع ، كما يقول أهل اللغة، يقال : جاء القوم إلا حماراً ، وأكلت التفاح إلا برتقالة .

وهنا يقال سجد الملائكة إلا إبليس .

وكذلك يقال : صدر الأمر للملائكة بالسجود لآدم وإبليس كان معهم ولم يكن منهم ، كما علمت ، فبحكم معيتة للملائكة ، وهو فرد بين أمم الملائكة كان عليه أن يسجد ، ولكنه أبى لأنه خانه أصله الناري وطبعه الفاسد ، إذ قاس وقارن ، فضل وهلك ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .



"كيف كانت وسوسة إبليس لآدم" ؟

(٣) قال تعالى : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦)** ﴾ [سورة البقرة : ٣٥ ، ٣٦] .

- والفهم الخاطئ يتمثل في إسرائيليات ذكرت في قصة آدم عليه السلام متمثلة في تفسير الشجرة ، هل هي التين أم العنب أم الحنطة ، أم ماذا ؟ وتتمثل في تفسير وسوسة إبليس لآدم ، بأنه لم يستطع وسوسته إلا بعد أن دخل في فم الحية ، وقد كانت الحية ذات قوائم أربع ، كالإبل الخرسانية !!

ولما دخل إبليس الجنة بهذه الحيلة استطاع أن يغري حواء ، والتي أغوت بدورها آدم !! فأكلا فتعريا ، فاختبأ آدم داخل شجرة ، حتى قال الرب : أين أنت يا آدم ؟ !!

فقال : أستحي منك يا رب لأني عريان ، فقال له : لعلك أكلت من الشجرة التي نهيت عنها ؟ !! فغضب الرب على الحية التي أدخلت إبليس ، أو دخل إبليس في فمها ، وقال لها : ملعونة أنت ، من الآن قوائمك في بطنك ، تزحفين على الأرض ، ورزقك من التراب ، والعداء بينك وبين بنى آدم إلى الأبد .

ثم نظر إلى حواء فقال لها : ملعونة أنت ، أغريت عبدي آدم بالأكل من الشجرة التي نُهيَّ عنها ، من الآن تحملين كرها ، ولا تضعين حتى ترين الموت مرات ... !!

والحق يقال : أن هذا كله من جنس الإسرائيليات ، وأصله في التوراة المحرفة، فليس في القرآن ما يدل على أن حواء أغرت آدم ، و لم ينسب إليها الاتهام ، بل قال : ﴿ **فأكلا منْهَا** ... ﴾ كلاهما معا ، وليس شرطاً في وسوسة إبليس لآدم وحواء أن يدخل الجنة في فم الحية أو غيرها ، لأن الوسوسة لا يشترط فيها التقارب والتجانس . بل يمكن أن تتم الوسوسة من بُعد ، كما تتم عن قرب .

وهذه الحية هي على ما هي عليه منذ أن خلقها الله ، ما كان لها قوائم ولا أرجل ولا أنها صارت داخل بطنها ، بل هي كما قال الله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ** .. ﴾ [سورة النور : ٤٥] .

فهذا كله من جنس الإسرائيليات التي ملئت بها كتب التفسير التي يجب أن يحذرها المسلم .

❁❁❁

"ما هي الكلمات التي تلقاها آدم"

(٤) قال تعالى : ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [سورة البقرة : ٣٧] .

والفهم الخاطئ في هذه الآية هو مجموعة من الإسرائيليات والموضوعات في تفسير هذه الآية ، انبنت عليه أحكام خاطئة توقع الناس في ألوان من الكفر ، وصور من الشرك !!.

ومن ذلك أنهم أوردوا أن آدم لمَّا عصى وأكل من الشجرة ، نظر إلى قوائم العرش ، فرأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم بجوار اسم الله ، أو رأى مكتوبًا " لا إله إلا الله محمد رسول الله " فنادى آدم : يا رب بحق محمد إلاَّ غفرت لي ، فناداه الله : ومن أدراك بمحمد ؟ أو يا آدم : كيف عرفت محمداً و لم أخلقه ؟ قال : يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا " لا إله إلا الله محمد رسول الله " فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلاَّ أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إليَّ، أُدعني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك " وقد أوردوه بأكثر من رواية ، وهو حديث موضوع بإجماع أهل العلم ، ولا عبرة بقول من حاول تصحيحه ... وهو يكذبه القرآن ، لأن الله تعالى قال : ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** ﴾.

فالكلمات تعلمها آدم وتلقاها من ربه ، ولم يخترعها هو من عنده ، ولا اجتهد فيها من تلقاء نفسه ، وهذه الكلمات لم تكن " بحق محمد إلا غفرت لي

ولا بحق الابن اغفر للأب ، ولا بغيرها مما زعموه ، وإنما هي التي قالها الله تعالى:
﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾
[سورة الأعراف : ٢٣] .

وهذا هو الذي قاله أهل العلم ، وأجمع عليه المحققون من أهل التفسير ، وكما قيل : خير ما يفسر به القرآن هو القرآن ، فآدم تلقى الكلمات من ربه ، وقد وضحها ربنا فلا مجال للادعاء أو الاجتهاد .

ثم الذي انبنى على زعمهم هذا من لغط ووقوع في الشرك ، وما جاءوا به وقالوه ﴿ ... **شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠)** ﴾ [سورة مريم : ٨٩ ، ٩٠] .

فراح الناس يدعون بحق محمد ، وباسم محمد ، وبجاه محمد ، بل وغيره من الأنبياء والأولياء متناسين حق الله تعالى ، وميثاقه ، وتوحيده !! .

❁❁❁

" من هما هاروت وماروت " ؟

(٥) قال الله تعالى :حكاية عن بني إسرائيل ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)** ﴾ [سورة البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] .

فقد زعموا عدم عصمة الملائكة ، مستدلين في ذلك بقصة " هاروت وماروت " كما ذُكرت في الإسرائيليات ، وبعض الروايات ، والأكاذيب والخرافات عما لا يستحق ذكره .

والحق يقال أنه قد أورد كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة روايات كثيرة وقصص عجيبة كلها من خرافات بنى إسرائيل ، وأكاذيبهم التي لا يشهد لها عقل ولا نقل ، ولا شيء من شرع أو قول فصل ، ولم يقف بعض رواة القصص الخرافي الباطل عند روايته عن بعض الصحابة والتابعين ، ولكنهم أوغلوا في باب الإثم والتجني الفاضح فألصقوا هذا الزور إلى النبي ﷺ ورفعوه إليه ، سبحانك ربى هذا بهتان عظيم . هذا .. وقد حكم بوضع هذه القصة علماء كثيرون منهم الإمام أبو الفرج بن الجوزي ، وابن كثير ، والقاضي عياض، وغيرهم ، ونص الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما فهو كافر بالله العظيم .

وقال الإمام القاضي عياض في " الشفا " : وما ذكر أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت ، لم يرد فيه شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس هو شيئاً يؤخذ بالقياس[١] .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير : المرفوع من هذه القصة موضوع وأما ما ليس مرفوعا فمنشأه روايات إسرائيلية ، أخذت عن كعب وغيره ألحقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام [٢] .

وكذا ردها المحققون من المفسرين الذين مهروا في معرفة أصول الدين وأبت عقولهم أن تقبل هذه الخرافات كالإمام الرازي وأبي حيان وأبي السعود والألوسي وغيرهم .

ثم هي من ناحية العقل غير مسلّمة ، فالملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر التي لا تصدر حتى من عربيد – إذ أوردوا أنهما وقعا في الزنا ، وما زنيا إلا بعد سجودهما للصنم كشرط لتحقيق ذلك ، بخلاف السحر وقد أخبر الله عنهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فكيف بالشرك والزنا، والسحر ، وما أوردوه من روايات . ذكرها بعض المفسرين بطولها ، رداً لكلام الله .

ففي رواية : أن الله قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني ، فقالا : لو فعلت بنا يا رب ما عصيناك !! ورد كلام الله كفر ، ننـــزه عنه من

(١) عالم الملائكة ص ٣٠ بتصرف .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤١ .

له علم بالله وصفاته ، فضلا عن الملائكة .

ثم كيف تُرفع الفاجرة المشركة الزانية إلى السماء وتصير كوكبا مضيئا باسمها " الزهرة " ؟ وما النجم الذي يزعمون أنه " الزهرة " وزعموا أنه كان امرأة ، فمسخت !! إلاَّ في مكانه من يوم أن خلق الله السماوات والأرض ؟

فهذه الخرافات التي لا يشهد بها نقل صحيح ولا عقل سليم ، هي كذلك مخالفة لما صار عند العلماء المحدثين أمراً يقيناً ، ولست أدرى ما الداعي لكل هذه الأكاذيب – فنجد بضع صفحات في كتب التفسير – عن هذه الآية – من هذا الهراء ، وتلك السموم .

والآية الكريمة نفت كل ما زعموه من أصله ، في قوله تعالى :

﴿ .. وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ .

قال بعض المفسرين : " ما " نافية وليست موصولة ، يعنى : لم يُنــزل الله علم السحر على الملكين ، قاله ابن كثير ورجحه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لم ينــزل الله السحر ، وعن الربيع بن أنس قال :ما أنزل الله عليهما السحر .

قال ابن جرير : فتأويل الآية على هذا : واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت . فيكون قوله : " ببابل هاروت وماروت " من المؤخر الذي معناه المقدم ، قال : فإن قال

لنا قائل : كيف وجه تقديم ذلك ؟ قيل : وجه تقديمه أن يقال : ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ** ﴾ .

فيكون معنيا بالملكين : جبريل وميكائيل عليهما السلام ، لأن سحرة اليهود - فيما ذُكرت - كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهم الله بذلك ، وأخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينـــزلا بسحر ، وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر ، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين ، وأنها تعلم الناس ذلك ببابل ، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت ، واسم الآخر ماروت ، فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس وردا عليهم . هذا لفظه بحروفه .

ونقول أيضا : وحتى على اعتبار أن " ما " موصولة ، بمعنى "الذي" ، فيكون المراد بما أنزل هو : علم السحر الذي نزل ليعلماه الناس حتى يحذروا منه.

فالسبب في نزولهما هو : تعليم الناس أبوابًا من السحر ، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر والنبوة ، وأن سليمان لم يكن ساحراً ، وكانا في غاية الاحتياط ، فما كانا يعلمان أحداً شيئاً من السحر حتى يحذراه ، ويقولا له : إنما نحن فتنة ، أي بلاء واختبار ، فلا تكفر بتعلمه والعمل به ، وأما تعلمه للحذر منه ، وليعلم الفرق بينه وبين النبوة والمعجزة ، فهذا لا شيء فيه ، بل هو أمر مطلوب ، مرغوب فيه إذا دعت الضرورة إليه ولكن الناس ما كانوا يأخذون بالنصيحة ، بل كانوا يفرقون به بين المرء وزوجه وذلك بإذن الله ومشيئته .

وقد دلت الآية : على أن تعلم السحر لتحذير الناس من الوقوع فيه والعمل به مباح ، ولا إثم فيه ، وأيضاً تعلمه لإزالة الاشتباه بينه وبين المعجزة والنبوة مباح ولا إثم فيه ، وإنما الحرام في تعلمه وتعليمه للعمل به ، فهو مثل ما قيل : عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه .

وهذا تفسير آخر ، وكلاهما ليس فيه ما زعمه الزاعمون ، والأمر محتمل ، والخلاصة أنه يجب على القارئ أن يحذر من هذه الإسرائيليات ، سواء وجدها في كتاب تفسير أو تاريخ أو مواعظ أو أدب ، وأن يكون على يقين من عصمة الملائكة كعصمة الأنبياء . وأنهم عباد الله اختارهم واصطفاهم ولهم مكانة عند ربهم .

❁❁❁

" ما معنى مقام إبراهيم " ؟

(٦) قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى..** ﴾ [سورة البقرة : ١٢٥] .

والفهم الخاطئ هو ما زعمه بعض القبوريين أن الله تعالى أمرنا أن نصلي عند مقابر الأنبياء والصالحين ، بدليل ﴿ **وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ .

وقد زعموا أن المقام هنا هو كسائر المقامات والأضرحة التي رفعت فوق قبورهم !! وتغنوا بهذا الفهم الخاطئ ، وظنوا أنهم وجدوا حجة ساطعة قاطعة ، يقطعون بها ألسنة من يحرمون بناء المقامات والتوابيت والأضرحة ، ويحرمون الصلاة عندها ، وحجة قاصمة ، يقصمون بها ظهور أهل السنة والجماعة !!

والعجب أنهم في حالهم هذا كمن بنى بناء ورفعه ولكنه كان على أساس هش ، أو على جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم ، أو كان كحال الذي أخذ يجرى في الوادي يظن أن به ماءا ، فلما جاءه لم يجده شيئا ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [سورة النور : ٣٩] .

ذلك أن مقام إبراهيم ليس القبر الذي دفن فيه ، ولا الضريح الذي وضع عليه ، لا وإنما هو الحجر الذي كان يقوم عليه ، ويناوله إسماعيل الحجارة ، لبناء الكعبة لمَّا ارتفع الجدار وقد أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار ، وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه ، كلما فرغ من جدار نقله إلى

الناحية التي تليها وهكذا حتى تم جدران الكعبة .

ومن شك في ذلك فليراجع كتب التفسير من ناحية ، وليذهب إلى الحرم ليرى الحجر الذي هو المقام من ناحية أخرى ، فليس الأمر كما زعم المتصوفة أنه مقام كمقامات الأولياء عندهم .. !!.

وأما سبب الصلاة عنده ما صح عن جابر - رضي الله عنه - يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر ، هذا مقام أبينا ؟ قال : نعم ، قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ **وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ [١]، وقد جاء بروايات كثيرة منها المطولة ومنها المختصرة .

وإنّا لنتسائل : أين هذا المقام من تلك المقامات ؟

وأين ما دلّ عليه الشرع مما حرمه الشرع ، فأين الثرى من الثريا ؟ ولكن القوم يهرفون بما لا يعرفون .

❁❁❁

(١) رواه مسلم في الحج (١٢١٨) وغيره .

" ما حكم الطواف بين الصفا والمروة " ؟

(٧) قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٨] .

فهذه الآية من الآيات التي يمكن أن تفهم خطأ ، لأن ظاهرها يوهم أن السعي بين الصفا والمروة ليس واجبا ، في حج أو عمرة ، وإنما أقصى ما في المسألة أن يكون من جنس المباح ، فلا بأس بفعله ، ولا جناح على من طاف أو سعى بينهما ، وهذا ليس على وجهه ، ولا مراداً على هذا النحو .

ويوضح هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد ، عن عروة عن عائشة ، قال : قلت أرأيت قول الله تعالى ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ﴾ قلت : فوالله ما على أحد جناح أن لا يتطوف بهما ، فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أختي ، إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت إذ الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يا رسول الله ، إنَّا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿ **إنَّ الصفا والمروة ... الآية** ﴾ قالت عائشة : ثم قد سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف . بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما [(١)] .

---

(١) أخرجه البخاري في الحج (١٦٤٣) ، ومسلم في الحج (١٢٧٧) .

وروى البخاري عن عاصم بن سليمان ، قال : سألت أنساً عن " الصفا والمروة " قال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما ، فأنزل الله عز وجل ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ** ﴾ (١).

وقال الشعبي : كان " أساف " على الصفا ، وكانت " نائلة " على المروة ، وكانوا يستلمونهما فتحرجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما ، فنزلت هذه الآية (٢) .

وفى صحيح مسلم من حديث جابر الطويل - في وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم - وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا فرغ من طوافه بالبيت عاد إلى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ** ﴾ ثم قال : أبدأ بما بدأ الله به (٣) .

وفي رواية النسائي " ابدأوا بما بدأ الله به "

وفي رواية الإمام أحمد بن حنبل : قوله ﷺ - وهو يسعى ويشتد في السعي: اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي "(٤). وقد استدل بهذا الحديث من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج . كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه.

وقيل : إنه واجب وليس بركن ، فإن تركه عمداً أو سهواً جُبَر بدم وقيل بل مستحب ، والقول الأول أرجح ، والله أعلم .

❁❁❁

---

(١) رواه البخاري ، في الحج (١٦٤٨) .

(٢) تفسير القرطبي .

(٣) أخرجه مسلم في الحج (١٢١٨) .

(٤) أخرجه أحمد (٦/٤٢١) ، والدارقطني (٢/٢٥٥) ، والبغوي في شرح السنة (٩٢١) .

" ما معنى التهلكة " ؟

(٨) قال تعالى : ﴿ **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [سورة البقرة : ١٩٥] .

فهذه الآية الكريمة من بين الآيات التي فهمت فهمًا خاطئًا ، ووضعت في غير موضعها ، وقيلت في غير مجالها ، ومثاله : إذا قام رجل يريد أن ينفق في سبيل الله أو يتصدق ، فيمسك الشيطان بيده ، ويقول له : عندك أولاد ، والبيت محتاج لذلك، والزيت يحتاجه البيت فيحرم على الجامع ، والله يقول : ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ فلا تلق بنفسك وأولادك إلى التهلكة .

وهذا داعية قام يدعو إلى الله ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ومن وراء ذلك ابتلاء يحتاج إلى صبر ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **وتواصوْا بالحقِ وتواصوْا بالصبرِ** ﴾ [سورة العصر : ٣] .

ونحو قوله تعالى – على لسان لقمان الحكيم ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ [سورة لقمان : ١٧] وغير ذلك .

فنجد من يقول له بلسان الناصح الأمين ، والواعظ الشفوق : مالك أنت والناس ، تعرض نفسك للإيذاء – بالاعتقال أو غيره – والله تعالى يقول : ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ . وذلك إنسان يريد الجهاد في سبيل الله – والجهاد فيه بُعدٌ عن الأهل ، وتركٌ للوطن ، وفيه احتمال المصاعب ، ومظنة الإصابة ، واحتمال الشهادة ، وذهاب المال ، أو النفس والمال جميعا .

فنجد إنساناً - بل شيطاناً في صورة إنسان - يقول له : تذهب فتقاتل فتقتل، وتترك أولادك ، فتتزوج زوجتك بغيرك ، ويقسم مالك ، فمالك أنت وهذا ، ألم يقل الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ .. إلخ .

فيا سبحان الله : انظر - أخا الإسلام - كم ظلمت الآية ؟ كيف لُويَّ عنقها حتى استشهد بها في هدم معالم هذا الدين ؟ كيف نزلت من قمتها السامقة إلى هذا الحضيض والسفل ؟ !! .

إن هذه الأمثلة موجودة في حياة الناس ، ونحوها . وربما كان لها أصل من قديم ، إذ ظن بعض الصحابة - من ظاهر الآية - أن الرجل لو ضحى بنفسه فى القتال يكون قد ألقى بنفسه إلى التهلكة .

وكما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي ، عن أسلم أبي عمران قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري ، فقال ناسٌ : ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب : نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا ، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر ، اجتمعنا - معشر الأنصار - تحببًا ، فقلنا : قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما ، فنـــزل فينا ﴿ **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ فكانت

التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد [١] .

ولفظ أبي داود : كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر " عقبة بن عامر " وعلى أهل الشام رجل يدعى " يزيد بن فضالة بن عبيد " فخرج الناس إليه ، فقالوا : سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب : يا أيها الناس إنكم لتتأولون هذه الآية على غير التأويل ، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار ، إنَّا لمـَّا أعز الله دينه وكثر ناصروه ، قلنا فيما بيننا : لو أقبلنا على أموالنا فأصلحناها ، فأنزل الله هذه الآية " .

وروى البخاري عن حذيفة – في الآية ﴿ **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...** ﴾ قال: نزلت في النفقة .

وسأل رجل البراء بن عازب : إن حملت على العدو وحدى فقتلونى ، أكنت ألقيت بيدي إلى التهلكة ، قال : لا ، قال الله لرسوله ﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ** ﴾ [سورة النساء : ٨٤] . إنما هذه في النفقة [٢] . وزاد الترمذى ثم قال : ولكن التهلكة أن يذنب الرجل الذنب فيلقى بيده إلى التهلكة ولا يتوب .

وقال النعمان بن بشير : أن يذنب الرجل الذنب فيقول لا يغفر لي ، فأنزل

---

[١] أخرجه أبو داود في الجهاد (٢٥١٢) ، والترمذي في التفسير (٢٩٧٢) والحاكم (٢ / ٢٧٥) وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي (٩ / ٩٩) ، وابن حبان (٤٧١١) الإحسان بسند صحيح ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٢١٩٣) .

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٢٧٥) وصححه ووافقه الذهبي .

الله ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ وقال الحسن البصري : هو البخل .. "[1].

فالآية إذًا ، ليست كما فهمها الناس ، أو تأولوها على غير وجهها .

إن التهلكة في ترك الإنفاق في سبيل الله ، إن التهلكة في ترك الجهاد في سبيل الله، إن التهلكة في ارتكاب الذنوب ، إن التهلكة في التألي على الله ، تقول : لا يُغفر لي ، وفى العجلة ، تقول : دعوت فلم يستجب لي ، والتهلكة بحب الدنيا وكراهية الموت في سبيل الله ، إن التهلكة في ترك الطاعات والتقاعس عن الجهاد وعدم الإحسان . وهى – على الجملة – في البعد عن الالتزام بأحكام هذا الدين، وعدم التمسك بسنة خاتم النبيين .

فليست التهلكة بفعل الطاعات ، كالجهاد وطلب الاستشهاد ومغالبة العدو – مهما كثروا – والتصدق ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهذا هو الفهم الصحيح لتلك الآية الكريمة ، وليست كما زعمَ الجاهلون ، أو تأوله المبطلون .

❁❁❁

(١) راجع : ابن كثير في تفسير الآية بتوسع جـ ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

" ما معنى السكينة والتابوت ؟ "

(٩) قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٨] .

والفهم الخاطئ في الآية مرتبط بالإسرائيليات التي ذكرت حول معنى التابوت وما يحتوى عليه ، ومعنى السكينة ، وبقية ما تركه آل موسى وآل هارون .

فزعموا أن التابوت طوله كذا ، وعرضه كذا ، وبالغوا في وصفه ، وأطالوا في ذلك ، وأن هذا التابوت كان مع كل الأنبياء والرسل ، وظل ينتقل من أيام سيدنا آدم حتى وصل سيدنا إبراهيم ، وحتى وصل سيدنا موسى ... إلخ .

وأما الذي بداخل التابوت " فيه سكينة من ربكم " يقولون : هي طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء أعطاها الله موسى فوضع فيها الألواح. وقيل : السكينة لها وجه كوجه الإنسان ، ولها رأسان ، وقيل لها جناحان وذنب ، وقيل هي ريح خجوج ، وقيل : بل رأس هرة ميتة إذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح ... إلخ !!!

وأما بقية ما ترك آل موسى وآل هارون فقد قالوا هي عصا موسى وثيابه وثياب هارون ورضاض الألواح ، ويقال قفيز ويقال : العصا والنعلان ... !! .

كما زعموا في حمل الملائكة له أنها نزلت من السماء إلى الأرض ووضعته أمام طالوت ، وإسرائيليات تقول التابوت هذا أخذه العمالقة واستولوا عليه ، فابتلاهم الله ، فقالوا لابد من الخلاص منه فوضعوه على عربة تجرها بقرة أو

بقرتان حتى وصل إلى طالوت ، ففرح هو وجنوده ... إلخ [(١)]

والحق يقال : ليس مما زعموا شيء يصح ، ولا يحتاج إلى هذا .

فالسكينة هنا طمأنينة القلب ، ووقاره وجلاله ، كما أنها الرحمة كذلك .

وفي القرآن شواهد على ذلك ، منها : ﴿ **فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** ﴾ [سورة الفتح : ٢٦] .

وفي السنة « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده** »[(٢)]. وليس فيها ريح ، ولا فيها هرة ، ولا طست ولا نحو ذلك.

وهذا إطنابٌ في وصف التابوت والبقية ، وكيف حملته الملائكة في غير موضعه، لأن الله تعالى أراد العبرة والموعظة ، وما أراد الحكايات والقصص والروايات .

❁❁❁

(١) راجع كتب التفسير بتوسع .

(٢) أخرجه مسلم في الذكر (٢٦٩٩) ، وأبو داود في الصلاة (١٤٥٥) ، والترمذي (٢٩٤٥) .

" ما هي الإسرائيليات في قصة داود وجالوت "؟

(١٠) قال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ..** ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٠– ٢٥١] .

وفى نفس السياق القرآني في قصة الملأ من بني إسرائيل – يأتي الكلام عن نبي الله " داود " عليه السلام .

وعلى طريقة اليهود في تشويههم لصورة الأنبياء والمرسلين تضع الإسرائيليات في هذا الجانب الذي تصور به الأنبياء للناس على أنهم طلاب شهوة وشهرة ، يبحثون عن المناصب ، ويطلبون الملك ومن ذلك ما ذُكر في قصة داود عليه السلام في أكثر من موضع .

وفيما يرتبط بهذا السياق قصة قتل داود لجالوت ، فذكروا أن جالوت كان من القوة بمكان ، والذي أخذ ينادى على طالوت وجنوده ، من يخرج لمبارزته ، فخاف طالوت ، ثم نادى في جنده من يخرج لمبارزة جالوت ويقتله فأزوجه ابنتي ، وأشاطره مالي ، وأشركه في أمري وملكي ، فتهيب الجنود ولم يخرج لمبارزته أحد ، فأوحى الله لنبي من أنبياء بنى إسرائيل أن الذي يقتل جالوت ولد من أولاد أشعيا – أبو داود – فجيء به وبولده يعني بأولاده ، وكانوا اثني عشر ولدا كلهم فارس همام ، وقد جعل لهم نبيهم علامة فلم تظهر على واحد منهم، فقال طالوت : ليس فيهم واحد ظهرت فيه العلامة وإنه يزعم أنه لا ولد له سواهم ، فأوحى الله إلى هذا النبي أن كذب ، فإنه له ولدا ، فقيل له يا أشعيا : إن الله كذبك ، يقول : إن لك ولدًا ، قال : نعم لي ولد ، ولكنه صغير وقصير

وحقير – يذكر هذا في وصفات داود ، وهكذا يحرص اليهود على أن يشوهوا صورة الأنبياء ويذكروهم بصفات قبيحة – يقول : كرهت أن آتى به لوقاحته، وقصر قامته ، وسوء منظره ، فأتى بداود وظهرت فيه العلامة ، وخرج داود لمقاتلة جالوت ، وكان لا يحسن فن المبارزة ، ولكنه يتقن الرمي ، فجاء بمقلاع وحمل فيه ثلاثة أحجار ، باسم إله إبراهيم ، وباسم إله إسحاق ، وباسم إله يعقوب ، فصارت الأحجار حجراً واحداً ، وبعد مراوغة مع جالوت ضربه بمقلاعه الذي اخترق الجُنة التي كانت على رأسه ، وقالوا : كان وزنها ثلاثمائة رطل حديد ، فاخترقته ، ودخلت في جبهته وخرجت من قفاه ، ثم قتلت ثلاثمائة رجل خلفه ... !!!

فهذه واحدة من الإسرائيليات في قصة داود ذكرت في تفسير هذه الآية التي نحن بصددها ، وليس الأمر كذلك ، بل هذا من الكذب والاختلاق والهراء والنفاق.

وإنما أراد الله العبرة في القصة ، أنه لما واجه حزب الإيمان – وهم قليل – من أصحاب طالوت ، لعدوهم أصحاب جالوت – وهم عددٌ كثير – ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا** ﴾ – أي عند لقاء الأعداء – ﴿**وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾.

فكانت النتيجة لهذا الإيمان والدعاء والتوكل على الله، ﴿ **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ ، أى غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم ، ﴿ **وقتل داود جالوت** ﴾، ولا يهمنا كيف قتله، ولكن الله أراد رفعة داود – في الوقت الذي أراد اليهود وضعته – ﴿ **وآتاه الله الملك**﴾ الذي كان بيد طالوت ، ﴿**والحكمة**﴾ التي هي النبوة ، قيل بعد " شمويل " ﴿**وعلمه مما يشاء** ﴾، و ﴿..**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾[سورة الحديد : ٢١].

" ما معنى لا إكراه في الدين " ؟

(١١) يقول الله تعالى : ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٦] .

فهذه الآية الكريمة واحدة من بين عشرات الآيات المظلومة ، فكم وضعت في غير موضعها ، واستدل بها في غير محلها .

ومثاله : سمعنا بمن يرتد عن دين الإسلام – والعياذ بالله – ثم وجدنا من يدافع عنه باسم " لا إكراه في الدين " ويقول : ما دام لا إكراه في الدين فلا يضيره أن يرتد عن الإسلام وأن يختار ما يشاء من دين ، ويردفها بقوله تعالى: ﴿ **فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [سورة الكهف : ٢٩].

وهذا مسلمٌ لا يصلي – مثلاً – ، فنقول له : لم لا تصلي ؟ فيقول : لا إكراه في الدين .

وهذه مسلمة لا تتحجب مثلا ، فنقول لها : لماذا لا تتحجبين يا أمة الجبار ؟ فتقول لك : لا إكراه في الدين ، أنا حرة .

وهناك من يرضى من الإسلام بالعبادات دون المعاملات ، أو بالشعائر دون الشرائع ، فنقول له : أين أنت من شمولية الإسلام .

فيقول : أنا حر ، أحب ما أشاء ، وأكره ما أشاء ، آخذ ما شئت ، وأدع ما شئت ، إذ " لا إكراه في الدين " .

ويهدم الدين لبنة لبنة باسم الدين وباسم " لا إكراه في الدين " !! .

وهذا ثالث يقول : " إذا كان لا إكراه في الدين " فلماذا الجهاد في سبيل الله ؟

وفيه معنى الإكراه على دخول الدين ، فكيف يتفق هذا مع ذاك ؟

فهذه أمثلة للفهم الخاطئ لتلك الآية الكريمة ، ولك أن تقيس عليها ، وتأمل كيف فُهمت الآية ؟ ولو كانت على نحو ما زعموه ، ما كفر كافر ولا ضل ضال !! إن الآية بهذا المعنى تتناقض مع الدين كله ، فهي تتعارض مع قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً** ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦] .

وتتعارض مع قوله تعالى : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [سورة النساء : ٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه** ﴾ [سورة الأنفال : ٣٩] ، وغير ذلك وهذا غير معقول ولا مقبول ، لأن القرآن لا يتعارض مع نفسه ، ولا يتناقض في أحكامه ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** ﴾ [سورة النساء : ٨٢] .

ولذلك فالآية تحتاج إلى فهمٍ صحيح ، وفكرٍ واعٍ ، وعقلٍ نير ، وقلبٍ سليم " لا إكراه في الدين " نعم ، ولكن كيف ومتى ؟

فالله تعالى يبين في الآية (**لا إكراه في الدين**) أي لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام ، فإنه بين واضح جلي في دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بيِّنه ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يُفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً ، لأن هذا الدين أساسه الاعتقاد ، وأساس المعتقد هو الإيمان ، ومحل الإيمان هو القلب كما في الآية ﴿ **أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي**

﴿قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [سورة المجادلة : ٢٢] .
وقد يكون للإنسان سيطرة على لسان إنسان أو جسده ، فيُكره على أن يقول أو يعمل ، ولكن لا سبيل إلى قلبه ، ولا يطلع على ما في القلوب إلا الله تعالى علام الغيوب ، فما قيمة إكراهه على الدين ، أو إجباره على الإسلام ، لذلك لا يجوز الإكراه في الدين ، وعندما يتم الإكراه على الإسلام ظاهراً يكون هذا نفاقاً وليس اقتناعاً ، والله عز وجل يريد من المرء أن يؤمن بكامل الرضا والطواعية ، ومع الإذعان والانقياد .
لابد وأن يسلم المرء قلباً وقالباً ، ويؤمن راضياً مختاراً ، ولذلك " لا إكراه فى الدين " .
هذا وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قومٍ من الأنصار ، وإن كان حكمها عاماً .
فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كانت المرأة تكون مقلاتا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ** ﴾[1] كما روى نحوه فيمن تنصر ولداه وكان رجلا مسلمًا فأراد أن يكرهما على الإسلام ، وقد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله فيه ذلك.
فالآية تنفى أن يجبر إنسان على الإسلام ، ولا عبرة بقول من قال هي منسوخة

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد (٢٦٨٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ١٨٦) ، والطبرى في التفسير (٣/ ١٤) ، وابن حبان (١٤٠) الإحسان . وسنده صحيح وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣٣) . والمقلات : هي التي لا يعيش لها ولد .

بآية القتال أو غيرها ، لأن الله عز وجل فرض القتال ، وفرض الجزية ، ولكن تبقى الآية على معناها وبعمومها ، شريطة أن تفهم فهما صحيحاً ، فقوله تعالى: (**لا إكراه في الدين**) هذا قبل أن يُسلم المرء وقبل أن يدخل في الدين ، ثم هو بما منحه الله من نعمة العقل ، وتوج ذلك بإرسال الرسل وقد بلغته رسالة رسول ، وقرأ الكتاب ، ليختار الدين الصحيح ، ثم أبى إلا الكفر ، فقد اختار طريقه وله جزاؤه ﴿ **وَقُلِ الحَقُّ من رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً** ﴾[سورة الكهف : ٢٩] .

وأما من اختار الإيمان طواعيةً واختيارًا ، ورغبةً واقتناعًا ، وأعلن أنه رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً ، فقد صار بذلك عبداً لله تعالى فلا يجوز له أن يقول : أنا حر أمام أحكام الله أحب منها وأكره ، وآخذ وأدع ، كلا ، لست حراً أمام أحكام الله ، كما قال الله : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً** ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٦] فالاستدلال بالآية في هذا المجال باطل ، يتنافى مع الإيمان الذي أعلنه ، ومع التسليم الذي ارتبط به ، وصدق ربنا إذ يقول : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [سورة النساء : ٦٥] .

وكيف يصح هذا من وجه من الوجوه ، وهذا بعض صفات أهل النفاق .

﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم**

مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) ﴾ [سورة النور : ٤٧ – ٥٢] .

فهذا حال المؤمن لا يفرق بين حكم وحكم ، ولا أمر وأمر ، أو نهي ونهي ، بل عليه أن يقبل الإسلام بجملته ، وينقاد له بكليته .

ثم كيف يستشهد بالآية الكريمة على إباحة الكفر ، أو جواز الردة ، فمن أراد الخروج من الإسلام خرج منه هكذا ببساطة باسم " لا إكراه في الدين " ؟ !!

فأيُ دين هذا الدين يدخل فيه المرء ثم يخرج منه ، وأيُ دين هذا الذي يتلاعب به الصبيان ؟ إن المنافقين أرادوا أن يفعلوا ذلك : ﴿ **وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [سورة آل عمران : ٧٢] .

إنه لم يجبرك أحد على الدخول في الإسلام حتى تبيح لنفسك الخروج منه ، فتشكك الناس في دين الله تعالى .

قد قال النبي ﷺ : « **لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** »[١].

وقال ﷺ : « **من بدل دينه فاقتلوه** »[٢].

لأن الارتداد عن الإسلام يسلخ المرتد عن المجتمع ويسلبه حق الحياة ، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري في الديات (٦٨٧٨) ، ومسلم في القسامة (١٦٧٦) ، وأبو داود في الحدود (٤٣٥٣).
(٢) أخرجه البخاري في الجهاد (٣٠١٧) ، وأبو داود في الحدود (٤٣٥١) ، وأحمد (١ ٢١٧) .

الحكم شغَّب عليه بعض الناس ، ورأوه مصادرة لحرية الرأي ، وحرية التدين ، وحق كل امرئ أن يؤمن إذا شاء وأن يكفر إذا شاء ، ونحن نحترم حق أي إنسان أن يؤمن وأن يكفر ، ولكن هذا الحق يتقرر لصاحبه وهو فرد لم تتضح له الأمور ، إن له أن يدرس ويوازن ويرجح ، وأن يبقى على ذلك طول عمره ، فإذا آثر الوثنية أو اليهودية أو النصرانية لم يعترضه أحد ، ويبقى له حقه كاملا في الحياة — حياة آمنة هادئة — وإذا آثر الإسلام فعليه أن يُخلص له ويتجاوب معه في أمره ونهيه وسائر هديه . وهنا نتساءل : هل من حرية الرأي عند اعتناق الإسلام أن نكسر قيوده ونهدم حدوده ؟ أو بتعبير آخر : هل حرية الرأي تعطى صاحبها في أي مجتمع إنساني حق الخروج على هذا المجتمع ونبذ قواعده ومشاقة أبنائه ؟ هل خيانة الوطن أو التجسس لحساب أعدائه من الحرية؟ هل إشاعة الفوضى في جنباته والهزء بشعائره ومقدساته من الحرية ؟.

إن قضية الارتداد تحتاج إلى إيضاح لتعرف أبعادها ، فالإسلام معروض للأغمار والعباقرة على أنه عقيدة وشريعة ، وكتابه ونهج نبيه يقرران مثلاً أن الله واحد ، وأن الآخرة حق ، وأن القصاص حق ، وأن الصيام حق ...

ومعنى ذلك أن الذي يدخل الإسلام يرتضي كل هذه التعليم وينفذها ، فإذا جاء من يقول : أومن بالله وأرفض الإيمان بالآخرة ، أو أومن بهما وأرفض شريعة الصيام ، وشريعة القصاص ، وما أشبه ذلك ...

فهل يترك هذا الشخص يعبث بدين الله على هذا النحو ؟ كلا إما أن يثوب إلى رشده ، ويرجع إلى الجماعة ، أو لا ، فالخلاص منه حتم ، ولا نتهم جماعة تؤَّمن وجودها وتصون حقيقتها وتزود العبث عن كيانها .

- وإن الارتداد وسيلة للطعن في الإسلام ، ولعب بالدين واستهانة بحقه ، استغلها اليهود قديماً ، ويستغلها النصارى حديثاً عن طريق عصابات من المبشرين . ومن حق أبناء هذه الأمة المظلومة أن يحموا عقائدها وشرائعها ويردوا عنها كيد المتربصين ، ومؤامرات الحاقدين . وعلى المسلمين أن يدافعوا عن دينهم بالوسائل المشروعة كلها ، وفي جو من الوضوح .

ثم يقال في الرد على الزعم الثالث حول الآية : إذا كان لا إكراه في الدين فلماذا الجهاد في الإسلام ؟ ونسارع بالرد فنقول : إنه لا صلة بين القتال والإكراه في الدين ، كما لا صلة بين انتشار الإسلام والجهاد ، فإن الله عز وجل فرض الجهاد ليحرر اختيارا ، لا ليكره مختارا .

فما معنى هذا ؟ إن من الناس من يريد أن يسلم ولكنه لا يستطيع ، لأن أئمة الكفر يحولون بينه وبين ذلك ، فهو يخشى الطواغيت ، فيأمر الله عز وجل بإزالة تلك الرؤوس العفنة ، وإزاحة تلك الطواغيت الباغية لتتاح الفرصة للشعوب المضطهدة ، وللجماهير المستذلة أن تأخذ حقها في أن تعبر عن رأيها في أن تختار ما تشاء من دين ، ومن ثم قال رب العالمين : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [سورة الأنفال : ٣٩] .كما قال :﴿ **فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ** ﴾ [سورة التوبة : ١٢].

إذاً فُرض القتال في الإسلام ليُحرر اختيارًا ، لا ليُكرِه مختارًا ، فليس لإكراه الناس على الدخول في الدين ، فهذا جهل ذريع .

ولو نظرت في غزوات النبي ﷺ والفتوحات الإسلامية كلها ، ما وجدت

واحدة منها فيها إكراه الناس على دخول الإسلام ، ولا تحمل هذا المعنى من قريب أو بعيد .

وهذه سيرة النبي ﷺ وقد ظل ثلاثة عشر عاماً في مكـة ، يـدعو إلى كلمـة التوحيد، ويدعو إلى الدخول في الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجـادل - إن احتاج الأمر - بالتي هي أحسن ، ويلقي اضطهادا وإيذاءً وعنتاً شديداً ، ومع ذلك لم يؤمر بقتال ، حتى اشتد الإيذاء والاضـطهاد ، وأذن الله تعـالى للمسلمين بالهجرة ، ثم بالقتال ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)** ﴾ [سورة الحج : ٣٩ ، ٤٠] .

فالله تعالى أذن بالجهاد للمسلمين بعد الظلم الشنيع الذي وقع عليهم ، والأذى الذي أصابهم ، وهضم حقوقهم ، وأهدر بشريتهم وكرامتهم ، أفيعاب ذلك على الله تعالى ؟ !.

فالإذن بالجهاد رد للاعتداء كما قال تعالى : ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] .

فالجهاد منه ما هو رد لاعتداء المعتدين ، أو لتأديب الناكثين ، أو استرداد حقوق المسلمين ، أو تأمين طريق الدعوة أمام جبهات الكافرين .

إن أي دعوة لابد لها من قوة ، وقوة الدعوة الإسلامية هي الجهاد وأي دعوة بلا قوة فإنها تستأصل أو تباد ، وواقع الناس أصدق دليل وخير برهان ، لقد عز

المسلمون مع الجهاد في سبيل الله ، فلما أخلدوا إلى الأرض ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة ، وتقاعسوا عن الجهاد صاروا نهباً لكلاب البشر ، كما صاروا أذل خلق الله في أرض الله ، بل ذلوا لمن كتب الله عليهم الذلة والمسكنة !!

فمن يرحمهم ومن يدافع عنهم ؟ إنه الجهاد في سبيل الله ، ورفع رايته أمام الأعداء ، فهذه البوسنة والهرسك ، والشيشان وفلسطين ... إلخ . أدلة واقعية تثبت للقاصي والداني أن أمة تترك الجهاد تصير فريسة للكلاب ، ونهباً للذئاب ، وتباد مع من باد ، ولا سبيل ولا منجي إلا مع الجهاد في سبيل الله .

❖❖❖

" لماذا شهادة المرأة نصف شهادة الرجل "

(١٢) قال تعالى – في آية الدَّين : ﴿ **... وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ...** ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٢] .

والشبهة أثارها بعض أعداء الإسلام ، ورددها بعض المنتسبين إليه ، أو ألفها المستشرقون ، وكررها المستغربون ، يقولون : الإسلام ظلم المرأة لـمَّا جعلها نصف الرجل في أمور ، منها " الشهادة " فجعل شهادة المرأتين كشهادة الرجل

ونسارع بالرد فنقول : نعم ، إن الإسلام فرَّق بين الرجل والمرأة في الشهادة.

ولكن يجب أن يُعلم أن الإسلام لا يعتد بشهادة المرأة مطلقا في بعض الأمور الخطيرة كالشهادة على حادث يوجب حداً كحد الزنا مثلاً ، لما في ذلك من صون للمرأة والمحافظة عليها .

وفي المقابل يُعتد بشهادة النساء وحدهن في الشئون النسوية الخاصة التي لا يعرفها غير النساء وتقبل شهادة المرأة الواحدة في ذلك ، في الوقت الذي تُرد فيه شهادة الكثير من الرجال .

وجعل شهادة المرأتين – فيما عدا هذا وذاك – معادلة لشهادة رجلٍ واحد على شرط أن يشهد معهما رجل بما شهدتا به ، فلماذا ؟

ويرجع السبب في ذلك إلى ما ركَّبه الله في طبيعة المرأة ، فقد اقتضت حكمته البالغة أن تكون ناحية العاطفة في المرأة مرهفة ، وأن يكون وجدانها

أقوى مظاهر حياتها النفسية ، حتى يتاح لها أن تؤدي أهم وظيفة من وظائفها ، وهي وظيفة الحضانة والأمومة على خير وجه ، فلا يخفى أن هذه الوظيفة تحتاج إلى عاطفة مرهفة ووجدان رقيق وحنان رحيم أكثر مما تحتاج إلى التفكير والإدراك والتأمل ، فليس إذًا عيبا في المرأة أن تكون عاطفتها أقوى من تفكيرها، بل إن ذلك من صفات كمالها وكمال أنوثتها وأمومتها ، وقوة ناحية الوجدان لدى المرأة تجعل عاطفتها تطغى أحيانا على ما وصل إلى إدراكها وتمتزج بعناصره ، فتشكله صورة أخرى وتغير كثيراً من حقيقته من حيث لا يشعرن بذلك ... فاقتضت العدالة أن يُتخذ شيء من الاحتياط حيال شهادتها - صونا لها ومحافظة عليها - فاستبعدت شهادتها في الأمور المؤدية إلى نتائج خطيرة كالشهادة على الزنا ، وقد بنى الاطمئنان النسبي إلى شهادة المرأتين واعتبارها كشهادة رجل ، وبُني هذا على أساس نفسي سليم ، وذلك أنه يندر أن يكون الاتجاه العاطفي الذي سيطر على إحداهما فأبعد شهادتها عن الواقع هو الاتجاه نفسه الذي تسلط على الأخرى ، فتصلح كلتاهما ما في شهادة الأخرى من زيف غير مقصود ، وتذكر كلتاهما الأخرى بحقيقة ما ضلت فيه وما حرفته عاطفتها عن موضعه ، وهذا هو الذي أشار إليه القرآن الكريم ، مبينًا هذا الحكم والسبب القائم عليه في عبارة موجزة بليغة ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى..** ﴾ .

فقوله تعالى ﴿ **أن تضل** ﴾ له تفسيران : تضل بمعنى تنسى وقد بينه مفهوم المخالفة ﴿ **فتذكر إحداهما الأخرى** ﴾وإما بمعنى الضلال الذي هو ضد الهدى ،

ومثاله على المعنى الأول : على نحو ما أشرت من قوة عاطفة المرأة ووجداها ، ولاهتمامها بوظيفتها الأساسية التي ميداها البيت - وليست الحياة الصاخبة - بما تقوم به من أمور وتربية ورعاية لجانب خطير في المجتمع الإنساني ، فلهذا ولغيره هي كثيراً ما تنسى ، والإنسان - عموماً - ينسى ، لكن النسيان يكثر في النساء عن الرجال ، وذلك راجع إلى ما ركّبه الله في طبيعة المرأة .

فإذا نسيت إحداهما ذكرها الأخرى : فكان ذلك صوناً للمرأة ، وضماناً في صدق الشهادة .

وأما صورته على المعنى الثاني : لما كانت المرأة بطبيعتها العاطفية المتدفقة السريعة الانفعال مظنة أن تتأثر بملابسات القضية " فتضل " عن الحقيقة روعي أن تكون معها امرأة أخرى فتذكرها ، فقد يكون المشهود له أو عليه امرأة جميلة تثير غيرة الشاهدة !!.

أو يكون فتىً أو شاباً وسيماً يثير كوامن الغريزة ، فتُغير شهادها تصنع معروفاً تنتظر مكافأته ، أو تكون الشاهدة أماً، والمشهود عليه شاباً في سن أبنائها !! فتتحرك عاطفة الأمومة عندها إلى آخر هذه العواطف التي تدفع إلى الضلال بوعيٍ أو بغير وعي .

ولكن من النادر جداً حين تحضر امرأتان في مجال واحد ، أن يتفقا على تزييفٍ واحد دون أن تكشف إحداهما خبايا الأخرى ، فتظهر الحقيقة !!

وبعد بيان معنى الآية بقي أن نسأل أنفسنا : هل في هذه الحالة تعتبر شهادة امرأتين بشهادة رجلٍ واحد دليل على أن المرأة تساوي نصف الرجل كما زعموا ؟ !!

أم أن الإسلام أراد أن يحافظ عليها ، وأرادها لوظيفتها ، أراد صرفها إلى ما خلقت له ، وإلى ما يناسب خصائصها العتيدة ، ومهامها العظيمة ، فليس من شأن المرأة الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك في الأمور المنـــزلية التي هي شغلها فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل ، ومن طبع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التي تهمهم ويمارسونها ويكثر اشتغالهم بها .

كما أنه إجراء روعي فيه توفير كل الضمانات في الشهادة ، سواء كانت الشهادة لصالح المتهم أو ضده ، فالله أكبر ، ما أعظم الإسلام وما أجمله لمن فقهه وفهمه [1].

والحمد لله رب العالمين .



(١) راجع ، المحلى لابن حزم جـ١١ ، ص ٢٩٦ ، وحقوق الإنسان في الإسلام للغزالي ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، وهذا ديننا للغزالي ص ٤١ ، وشبهات حول الإسلام ، محمد قطب ص ١٢٠ ، ١٢١ ، الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة للبهي ص ٤٣ – ٤٦ .

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة آل عمران

تصحيح المفاهيم الخاطئة في " سورة آل عمران "

" ما معنى الحب في الإسلام "

(١) قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [سورة آل عمران : ٣١] .

- والفهم الخاطئ لهذه الآية يتمثل في زعم معين ، أن ناساً يحبون الله ورسوله ، وزعموا أنه حب باللسان أو هيام بالوجدان ، أو شوق ونسيان ، أو فناء وسكران ، فترى أناسا يزعمون هذا الحب ، وكل الذي عملوه أنهم هاموا على وجوههم ، وانطلقوا ينتقلون بين أضرحة الأولياء والصالحين ويحضرون موالدهم.

يزعم الواحد منهم محبة الله وهو لا يعرف لله حقاً ، ولا يؤدي له فرضا ولا نفلاً.

ويزعم أنه يحب الرسول ﷺ وهو لا يلتزم له بسنة ، ولا يتمسك له بهدي .

بل ربما لا يؤدي أي طاعة بزعم أنه محب ، وأنه وصل فسقط عنه التكليف !!

ومع هذا كله يزعم أنه يحب الله ورسوله وأولياءه الصالحين !! .

وكذبا هذا الذي زعموه ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً** ﴾ [سورة الكهف : ٥] .

فليس الحب زعمًا ولا ادعاءً ولا كلامًا ، بل الحب في الإسلام مبني على

الطاعة والاتباع ، وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** »[١] .

ولهذا قال : ﴿ **إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم ، وهذا أعظم من الأول ، كما قال بعض العلماء الحكماء : ليس الشأن أن تُحِب ، إنما الشأن أن تُحَب .

وقال الحسن البصرى وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ﴿ **إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ ثم قال : ﴿ **اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ أي باتباعكم الرسول ﷺ يحصل لكم هذا من بركة اتباعه ، ثم قال تعال ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ** ﴾ مبينًا أن طاعة الرسول من جنس طاعته كما قال : ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [سورة النساء : ٨٠] وقوله ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ**﴾ [سورة آل عمران : ٣٢] أي إن خالفتم أمره وطريقته ، فإن الله لا يحب الكافرين ، فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي ﷺ[٢] وصدق من قال :

---

(١) أخرجه البخاري في : الاعتصام باب (٢٠) ، وفي الصلح (٢٦٩٧) ، ومسلم في الأقضية (١٧١٨) ، وأبو داود في السنة (٤٠٦٠) .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٥٨ بتصرف .

تعصي الإله وأنت تزعم حبه   هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيـــع

والحب في الإسلام له منــزلة عظيمة ، ومكانة سامية ، ودرجة سامقة ، فالحب يأتي بعد الإيمان ، وهو ركن ركين من التوحيد ، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله ؟

إن الحب إذا كان لله تعالى - أكمله وأتمه - كان توحيدا ، وما كان لغير الله - مساويًا ما هو لله - كان شركًا ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ..** ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] . فهو قضية إيمان وكفر ، قضية توحيد وشرك.

ولذلك يجب أن يقدم حب الله تعالى على ما سواه ، ولا يشاركه فيه غيره ، ولا يدانيه سواه .

ثم يأتي حب النبي ﷺ بعد ذلك ، ومن الجهل أو الشرك أن يحب أناس النبي محمداً ﷺ كحبهم لله أو أشد ، كما يبدو ذلك من كثير من المتصوفة والجهلة بحكم العاطفة أو غيرها ، لا بحكم الدين . بل حب الله تعالى أولاً ، ثم حب رسوله ﷺ ثانيًا ، ثم حب بقية الأنبياء والرسل ﴿ **لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ** ﴾ [سورة البقرة : ١٣٦] ثم حب الصحابة رضوان الله عليهم ، بدءاً بالخلفاء الراشدين " أبي بكر وعمر وعثمان وعلي " ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة " طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين " ، ثم بقية آل البيت ، ثم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار على

رأسهم " أهل بدر" وأهل بيعة الرضوان ، ثم عامة الصحابة رضي الله عنهم ، ثم من تبعهم بإحسان يترأسهم الأولياء والشهداء ، والعلماء وسائر الصالحين .

ثم نحب إخواننا في الله ، ونحب والدينا وأولادنا وأزواجنا وعشيرتنا وأموالنا وأوطاننا ونحو ذلك ، فهذه درجات في الحب ومنازله ، لا يجوز تغييرها بتقديم أو تأخير ، وفعل ذلك يؤدي إلى فسادٍ كبير ، فكيف يُقدم حب على رضي الله عنه - مثلاً - ، على حب أبي بكر وعمر ، وكذا عثمان ؟ !!.

وكيف يقدم حب الأنصار على المهاجرين ؟ بل كيف يقدم حب الزوجة والولد والعشيرة مثلاً على حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله ، فهذا فساد في الدين ، وفسق لا يُرضى رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [سورة التوبة : ٢٤] .

فالحب في الإسلام له قواعد وضوابط ، وليس كما زعمت المتصوفة. والفهم الخاطئ لمعنى الحب أورث الناس شركًا خطيرًا ، مع أن الآية الكريمة واضحة تبين المفهوم الصحيح لكلمة " الحب " ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ . شرط وجواب الشرط .

فملخص أمر الحب ومعناه هو الإتباع ، فليس حب الله وحب رسوله ﷺ ، كحب الوالد لولده ، أو حب الزوج لزوجه ، وليس هو شوقاً ولا عشقاً ، ولا طرباً ولا هياماً ، ولا انجذاباً ولا جنوناً .

بل هو اتباعٌ وطاعة لله ولرسوله ﷺ ، باتباع القرآن والسنة .

فيا من تدعي حب الله ! أين أنت من اتباع أوامره واجتناب نواهيه ؟

ويا من تدعي حب الرسول ﷺ : أين أنت من اتباع سنته ، والتمسك بهديه، والتخلق بأخلاقه والسير على طريقته ؟ ﴿ **يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [سورة الحشر : ٧] .

كما أننا نحب الأولياء والصالحين ، وليس ذلك بالتمسح بالأخشاب ، والتبرك بالأبواب ، والسجود على الأعتاب ، ودعائهم أو التوسل بهم من غير إذن من الملك الوهاب ، وهو وحده الذي إذا دُعي أجاب ، وليس الأولياء أو الأقطاب، ولا الأبدال والأنجاب .

إنما نحب الأولياء والصالحين ، باتباع المنهج المبين ، والسير على درب المتقين، حتى نصل إلى سبيل المفلحين ، ومن سار على الدرب وصل ، ورحلة الألف ميل تبدأ بخطوة ، وأول الغيث قطرة ، فنقلد الأولياء ونتبعهم ، ونترسم خطاهم ، ونزورهم ونصلهم ، ونطلب الدعاء منهم ، هذا في حياتهم ، وأما بعد مماتهم ، فلا نبخل عليهم بدعائنا لهم ، وزيارتنا لقبورهم والاتعاظ بحالهم ، إذا خلت قبورهم من المنكرات ، ولم ترفع فوقهم المقامات ، ولم تشيد عليهم القباب والبنايات .

هذا وكم أورث الفهم الخاطئ للحب خللاً جسيما ، وخطأ عظيماً ، وإثماً مبيناً ، بل شركاً وضلالاً كبيراً ، فيجب أن نحذر من الوقوع في الشركيات ، أو

نعود إلى الجاهليات ، ونزعم أن هذا هو الحب !! .

ورحم الله الإمام الطحاوي قال - في هذا المجال : " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان ، ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة ، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم لعثمان رضي الله عنه ، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهم الخلفاء الراشدون ، والأئمة المهديون ، وإن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة ، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ وقوله الحق وهم " أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبدالرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة ابن الجراح وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين " .

❁❁❁

" هل كل من دخل البيت الحرام يكون آمنا "

(٢) قال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)** ﴾ [سورة آل عمران : ٩٦ : ٩٧] .

والشاهد في الآية هو قوله تعالى : ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً** ﴾ .

لقد انتهز أعداء الإسلام – مُنصِّرون ومستشرقون ومُغرضون ونحوهم – الأحداث التي وقعت في الحرم سنة ١٤٠٠ هـ بدخول أناس مسلحين لبيت الله الحرام ، فروعوا الآمنين به ، فقالوا : كيف يقول الله تعالى : ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً** ﴾ وقد حدث فيه كل ما حدث مما يتعارض مع القرآن ، أو يكذب القرآن ؟ !!

هذه هي الشبهة التي طار بها النصارى واليهود وغيرهم آنذاك ، فملأوا بها الدنيا اتهاماً للقرآن ، وتشكيكاً في الإسلام !!.

فنقول بتوفيق الملك العلام : إن قوله تعالى : ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً** ﴾ هو خبر يحمل معنى الأمر ، أو أمر جاء في أسلوب الخبر ، ليكون ذلك أدعى لسرعة الاستجابة ، بمعنى أنه مطلوب أن يتحول هذا الأمر خبراً في التو واللحظة ، فكأن الله تعالى يقول : يا أيها المسلمون أمنوا من دخل المسجد الحرام ولا تعتدوا عليه ، فإذا اعتدى أحد على الذين في المسجد الحرام فليس هذا تكذيباً لله حاشا لله وإنما هو مخالفة من البشر لأوامر الله تعالى .

﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً** ﴾ هذا حقٌّ لا جدال فيه ، ومع ذلك فالله تعالى

يقول : ﴿ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة : ١٩] . فدلت الآية الكريمة على أن هناك عدوانًا سيقع على البيت الحرام، كيف ذلك ؟ ﴿ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾أين ذلك ؟

عند المسجد الحرام . فيجب فهم ذلك ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ أمر من الله للأمة .

ومن ضروب البلاغة في القرآن أن يأتي الخبر في صورة الإنشاء ليكون ذلك دليلاً على أن المخاطب به قد امتثل الأمر ، كقوله تعالى :﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[سورة البقرة : ٢٣٣] ، ولم يقل أيتها الوالدات أرضعن أولادكن ، فجاء بدل الأمر بصيغة الخبر ، وذلك ليكون فيه صورة على أن المخاطب قد استمع لأمر الله وعمل به ، ليكون فيه حث على تنفيذ أوامر الله ، وكقوله تعالى : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ... ﴾ [سورة المجادلة : ٢٢] .

فهنا جاء النهي في صورة الخبر بدليل أن (لا) لو كانت ناهية لجزم الفعل بعدها مع أنه يريد النهي كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾ [سورة التوبة: ٢٣] .

فكذلك الآية التي نحن بصددها ، فالله يريد أن يقول للمسلمين : لا تعتدوا على حرمة المسجد الحرام ، وأمِّنوا المسجد الحرام ، فإذا قال الله تعالى :

﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ** ﴾ ، فإذا لم يقم الناس الصلاة أيكون تكذيباً أم يعتبر مخالفة لأمر الله ؟ فإذا خالف البشر أمر الله أيعد ذلك تكذيباً لله ؟ إن أسلوب الإنشاء لا يحتمل الصدق والكذب .

فأي تكذيب في هذا ؟

قال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ..** ﴾ [سورة البقرة : ٢١٧] .

❁❁❁

" هل تحريم الربا إذا كثر فحسب "

(٣) قال تعالى : ﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٠] .

والفهم الخاطئ يتمثل في الخطأ بالاستدلال بالآية على أن الربا الذي حرمه الله ، شرطه أن يكون أضعافاً مضاعفة ، أما ما كان يسيراً منه فإن الله يتجاوز عنه !! ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ** ﴾ [سورة الكهف : ٥] .

وأعتقد أن هذا من التلبيس أو التدليس ، يضحك به قومٌ على البله من الناس كما ضحك عليهم إبليس ، حتى يبيحوا لأنفسهم التعامل بالربا الذي حرمه الله في قرآنه ، كما حرمه الرسول ﷺ في سنته .

والأمر في ذلك واضحٌ جلي ، فقد حرم الله تعالى الربا على طريقة التدرج ، كما كان ذلك في تحريم الخمر وغيره فقد أنزل الله تعالى أول ما أنزل في شأن الربا قوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ [سورة الروم : ٣٩] .

ثم أنزل قوله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ كمرحلة ثانية .

ثم أنزل قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا..** ﴾ .

حتى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)** ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٥ –٢٧٩] .

فلا يقولن قائل بعد نزول هذه الآيات – إنما حرم الربا أضعافاً مضاعفة !! .

كما لا يقول قائل : إنما حرم الخمر وقت الصلاة ، لقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ..** ﴾[سورة النساء : ٤٣]، بعد أن نزل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)** ﴾[سورة المائدة : ٩٠ – ٩١] ، لقد حرم الله الربا كله ، كما حرم الخمر كله ، كما حرم الموبقات كلها والذنوب جميعها ، وأعلن الحرب على المرابين ، ووعدهم بالمحق ، وما زاغت الأمة أو ضلت السبيل إلا بتعاملها بالربا الذي حرمه الله تعالى ، حتى عمَّ بلاؤه وكثُر وباؤه ، وانتشر خطره ، وعم ضرره ، فلم يكد ينجو منه بر ولا فاجر ، ولا مؤمن ولا كافر ، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله .

❁❁❁

" هل كل من يفرح يعذب ؟ "

(٤) قال تعالى : ﴿ **لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٨] .

والفهم الخاطئ يتمثل في الأخذ بظاهر الآية ، وهو فرح الإنسان بما أتى ، أو حبه أن يحمد بما لم يفعل أنه يعذب على ذلك .

ويتضح هذا المعنى في هذا الأثر : " عن حميد بن عبدالرحمن بن عوف أخبر أن مروان قال : اذهب يا رافع - لبوابه - إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى ، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ، لنعذبن أجمعين ، فقال ابن عباس : ما لكم وهذه ، إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ...** ﴾ الآية .

وقال ابن عباس : سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه [(١)] .

وجاء في معناها أيضاً ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري : أن رجالاً من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٥٦٨) ، ومسلم في المنافقين (٢٧٧٨) .

تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ، فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنـــزلت ﴿ **لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ** ﴾ الآية [(١)].

وروى ابن مردويه – أيضاً – عن ثابت بن قيس الأنصاري قال يا رسول الله ، والله لقد خشيت أن أكون هلكت ، قال : لم ؟ قال : نهى الله المرء أن يحب أن يُحمد بما لم يفعل ، وأجدني أحب الحمد ، ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال ، ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت، فقال رسول الله ﷺ « **أما ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة** » ، فقال : بلى يا رسول الله ، فعاش حميداً ، وقتل شهيدًا ، يوم مسيلمة الكذاب .

هذا وقد جاء في معناها العام أيضاً ، أنها تعني المرائين المتكثرين بما لم يعطوا ، كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ « **من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم تزده من الله إلا قلة** » وفي الصحيحين أيضاً : « **المتشبع بما لم يعطِ كلابس ثوبي زور** » هذا والله أعلم .

❁❁❁

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٥٦٧) ، ومسلم في المنافقين (٢٧٧٧) ، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢ ١٩١) .

"ما كيفية ذكر الله تعالى " ؟

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)** ﴾ [سورة آل عمران : ١٩-١٩١] .

وموضع الشاهد هو قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ** ﴾ .

والفهم الخاطئ للآية هو ما زعمه المتصوفة أن هذه الآية تحكي صورةً من صور الذكر الجماعي ، في أعيادهم ومناسباتهم التي يسموها " موالد " وفي حضراتهم في أضرحة الأولياء ، وساحات الدراويش ، إذ يقيمون حلقات الرقص – وهم يسموها بالذكر – فيجلس الشيخ – شيخ الطريقة – بين صفين من دراويش تعشقهم الرذيلة ، ودرويشات نفرت منهن الفضيلة ، ثم يصفق بيديه اللامعتين من الدسم الحرام ، إيذاناً ببدء الذكر ، ثم يخرج من شفتيه ومنخريه اسم الله ملحداً في حروفه وفي النطق به ، وغضون جبينه تهمز الحياء ، وتلمز التقوى .

هذا ومنشد القوم يطربهم بالغزل الداعر في " ليلى وسعاد " بما سمونه " مدح آل البيت " وبالدفوف يدق عليها الشيطان – يزعمون أنها تسبح الرحمن – وبالنايات تصفر فيها الشهوة، ثم يهب الشيخ ومعه المريدون وثمت يميلون يمنة ويسرة ، متأودة أعطافهم تأود الراقصات ، يلمحن في أيدي الرواد دنان الخمر والمسكرات ، وما هي إلا لحظة حتى تجن هذه الأجساد بما فيها من رغبات ،

ومن هادئ إلى سريع ، ومن سريع إلى أسرع ، وأمام وخلف ، وفوق وتحت ، ويمين وشمال ، في سبع طبقات ، تهد الجمال ، مع تأوه مخنث وتمايل خليع يتنافى وأحوال الرجال ، وبأصوات منكرة مبحوحة من عويل الخطيئة تسمع الاستغاثة بزينب أو نفيسة ، ربما لا يريدون زينب الطاهرة ولا نفيسة العابدة ، وإنما كل يغني على أنثاه ، !!

وهكذا يظلون في اقتراف هذا الزور بالساعات التي قد تستغرق ليلة حتى مطلع الفجر ، ولا فجر بين اختلاط بين الرجال والنساء ، وعيون زانية ، وزغاريد مغازلة ، وخلوة داعرة .

ثم بعد هذا يزعمون أنها كانت من ساعات التجلي !!

وإذا أنكرت عليهم تلك المنكرات ، احتجوا عليك بهذه ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ** ... ﴾ يزعمون أنهم بذلك يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، في بهلوانية رعناء ، وبطريقة بلهاء ، في صورة خرقاء ، وهيئة عمياء .

ولو أنصفوا لقالوا هذا في كتاب الله ، في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً** ﴾ [سورة الأنفال : ٣٥] . فذكر الصوفية هو عبادة المشركين ، وصلاة الجاهلين ، أو هو الذي جاء في التوراة — في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة : " ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص ، بدف، وعود ، ليرنموا هللوا يا ، سبحوا الله في قدسه ، سبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج الهتاف " [١] .

---

(١) العهد القديم : المزامير ص ٦٤١ .

فما أشبه الذكر الصوفي بتلك البدعة اليهودية ، أو حال عبدة العجل في اليهودية ، وقد اشتمل على الرقص والدف والعود والطبول وكل ما استحدث من آلات . !!

وإذا كانت تلك صورة مصغرة عن الذكر الجماعي الصوفي ، وأخالك تنـــزع إلى اتهامي بالتقصير أو القصور ، فليس أقل من ذلك – بدعة أو خرافة – ذلك الذكر الانفرادي ، الذي يوجب الصوفية فيه على الذاكر أن يستحضر شيخه ، ويستمد المدد منه ، ويلتزم بأوراده وحزبه .

وفي ورده يقول مثلا : يا دايم (٣٠٠ مرة) "وهو ليس من الأسماء الحسنى".

يا الله (١٠٠ مرة) ، يا لطيف (١٠٠٠ مرة) ، أستغفر الله (٣٠٠ مرة) ثم يقول : الله الله ويكررها ، كذلك : حي حي .. هو هو ، قيوم قيوم ، ويكرر ذلك .

ثم يشرع يقول بعض الأوراد التي وضعها له شيخ الطريقة . وما أعجب ذلك !!

فمنها – على سبيل المثال – " باسم الإله الخالق الأكبر ، وهو حرز مانع مما أخاف وأحذر ، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ، يلجمه بلجام قدرته ، أحميثاً، أطمى طميثا ، وكان الله قوياً عزيزاً ، حم عسق حمايتنا ، كهيعص كفايتنا ، فسيكفيكم الله وهو السميع العليم (ثلاثًا) .

" اللهم إني أسألك بالعرش والكرسي والنور الذي عليه سيدنا محمد ﷺ أن تسخر لي قلب من أحوجتني إليه ، من أراد لي سوءاً أخذه الله ، همساً همساً[١]،

لمساً لمساً ، لموساً لموساً ، مأموناً مأموناً ، أنا الأسد ، سهمي نفد ، منه المدد ، لا أبالي من أحد .

ألم نووا ، فلووا عما نووا ثم لووا عما نووا ، فعموا وصموا عما نووا ، فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ، أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ، وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا .

اللهم آمنا من كل خوف وهم وغم وكرب ، كدٍ كدٍ ،كرددٍ كرددٍ ، كردهٍ كردهٍ ، دهٍ دهٍ ، دهْ دهْ .. بها بها بها ، بهيا بهيا بهيا ، بهيات بهيات بهيات طهور بدعق محببة صورة سقفاطيس سقاطيم أمون ق أدم حم هاء أمين .. إلخ هذا الهراء .

فأي ذكر هذا ؟

هل هذا هو الذكر الذي أمر الله تعالى به ؟ وهل هكذا ذكر الرسول ﷺ ربه؟ أو هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم ؟ ما ذكروه باسمه المفرد ، ولا ذكروه في ميل وتأود ، ما ذكروه بقيادة واحد منهم ينطق بالاسم مصفقاً ، وينطقون به وراءه ، ما ذكروه ولهم منشد يغازل ليلى ، ما ذكروه وأصواتهم من ضجيجها تفزع الليل وتصك جنباته ، ما ذكروه بالنايات والطبول والدفوف ، ولكنهم ذكروه كما علمهم رسوله ﷺ .

ذكرٌ فيه ضراعة وعبودية خالصة ، ليس باسم مفرد ، ولا ضرب صدر بذقن ولا هزة الرأس إلى أخمص القدم ، ما فيه التناوح بالرأس يمنة ويسرة ، ولا نتع من سرة إلى قلب ، ما فيه دائرة يقف في مركزها نُصب يرقص الذاكرين

بتصديته ، والناظر في السنة المطهرة يرى ذكر رسول الله ﷺ وهو يخرج من قلب مؤمن ضارع ، ملأه حب الله وخشيته ، رهبة ورغبة وتقوى .

هذا والذي استدل به المتصوفة – من الآية – في غير محله ، وهذا القرآن الذي استشهدوا به ، حق أريد به باطل ، فهذه الآية ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ** ﴾ تحدثنا عن عموم الذكر في كل وقت وحين ، وعلى كل هيئة وكيفية ، وعلى شمولية الذكر في حياة المسلمين ، كما قال تعالى: ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ** ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢)** ﴾ [سورة الأحزاب : ٤١ – ٤٢] .

وهي كما قال ﷺ : لعمران بن حصين « **صلِ قائماً ، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب** » [(١)] . وهي عن الذين لا يقطعون ذكرهم لله في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم . وهي التي يذكرون الله على كل حالة في الدخول والخروج ، وعند النوم واليقظة وفي العمل والراحة ، وفي الصباح والمساء ، وعلى كل حال ، وهي من يذكر الله بالجهاد ، ومن يذكره بالصوم ، ومن يذكره بالقرآن ، ومن يذكره بالدعاء ، هي هذا كله ، فما أعجب استدلال الصوفية على طريقتهم الخرقاء ، وبهلوانيتهم الرعناء بهذه الآية التي فيها شفاء ودواء ، وأعجب منه أنهم يذكرون الله بالاسم المفرد " الله ، حي، قيوم " ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذرهم فِي خَوْضِهِمْ**

---

(١) رواه البخاري في تقصير الصلاة (١١١٧) ، وأحمد (٤ ٤٢٦) .

يَلْعَبُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٩١] . متناسين الآية بتمامها ، وأن قوله تعالى : (**قل الله**) إجابة على سؤال مطول في الآية ، وليس معناه أن نذكر الله باسمه المفرد ، ولو أنصفوا لقالوا : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[سورة الأعراف : ١٨٠]. ، وأعجب من هذا وذاك أن الصوفية يذكرون الله على أدوات الموسيقى ومزمار الشيطان ، ويستدلون بقول الرحمن ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] .

ولو أنصفوا لقالوا إنما هو لهو الحديث ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [سورة لقمان : ٦] .

❁❁❁

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة النساء

تصحيح المفاهيم الخاطئة في " سورة النساء "

" ما الحكمة في تعدد الزوجات " ؟

(١) قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا** ﴾ . [سورة النساء : ٣] .

والشبهة تتمثل في الآتي :

أ- ما الصلة بين القسط لليتامى وتعدد الزوجات ؟

ب- أليس من ظلم المرأة في الإسلام أن يبيح للرجل تعدد الزوجات و لم يبح للمرأة تعدد الأزواج ؟

جـ- ثم إن هذا التعدد مرهن بالعدل : ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ وهذا العدل مستحيل ، بنص القرآن - في نفس السورة - ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ . [سورة النساء : ١٢٩] .

د- وإذا كان التعدد المباح في الآية قد حدد بأربع نسوة ، فلماذا تزوج الرسول ﷺ بأكثر من ذلك ؟ حتى جمع في عصمته في آن واحد تسع نسوة ؟

هذه مجموع الشبهات حول الآية ، مما يدل على فهمها الخاطئ ، والذي انبنى عليه الكثير من صور الفساد وألوان الكفر ، وهذه الشبهات اشترك فيها مستشرقون ، ورددها مستغربون ، وقالها دعاة التحرر ، وكررها العلمانيون

وكل من تنكر لهذا الدين ، وأراد الخروج عن منهج رب العالمين .

ونبادر بتصحيح هذه المفاهيم الخاطئة – واحدة تلو الأخرى – في عجالة واختصار .

فنقول وبالله التوفيق : – أما عن الصلة بين القسط لليتامى وتعدد الزوجات، فإن الناظر للآيات العشر الأوائل في سورة النساء ، يجد أن جلها عن اليتامى ، فبعد الآية الأولى التي فيها الوصية الجامعة بالأمر بالتقوى بدأت الآية الثانية في الحديث عن اليتامى ﴿ **وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ**﴾ .

وهي آيات تأمر بالمحافظة على مال اليتيم ، والحرص عليه ، وعدم قربه إلا بأحسن صور حفظه واستثماره ، وبالعدل مع الأيتام ، حتى يصل العدل إلى صور تبين مدى ما وصل إليه الإسلام من عظمة في تشريعه ورعايةً لليتيم والضعيف . وفي الحديث « **إني أُحرَّجُ حق الضعيفين : اليتيم والمرأة** » (١).

فإذا جمعت المرأة بين اليتم والأنوثة ، فقد جمعت بين الضعيفين ، فأولاها الإسلام اهتماماً خاصاً وعناية بالغة بأن يكون العدل في أفضل صوره وهو القسط الذي يزن بالشعره ومثقال الذرة ، فقال تعالى ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا..** ﴾ لأنه كان الرجل – في الجاهلية وفي العصر الأول من الإسلام – يربي اليتيمة في حجره ، يكفلها ويصبح وصياً عليها ، فإن كبرت فأعجبه جمالها ، وسُر بمالها ، رغب في الزواج بها ، لأنها لا تكلفه شيئاً فهو

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٦٧٨) ، وقال في الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات ، وابن حبان (١٢٦٦) ، وأحمد (٢ ٤٣٩) ، والحاكم (١ / ٦٣) وصححه ووافقه الذهبي . وقوله " أحرج : أي أضيقه وأحرمه على من ظلمهما " .

وصي عليها ، وهو ولي أمرها ، فيتزوجها بما لها من مال وجمال ، دون أن يمهرها أو يعطيها حقها ، فنهاهم الله عز وجل عن أن يفعلوا هذا ، وأمر بالقسط معهن ، وإعطائهن مهورهن كاملة كغيرهن من مهر المثل كاملاً غير منقوص ، فإن لم يفعلوا فلهم في غيرهن سعة وطيب من النساء ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ..** ﴾ .

وكما نهى الإسلام عن هذه الصورة التي ليس فيها عدل ولا قسط مع اليتيمات ، نهى عن الصورة المقابلة لها ، إذ كان الرجل تكون اليتيمة عنده ، وليس لها مال ولا جمال ، أو كن قليلات المال والجمال فيرغب في الزواج عنها، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً** ﴾ [سورة النساء : ١٢٧] .

ومن وجوه الصلة والربط بينهما أيضًا – كما قال المفسرون عند تفسير الآية: لما نهى الله عز وجل عن الجور وعدم القسط مع اليتامى ، نهى كذلك عن الجور وعدم القسط عند تعدد الزوجات .

فإذا كان لا يجوز عدم القسط مع اليتامى ، فكذا لا يجوز عدم القسط عند تعدد الزوجات ، فلابد من العدل في كليهما ، فهذا وجه الصلة بين الكلام عن اليتامى وتعدد الزوجات .

وقد روى البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قوله تعالى :

﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ..** ﴾ قالت : يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن ، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ، قال عروة : قالت عائشة : وإنَّ الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية ، فأنزل الله ﴿ **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ** ﴾ قالت عائشة : وقول الله في هذه الآية الأخرى " وترغبون أن تنكحوهن " رغبة أحدكم عن يتيمته إذا كانت قليلة المال والجمال فنُهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال "(١).

(ب) قالوا : الإسلام ظلم المرأة لما أباح للرجل أن يعدد الزوجات ، فيظلمها ويكسر قلبها ، ثم لم يستخدم قانون المساواة بأن أباح لها تعدد الأزواج ، بنفس المنطق والقانون !!

فنقول **أولاً** : من الذي ظلم المرأة : قالوا الإسلام .

قلنا : وهذا الإسلام دين من ؟ فأجابوا : هو دين الله .

قلنا : إذاً الذي ظلم المرأة هو الله تعالى ، ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً** ﴾ . [سورة الكهف : ٥] .

ونقول أيضاً : وهل الظلم جائز على الله ؟ سبحانه: ﴿ **وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في الوصايا (٢٧٦٣) ، ومسلم في التفسير (٣٠١٨) .

[سورة الكهف : ٤٩] . وكما قال في الآية أيضاً : ﴿ **وَمَا ربُك بِظلامٍ لِلعبيد** ﴾ .
[سورة فصلت : ٤٦] .

وفي الحديث القدسي : « **إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** »[1] .

ثم نقول : ولماذا يظلم الله عز وجل المرأة ؟ ولحساب من ؟ أيظلمها لحساب الرجل ؟ ! أو من أجل سواد عينيه – كما يقولون ؟ !! أم لماذا ؟ .

أليست المرأة من خلق الله ، والرجل من خلق الله ؟ فلماذا يظلم الله خلقًا لصالح خلق آخر وهل الإسلام جعل تعدد الزوجات لصالح الرجل أم أنه لصالح المرأة في المقام الأول ؟ .

أفيدونا يا قوم ، كيف تنظرون إلى الأمور ؟ أم أنه ليست لكم عقول ؟ !! فهذا قوله الله تعالى : ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ..** ﴾ .

هل الأمر هنا للفريضة أو الوجوب ؟ كلا ، وإنما هو للإباحة ، فالتعدد ليس واجبا ولا فرضاً ، وإنما هو مباح !

ثم يقال : هل الإسلام هو الذي أمر بتعدد الزوجات ؟ أو ابتدعه على غير مثال سابق ؟.

كلا ، إنما الإسلام والناس جميعاً – سواء أكانوا أصحاب رسالات سماوية سابقة ، أو كانوا جاهلين أو غيرهم – يعددون الزوجات ، بلا حد ولا عد ،

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧) .

وبلا واجب ولا حق ، وبلا ضابط ولا رابط ، وبلا تشريع ولا قانون ، وبلا مراعاة لرابطةٍ زوجية ولا إنسانية !! فلما جاء الإسلام أراد أن يهذب من أمر تعدد الزوجات ، من كل ناحية ، في الكم والكيف ، فلم يبح التعدد بأكثر من أربع ، واشترط العدل مع القدرة على التعدد في كل شيء .

فهل يعاب هذا على الإسلام أم يمدح عليه ؟ وهل يُعاب الإسلام وحده على شيء جاءت به كل الرسالات ، وعرفته جميع الأمم ؟ !! .

فالوثنيون كانوا يعددون الزوجات ، والرومان كانوا يعددون الزوجات ، والإغريق كانوا يعددون الزوجات ، والفرس كذلك ، وعلى وجه الخصوص كان الملك يجمع مائة زوجة أو يزيد ، وفي الديانة اليهودية إباحة لتعدد الزوجات ، فتذكر التوراة أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يجمعون عشرات ومئات الزوجات ، فتقول مثلا — إن داود عليه السلام كان معه ثلاثمائة زوجة ، وسليمان كان معه سبعمائة زوجة وثلاثمائة جارية !!

وليس في الديانة النصرانية ما يمنع تعدد الزوجات ، وإذا كان تحريم الكنيسة لتعدد الزوجات لا يستند إلى نص صريح ، فمن أين جاء ؟ ولماذا تغض الكنيسة الطرف عن تعدد الزوجات بين المسيحيين في أفريقيا حتى القساوسة — في الوقت الذي تحرمه على المسيحيين في أوربا ، فأيهما المسيحية ؟!

ولنا أن نسأل : هل الإسلام هو مبتدع التعددِ ، مخالفاً بذلك الأديان التي سبقته ؟ وإذا كانت الأديان كلها — وثنية أو سماوية أباحت التعدد فلماذا يُسأل الإسلام عنه ، ويؤاخذ به ؟ فليسع الإسلام ما وسع الأديان قبله .

ثم نقول أيضاً : وهل المسيحيون الآن ، والرجل الأوربي والغربي خاصة اكتفي بواحدة فلم يتصل بأخرى ؟.

ألم ينشئوا علاقات متصلة طويلة المدى أو قصيرة بأعداد كبيرة من النساء الأخريات ؟ لماذا يحرمون تعدد الزوجات ويبيحون تعدد العشيقات ؟ لماذا تحرم الحليلات ، وتباح الخليلات ؟ لماذا يُرمي الابن لقيطاً ، أو ينشأ زنيماً ؟ ولا ينسب لأبيه الحقيقي ؟!!

لقد انتشر الزنا في الأوساط المسيحية في أوربا وأمريكا وفي المجتمعات التي حرمت تعدد الزوجات ، وزادت نسبة الأطفال غير الشرعيين ، فارتفعت على ٦٠ % في أمريكا ، وأوربا تزيد على ٧٥ % ، وفي بعض البلاد – في ظل تحريم تعدد الزوجات – نسبة خطيرة أن يكون ثلاثة أطفال عن طريق الحرام من كل أربعة مواليد ، في حين أن نسبة الأطفال غير الشرعيين أقل من ١ % في البلاد التي تطبق تعدد الزوجات ، أولا تكاد تذكر ، ويقول المنصفون من المستشرقين : والفضل يرجع في ذلك إلى مبدأ تعدد الزوجات الذي أقره الإسلام ، بطهره ونظافته وعفته .

لقد قلت : إن الإسلام لم يخترع تعدد الزوجات ولم يبتكره ، وإنما جاء ليحد منه في الوقت الذي أباح الإسلام التزوج بأربع على أقصى تقدير – بشروطه وقيوده – كان من الناس في الجاهلية من تحته مائة امرأة أو يزيد ، أو تحته عشرة نسوة ، أو أقل أو أكثر .

وفي الحديث : أسلم غيلان الثقفي وتحته عشرة نسوة ، فقال له النبي ﷺ :

« **اختر منهن أربعا ، وفارق سائرهن** »[١]. وكذلك هناك من أسلم عن ثمانية[٢] وعن عشرة فنهاهم الرسول ﷺ أن يمسكوا إلا أربعا[٣].

وأما زواج الرسول ﷺ بتسع ، فكان هذا شيئًا خصه الله به ، على نحو ما سنشير إليه إن شاء الله .

والحكمة في جعل العدد أربعًا للإنسان العادي معروفة ؛ أنه يستطيع أن يقوم بواجبهن وعلى أمرهن من كل ناحية ، وهذا في الغالب ، وهذا مرتبط بشرط من القدرة والعدل .

وأما لماذا أباح الإسلام التعدد و لم ينسخه كما نسخ بعض الشرائع السابقة؟ فذلك لأسباب أخلاقية واجتماعية وشخصية .

إن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة التي ختم بها الرسالات ، لهذا جاء بشريعة عامة خالدة تتسع للأقطار كلها ، وللأعصار قاطبة ، وللناس جميعاً ، إنه لا يشرع للحضري ويغفل البدوي ، ولا للأقاليم الباردة ، وينسى الحارة ، ولا لعصر خاص مُهْملا بقية العصور والأجيال ، إنه يقدر ضرورة الأفراد ، وضرورة الجماعات ، ويقدر حاجاتهم ومصالحهم جميعاً .

- فمن الناس من يكون قوي الرغبة في النسل ، ولكنه رُزق بزوجة لا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٥٣) ، وأحمد (٢ ١٣ ، ١٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (١٥٨٩) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٢٤١) ، وابن ماجه (١٩٥٢) وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (١٩٦٠) .

(٣) أخرجه الترمذي (١١٢٨) ، وابن ماجه (١٩٥٣) ، وأحمد (٤٦٠٩) وصححه الشيخ أحمد شاكر .

تُنجب ، لعقم أو لمرض أو غيره ، أفلا يكون أكرم لها وأفضل لها أن يتزوج عليها بمن تحقق له رغبته مع بقاء الأولى وضمان حقوقها ؟

ومن الرجال من يكون قوي الغريزة ، تاثر الشهوة ، ولكنه رزق بزوجة قليلة الرغبة في الرجال أو ذات مرض ، أو تطول فترة الحيض عندها ، أو نحو ذلك ، والرجل لا يستطيع الصبر كثيراً على النساء أفلا يباح له أن يتزوج بأخرى حليلة بدل أن يبحث عنها خليلة ؟ .

ونساء ترملن صغاراً أو طلقن بلا جريرة ، وقد يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال – وخاصة في أعقاب الحروب التي تلتهم صفوة الرجال والشباب – وهنا تكون مصلحة المجتمع ومصلحة النساء أنفسهن أن يكن ضرائر ، لا أن يعشن العمر كله عوانس ، محرومات من الحياة الزوجية ، وما فيها من سكون ومودة ، وإحصان ، ومن نعمة الأمومة ، ونداء الفطرة ، إنها إحدى طرائق ثلاث أمام هؤلاء الزائدات عن عدد الرجال القادرين على الزواج !

١- فإما أن يقضين العمر كله في مرارة الحرمان .

٢- وإما أن يُرخي لهن العنان ليعشن أدوات لهو لعبث الرجال الحرام !! .

٣- وإما أن يباح لهن الزواج برجل متزوج قادر على النفقة والإحسان .

أما الاحتمال الأول : ففيه ظلم كبير لعدد من النساء ، بغير جرم اقترفنه فإنهن لم يجئن إلى الحياة برضاهن .

وأما الاحتمال الثاني : جُرم في حق المرأة ، وفي حق المجتمع ، وفي حق الأخلاق ، وهو للأسف – ما سار عليه الغرب ، فقد حرم تعدد الزوجات ،

وأباح تعدد الصديقات والعشيقات ، أي أن الواقع فرض عليهم التعدد ، ولكنه تعدد لا أخلاقي ولا إنساني ، لأن الرجل يقضي من ورائه وطره وشهوته ، دون أن يلتزم بأي واجب أو يتحمل أية تبعة تأتي نتيجة لهذا التعدد .

أما الاحتمال الثالث : فهو وحده الحل العادل ، والنظيف ، والإنساني ، والأخلاقي ، والبلسم الشافي ، وهو الذي جاء به الإسلام ، وحكم به ﴿ **يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ . [سورة المائدة ٥٠] .

هذا هو تعدد الزوجات الذي أنكره الغرب المسيحي على المسلمين ، وشنع عليهم ، على حين أباح لرجاله تعدد العشيقات والخليلات ، بلا قيد ولا حساب ، ولا اعتراف بأي التزام قانوني أو أدبي ، نحو المرأة ، أو الذرية التي تأتي ثمرة لهذا التعدد اللاديني واللاأخلاقي ، فأي الفريقين أقوم قيلا . وأهدى سبيلاً ؟ !!

إن التعدد في الإسلام جائز بشروطه المادية والأدبية ، فإذا لم تتوفر هذه الشروط فلا تعدد ، فلابد أن يثق المسلم في نفسه بأن يعدل بين زوجته أو زوجاته في المأكل والمشرب والمسكن والمبيت والنفقة ، فمن لم يثق في نفسه بالقدرة على أداء هذه الحقوق بالعدل والتسوية حرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة ، كما قال تعالى : ﴿ **فإن خِفتم ألاَّ تَعدِلُوا فَوَاحِدَة** ﴾ . [سورة النساء : ٣٠] .

- وقال عليه الصلاة والسلام : « **من كانت له امرأتان يميل لأحدهما على**

الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطاً أو مائلاً » [١].

والميل الذي نهى عنه هذا الحديث هو الجور على حقوقها ، لا مجرد الميل القلبي ، والعدل المشروط في الآية هو العدل المادي ، وهو مستطاع ، وليس العدل القلبي ، لأن الرجل قد ينشط في ليلة ولا ينشط في أخرى ، فالأمر مرتبط بالوسع والطاقة مع مراعاة التقوى ، وليس العدل في الجماع منها على نحو ما سنوضحه في الجزئية القادمة إن شاء الله .

وقولهم : لماذا أباح الإسلام تعدد الزوجات للرجل ، ولم يبح تعدد الأزواج للمرأة ؟ من أعجب العجب !!

فكيف يكون للمرأة أكثر من رجل ، كيف تلبي رغباتهم ، كيف تجمع بينهم، لمن تنسب الولد منهم ، والحمل لأي رجل منهم ؟

ولمن تكون قوامه الأسرة ؟ ستكون لها على الأزواج أم لواحد منهم أم لهم جميعهم ؟ أي شرع أو دين أو خلق هذا؟

وماذا يراد بالرجال ؟ وماذا يراد بالنساء ؟ وماذا يراد بالمجتمعات يا قوم ؟ !!! .

(جـ) قالوا : الإسلام أباح تعدد الزوجات مشروطاً بالعدل ﴿ **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ ثم بين القرآن أن هذا العدل مستحيل في قوله تعالى : ﴿ **ولنْ تَستطِيعُوا أنْ تَعدِلُوا بينَ النسَاءِ ولوْ حَرِصتُم** ﴾ فيكون التعدد حراماً ،

---

(١) أخرجه أبو داود في النكاح (٢١٣٣) ، وابن ماجه (١٩٦٩) ، والترمذي (١١٤١) ، وأحمد (٢ ٣٤٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبو داود (١٨٦٧) .

بحكم القرآن !

ولو كان مباحا لكان ذلك من التناقض في القرآن فكيف؟

أقول : إن هذا الكلام من المضحكات المبكيات ، وهو يذكرنا بكلام أهل السكر والعربدة .

يحكي أن رجلاً مخموراً سكيراً ، كان يحب تعاطي الخمر ، فذكر له أن الأحناف فرقوا بين النبيذ والمسكر من العنب، وقيل له : إن المالكية والشافعية قالوا : إن الأشربة كلها واحدة ، فضاع الحكم على النحو التالي :

أباح العراقي النبيـــذ وشربه   وقال حلالان المدامـــة والخمـــر

وقال الحجازي الشرابان واحد   فحلت لنا من بين قوليهما الخمر

على هذا النحو من الاستدلال المضحك ، أو السخرية بالأحكام وجدنا ناساً — للأسف — يقولون برأيهم الشخصي : إن التعدد حرام ، بطريقة ذلك السكير، وبفكر الخمري الذي جاء للآية فقسم نصفها واستدل بهذا على وجهة نظره ، فقرأ ﴿ **فويلٌ للمصلين** ﴾ ولم يكمل ، ثم أنشأ يقول :

ما قال ربك ويل للأُلى سكروا   بل قال ربك ويل للمصلينا

على هذا النحو وجدنا أناسًا يتكلمون في الإسلام ، ويفسرون القرآن فاعجب في زمن كله عجب .

إن القرآن قال فعلاً ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ هذا صحيح ،

والمقصود به العدل في حدود الطاقة من سكن ونفقة ومبيت ونحوه فإنه مستطاع.

والآية الأخرى : ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا ..** ﴾ بينت أن العدل المطلق مستحيل ، وأن المقصود به عدم القدرة على العدل في حدود الميل القلبي والعاطفة الإنسانية أو هو " الحب " .

وذلك أمر قلبي لا يتحكم الإنسان فيه ، لأن القلوب بيد الله ، " والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبها كيف يشاء " ، فإذا أحب الإنسان زوجة أكثر من أخرى ، لسبب أو لآخر ، فإن ذلك ليس معناه أن يظلمها أو لا يعدل بينهما فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، لا هي زوجة ولا هي مطلقة ، وإنما العدل يقتضي عدم إظهار ذلك الحب للأخرى أو الأخريات .

وهذا رسول الله ﷺ كان يحب عائشة أكثر من بقية زوجاته ، فلا يظهر هذا لهن ، وفي نفس الوقت يبلغ به العدل مداه ، ويعتذر إلى ربه في هذا الأمر الذي لا يملكه ، فيقول : « **اللهم إن هذا قَسْمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك** »[(١)]. وفي رواية « **فلا تلمني فيما..** » يعني بما لا يملكه ! أمر القلب والميل العاطفي إلى إحداهن خاصة « **وكان إذا أراد سفراً أقرع بينهن ، فأيتهن خرج سهمها سافر بها** »[(٢)]، وإنما فعل ذلك دفعاً لوخز الصدور وترضية للجميع ، وقد حججن جميعاً معه ﷺ .

---

(١) أخرجه أبو داود في النكاح (٢١٣٤) ، والترمذي في النكاح (١١٤٠) ، وابن ماجه في النكاح (١٩٧١)، وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء (٧ / ٨٣ – ٨٥) .

(٢) رواه البخاري في الهبة (٢٥٩٣) .

وقد قال تعالى : ﴿ **وَإِن تُصلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ أي وإن أصلحتم في أموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتقيتم الله في جميع الأحوال غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض [١].

(د) نصل إلى النقطة الأخيرة ، قالوا : إذا كان التعدد المباح في الآية قد حدد بأربع نسوة .

فلماذا تزوج رسول الله ﷺ بأكثر من ذلك ، حتى جمع في عصمته تسع نسوة في وقت واحد ؟ !!

كما زعموا أيضاً : أن ذلك يدل على شهوانية النبي ﷺ وأنه رجل مزواج !!

فنقول من المعلوم أن النبي تزوج بثلاث عشرة زوجة ، بنى بإحدى عشر زوجة ولم يبن باثنتين وأن أولى زوجاته ﷺ كانت " خديجة بنت خويلد " رضي الله عنها ، تزوجها وهو ابن الخامسة والعشرين من عمره وهي بنت الأربعين من عمرها ، وكانت ثيبًا ، قد تزوجت قبله برجلين ، ولم يجمع عليها زوجة أخرى حتى ماتت رضي الله عنها وأرضاها ، وقد بلغ الخمسين من عمره ، أو إحدى وخمسين سنة .

فهل هذا حال رجل شهواني يتزوج بثيب – سبقته برجلين – وتكبره بخمسة عشر عاماً ، ثم يقضي معها فترة شبابه وزهرة عمره دون أن يلتفت إلى غيرها ؟ أهذه هي الشهوانية يا قوم ؟ !!

---

(١) انظر ابن كثير جـ ١ ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ .

وخديجة هي المرأة الوحيدة التي تزوجها النبي ﷺ لأنها كانت قبل بعثته ونبوته، وأما بقية زوجاته اللاتي جمع بينهن ، ما بين الخمسين إلى الستين من عمره ، فإنه لم يتزوج بهن وإنما زُوجهُنَّ أي بأمر الله تعالى ، لأنه صار لا يتحرك إلا عن وحي ، ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)** ﴾ [سورة النجم : ٣ ، ٤] ، فهو بعد نبوته صار له قانون آخر ، يختلف عن بقية الناس ، ولذا فزواجه بهذا العدد من النساء كان من خصوصياته ﷺ ، ومعلوم أن لكل نبي من الخصائص ما ليس لأمته ، وهي لا تنحصر في هذه ، ولا مجال هنا لحصرها .

ولاشك أنه بخلاف الخصوصية كانت هناك حكمة – بل حِكم – من وراء هذا الزواج ، منها ما علمناها ، ومنها ما لم نعلمها .

كان منها الحكمة التشريعية أو الاجتماعية ، أو التعليمية ونحوها . لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يبقى زوجات النبي ﷺ في عصمته ، لأنه لو طلقهن ، لا يحل لأحد أن يتزوجهن بقوله تعالى :

﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً** ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٣] . فماذا يكون مصيرهن ؟

ولما خيرهن النبي ﷺ بين أن يردن الله ورسوله والدار الآخرة ، أو يردنَّ الدنيا ، فكلهن اختار الله ورسوله والدار الآخرة ، فكافأهن الله عز وجل بألا يتزوج عليهن ، فقال الله عز وجل له : ﴿ **لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً** ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٢] . وكان ذلك قبل نزول آية تحديد التعدد .

إذاً الله عز وجل هو الذي زوجه ، وهو الذي حرم عليه أن يتزوج بعدهن ، ولم يأذن له بطلاقهن ، فهل يعاب على الرسول ﷺ في هذا ؟ سبحان الله !!

ثم أين هذه الشهوانية في هذا الزواج الذي ارتبط بأسبابه ، وكان من وحي الله عز وجل ، عدا عن خديجة رضي الله عنها – كما أشرت – ولا شهوانية في الزواج بها على الإطلاق .

ثم بقية الزوجات كلهن ثيبات ، عدا عن " عائشة " رضي الله عنها الوحيدة التي كانت بكراً ، وكانت صغيرة بنت التاسعة من عمرها ، ومثلها في سنها أو جسمها لا يشتهي ، ولكن الله عز وجل زوجه بها ، ونزل جبريل بصورتها ، وأراها الله لنبيه في المنام مرات حتى تزوجها ، فوطد بهذا الزواج صلته بصاحبه الصديق رضي الله عنه ، كما وطد صلته بصاحبه الثاني " عمر " بزواجه من ابنته " حفصة " – وفي ذات الوقت زوج عثمان بابنتيه " رقية وأم كلثوم " وعليًا " بفاطمة " رضي الله عنهم أجمعين – .

وتزوج " بزينب بنت جحش " لحكمة تشريعية معروفة ، وتزوج " بجويرية بنت الحارث " – وكانت بنت زعيم قومها – تأليفاً لقلبه وقلب قومه ، فلما صاهرهم النبي ﷺ أسلموا كلهم ، وكل من كان معه أسير من بني المصطلق أطلقه وهو يقول : أصهار رسول الله ﷺ ، فيعتقه ، ثم يُسْلِم الأسير ، فكانت " جويرية بنت الحارث " أيمن امرأة على قومها ، إذ أسلم قومها لما عرض الرسول ﷺ الزواج بها .

وكذا " صفية بنت حيي بن أخطب " زعيم اليهود ، كما ألف النبي ﷺ

قلب أبي سفيان لما تزوج ابنته " رملة أم حبيبة " فلما سمع أبو سفيان بذلك قال: ومن لها مثل محمد ، فهو الشاب الذي لا يجدع أنفه ، وظل أبو سفيان يفخر بنسبه من محمد ﷺ حتى امتن الله عليه بالإسلام .

و " أم سلمة " لما مات زوجها في غزوة أحد طلب النبي ﷺ أن يتزوجها وأن يكفل أيتامها ، وعلى شاكلتها كانت " سودة بنت زمعة " و " زينب بنت الحارث " .

وهكذا كل واحدة من زوجات النبي ﷺ كانت لها قصة ، وكانت من ورائها حكمة .

ولقد كان في بقائهن في عصمة النبي ﷺ حكمة جليلة حيث أصبحن مدرسة بعد النبي ﷺ وبعد أن عرفن الأحوال الخاصة لرسول الله ﷺ علّمنها للمؤمنين والمؤمنات .

وقمن بعبء في هذا الدور وذلك المجال وفي رواية الحديث – خاصة عائشة رضي الله عنها – ما كان هذا العبء لتقوم به واحدة أو أربع ، وإنما يحتاج إلى جميعهن .

هذا ولا يخفي أننا – معشر البشر – قد نعرف بعض الحكم ، وتخفى علينا بقيتها ، ولكننا نعلم أن هذا دين ، وأنَّ فعل الله منـــزه عن النقص والعبث ، وأن حكمه مُبرء عن الجهل والهوى ، والقصور التقصير ، وأن الإنسان إذا لم يعلم الحكمة ، فلأنه عبد ، لا يتعامل مع الله تعالى بالندية ، وعليه أن يوقن بأن حكمة الحكم أن الله قد حكم .

وأما هؤلاء الذين يعيبون على منهج الله ، أو على دين الله ، أو على رسول الله ، فكأنهم لا يدرون أنهم يعيبون على الله تعالى !! ومن هذا الشقي الذي يتطاول على الله ؟

ويتهم منهج الله تعالى ، وهو أعمى لا يبصر الحقيقة ، وجاهل لا يدرك مغزى الأشياء .

فالذي يسأل عن الحكمة له الحق في أن يعرفها ، وتبين له وجوهها ، وأما الذي في قلبه مرض فنحن لا نملك له من الأمر شيئاً ، ﴿ **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [سورة القصص : ٥٦].

❁❁❁

" لماذا للذكر مثل حظ الأنثيين "

(٢) قال تعالى : ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ..** ﴾ [سورة النساء : ١١] .

قالوا : لماذا ظلم الإسلام المرأة ، وأعطاها نصف الرجل في الميراث ؟ !!

فنقول : **أولاً** : يجب النظر إلى قولهم " الإسلام ظلم المرأة " على أنه اتهام مباشر لله عز وجل صاحب هذا الدين ، وهذا التشريع ، وهذا ما لا يجوز أبداً أن يتهم العبد به ربه ، وينتقص دينه !

ثانياً : جاء الإسلام والمرأة لا ترث بل كانت هي تورث كبعض أمتعة البيت، وتكون لمن سبق إليها ، وألقى بردائه عليها ، ولو كانت زوجة أبيه !!

فصانها الإسلام وكرمها وحافظ عليها ، وحرم على الورثة أن يرثوها ، ثم أمر بتوريثها ، وفي هذا نزلت آيات من سورة النساء ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ..** ﴾ [سورة النساء : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [سورة النساء : ٢٢]

وقد ورد في ذلك أنه لما مات " أبو قيس بن الأسلت " قام ابنه " حصن " فورث نكاح امرأته ، ولم يورثها من المال شيئاً ، فلم تطق ذلك صبراً — واستنتجت أن هذا العصر الذي انبثق فيه نور الإسلام وظهرت تعاليمه تتلألأ في وسط هذا الظلام الحالك لا يمكن بحال أن يقر هذه العبودية الممقوته التي سارت

عليها الجاهلية قروناً من الزمان – فذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرته بأمرها ، فأنزل الله في شأنها ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً...** ﴾[(١)].

وما روى أيضاً : أن " سعد بن الربيع " رضي الله عنه ، لما استشهد يوم بدر، وكان قد خلف بنتين وزوجة ، فاستولى الأخ على ماله ، فجاءت امرأته إلى النبي ﷺ وقالت : إن سعداً قد قتل معك وخلف ابنتين ، وقد غلب عمهما على ما لهما ، ولا يُرغب في النساء إلا بمال ، فقال رسول الله ﷺ : لم ينـزل الله تعالى في ذلك من شيء ، ثم ظهر أثر الوحي عليه ، فلما سُري عنه قال : قفوا مال سعد ، فقد أنزل الله تعالى في ذلك ما إن بينه لي بينته لكم ، وتلا عليهم قوله تعالى:﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً** ﴾ [سورة النساء :٧].

ثم نزل قوله تعالى : ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ..** ﴾ فدعا رسول الله ﷺ أخا سعد وأمره بأن يعطي البنتين الثلثين ، والزوجة الثمن وله ما بقي [(٢)]. ثم تتابع الوحي في تنظيم شأن الميراث على النحو المعروف في الشريعة الغراء .

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ** ﴾ ليست على إطلاقها ، وليست في كل الحالات ، ففي الميراث نجد أن الإسلام سوى بين نصيب الذكر

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٦٥ بتصرف .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٩٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٦ ٢٢٩) وأحمد (٣ / ٣٥٢) والحاكم (٤ / ٣٣٤) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٥١٥) .

والأنثى كما في حالة وجود أبوين ، مع ابن أو مع بنتين فصاعدا ، فإن نصيب الأم في هذه الحالة يكون مساوياً لنصيب الأب ، فكلاهما يأخذ السدس ، لقوله تعالى : ﴿ **النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ** ﴾ [سورة النساء: ١١] .

وكذلك في حالة وجود إخوة وأخوات لأم ، فإنهم جميعاً يستحقون ثلث التركة يقسم عليهم بالتساوي ، لا فرق بين ذكورهم وإناثهم ، وهذا ما لم يحجبهم عن الميراث حاجب ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ **وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَوِ امْرَأَةٌ (أي لا ولد له ولا أب) فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ** ﴾ [سورة النساء : ١٢] ، ولم يقل : للذكر مثل حظ الأنثيين .

وإنما للذكر مثل حظ الأنثيين في الأولاد والإخوة والأخوات ، وللزوجة من زوجها المتوفى نصف الزوج من تركة زوجته ، ونصيب الأب من تركة ولده يبلغ أحياناً مثلي نصيب الأم أو أكثر من ذلك ، فيكون مثليه إذا لم يكن مع الأبوين من الورثة أحد ، أو لم يكن معهما إلاَّ بنتًا واحدة أو زوج أو زوجة .

ففي الحالة الأولى للأم الثلث وللأب الثلثان تعصيبًا ، وفي الحالة الثانية تأخذ البنت النصف وتأخذ الأم السدس والأب السدس فرضًا ، والسدس الباقي تعصيبًا ، وفي الحالتين الثالثة والرابعة يأخذ الزوج النصف أو تأخذ الزوجة الربع، وتأخذ الأم ثلث الباقي ويأخذ الأب ثلثين وأحياناً يكون نصيب الأب أكبر من مثلي نصيب الأم وذلك مثلاً إذا كانا مع إخوة أو أخوات ، فإن الأم تأخذ السدس فرضاً ويأخذ الأب خمسة أسداس تعصيباً ويحجب الإخوة .

رابعاً : لماذا هذه التفرقة ؟ لقد بُنيت هذه التفرقة على أساس التفرقة بين أعباء الرجل الاقتصادية في الحياة وأعباء المرأة ، فمسئولية الرجل في الحياة من الناحية المادية أوسع كثيراً في الأوضاع الإسلامية من مسئولية المرأة ، فالرجل هو رب الأسرة وهو القوَّام عليها والمكلف بالإنفاق على جميع أفرادها بالفعل إن كان متزوجاً ، أو سيصبح مكلفاً بعد ذلك بعد زواجه ، على حين أن المرأة لا يكلفها الإسلام حتى الإنفاق على نفسها ، فكان من العدالة إذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون في ذلك ما يعينه على القيام بهذه التكاليف الثقيلة التي وضعها الإسلام على كاهله ، وأعفي منها المرأة رحمة بها وحدباً عليها وضماناً لسعادة الأسرة ، بل إن الإسلام قد عدل غاية العدل في رعايته للمرأة إذ أعطاها نصف نصيب نظيرها من الرجال في الميراث مع إعفائه إياها من أعباء المعيشة ، وإلقائها جميعها على كاهل الرجل .

ولكن بعض الجهلة يستغل فضل الرجل على المرأة في الميراث ليهينها ويزدري منـــزلتها ، وكم أسيء إلى ديننا من أولئك الجاهلين ، وأعتقد أنه ليس من تكريم المرأة تكليفها بالارتزاق في أحوال مقلقة ، ولا من تكريمها أن تجمع بين وظيفة ربة بيت ، ووظيفة أخرى ترهق أعصابها وتستغرق انتباهها ، ولا لتوفر مهراً للرجل المنتظر ، لا .. وهنا يوجب الإسلام نفقتها على أبيها أو أخيها أو ذوي قرابتها ، فإن لم يوجد أحد ، أرصد لها ما يكفيها من بيت مال المسلمين .

وإعانة الرجل على النهوض بهذا العبء – وغيره – جعل حظه في أغلب المواريث ضعف حظ المرأة ، والحق أن الإسلام لو لم يجعل نصيب المرأة في الميراث نصف نصيب الرجل لاختل ميزان المساواة وأصبحت كفة المرأة المادية

أرجح ، وذلك لأن الرجل مكلف في الإسلام بالإنفاق على المرأة – كما وضحنا – وهذا معناه أن ماله سوف يستهلك من الواجبات التي كلف بها على حين يجمد مال المرأة فلا ينقص ، فلا أقل من استدراك هذه الحال بزيادة نصيبه في الإرث ، فهذه الزيادة ليست تفضيلاً ، وإنما هي تعويض مادي بحت .

إن الرجل هو المكلف بالإنفاق ، ولا يتطلب من المرأة أن تنفق شيئاً على غير نفسها وزينتها ، إلاَّ حيث تكون العائل الوحيد لأسرتها وهي حالات نادرة في ظل النظام الإسلامي ، لأن أي عاصب من الرجال مكلف بالإنفاق ولو بعدت درجته ، فأين الظلم الذي يزعمه دعاة المساواة المطلقة ؟.

إن المسألة مسألة حساب ، لا عواطف ولا ادعاء ، تأخذ المرأة – كمجموعة – ثلث الثروة الموروثة لتنفقها على نفسها ، ويأخذ الرجل ثلثي الثروة لينفقها أولاً على زوجته – أي على امرأة – وثانياً على أسرة من والدين وأولاد ، فأيهما أكثر من الآخر بمنطق الحساب والأرقام ؟.

والرجل ينفق على الأسرة تكليفاً لا تطوعاً ، ومهما كانت ثروة المرأة الخاصة ، فالرجل ينفق عليها ولا يأخذ منها شيئاً كأنها لا تملك شيئاً ، ولها أن تشكوه إذا امتنع عن الإنفاق ، أو قتر بالنسبة لما يملك ، ويحكم لها الشرع بالنفقة أو بالانفصال . فهل بقيت بعد ذلك شبهة في القدر الحقيقي الذي تناله المرأة من مجموع الثروة ؟

وهل هو امتياز حقيقي في حساب الاقتصاد أن يكون للرجل مثل حظ الأنثيين ، وهو مكلف ما لا تكلفه الأنثى ؟ على أن هذه النسبة إنما تكون في

المال المورث بلا تعب ، فهو يقسم بمقتضى العدل الرباني الذي يعطي " لكلٍ حسب حاجته " ومقياس الحاجة هو التكاليف المنوطة بمن يحملها . أما المال المكتسب فلا تفرقة بين الرجل والمرأة ، لا في الأجر على العمل ، ولا في ربح التجارة ولا ريع الأرض .. إلخ ، لأنه يتبع مقياساً آخر هو المساواة بين الجهد والجزاء ، وإذًا فلا ظلم ولا شبهة ظلم وليس وضع المسألة أن قيمة المرأة هي نصف قيمة الرجل في حساب الإسلام ، كما يفهم العوام أو يزعم أعداء الإسلام [١].

❁❁❁

(١) راجع بتوسع رسالتنا " التسامح والتعصب بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، " دراسة مقارنة " .

" هل المصر على المعصية مخلد في النار " ؟

(٣)قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ [سورة النساء : ١٥] .

والفهم الخاطئ لهذه الآية أن استدل بها الخوارج – قديماً – وأهل التكفير والهجرة – حديثا – على كفر مرتكب الكبيرة ، والمصر على المعصية ، وذلك بناءً على أن الله تعالى حكم على ذلك العاصي والمتعدي لحدود الله ، بالخلود في النار ، ولا يخلد في النار إلا كافر ، لذلك فالمصر على المعصية كافر مخلد في النار والعياذ بالله تعالى .

وذلك لقوله تعالى أيضاً : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾ [سورة الجن : ٢٣] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً** ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٦] ، مساوية لقوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً** ﴾ [سورة النساء : ١١٦] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ **بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [سورة البقرة : ٨١] ، وأمثال ذلك من الآيات .

والرد على ذلك أن هذه الآيات فُهمت على غير وجهها ، ولم يحسن الاستدلال بها ، ذلك أنه أخذ بعموم النصوص ، وهذه النصوص كلها مقيدة بقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ....** ﴾ [سورة: النساء ٤٨] .

وذلك لأن مطلق المعصية يدخل فيه الشرك وما دون الشرك .

فأما الشرك فإنه لا يغفر ، وأما ما دون الشرك فهو في نطاق المشيئة .

فإذا ذُكرت كلمة " المعصية " في الآية ، وترتب عليها الكفر ، أو الخلود في النار ، عَلِم أنها تعني الشرك ، وإذا لم يترتب عليها الخلود الأبدي في النار ، فهي بمعنى ما دون الشرك ، الذي هو داخل في نطاق ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾، فما هذا الذي سيغفر ؟ أهي الطاعات ؟ ! كلا ، لأن الطاعات يثاب عليها الإنسان ، ولا يقال ستغفر له .

أهو الشرك ؟ الشرك لا يغفر إلا بتوبة ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [سورة الأنفال : ٣٨] .

فلا شك أن الذي سيغفر هي " المعاصي " حتماً ، وليس شيئاً آخر ، ولكن في نطاق المشيئة ، ولا يمكن أن تكون المعاصي التي تاب الإنسان منها ، لأن التي تاب الإنسان منها تغفر بالتوبة والاستغفار ، فهذه التي هي في نطاق المشيئة " معاصي لم يتُب منها " ومع ذلك لم يحكم عليه القرآن بالكفر أو الخلود في النار مع أنه مُصر عليها ولم يتب منها ، وكذلك في السنة المطهرة ، فالأمر كما وضحه النبي ﷺ في حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه – قال : (كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس ، فقال : «**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم** » ، وقرأ الآية التي أخذت على النساء.

ثم قال : « **فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً**

فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » [١].

ولم يقل فهو كافر مخلد في النار !!

هذا ولا يمكن أن تستساغ الآية على هذا الفهم القاصر ، والمعنى المتناقض ، فيجب أن ندرك معنى قوله تعالى : ﴿ .. **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ** ﴾ [سورة النساء : ١٣] ، فيبنى عليه حسب الفهم الخاطئ للآية أن من يطع الله ورسوله – مجرد طاعة واحدة – فهو مؤمن ، مخلد في الجنة ، والذي يعصي الله ورسوله – مجرد معصية أو يصر عليها – فهو كافر ، مخلد في النار ، فيترتب على ذلك إذا جمع المرء بين الطاعة والمعصية ، يحكم عليه بالإيمان والكفر معاً ، وبالخلود في الجنة والنار في آن واحد ، وهذا خلط وتناقض في دين الله تعالى ، لا يجوز .

ثم يقال : لماذا تُبنى الأحكام على آيات الوعيد دون آيات الوعد ؟

ولماذا لا يجمع بين النصوص في الباب الواحد حتى يستخرج الحكم صحيحاً.

إنه بالنظر إلى قوله ﷺ : « **يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان** » [٢].

على سبيل المثال ، يدل على أن الآية الكريمة لم تتحدث عن مجرد معصية ، وإنما تتحدث عن معصية الشرك ، لأن كل شرك معصية ، وليست كل معصية

---

(١) أخرجه البخاري (١٨) ، ومسلم في الحدود (١٧٠٩) .

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان (٤٤) ، ومسلم في الإيمان (١٩٣) والترمذي (٢٥٩٣) .

شركا فإذا كان لا يُخلد في النار إلا مشرك ، والآية حكمت بالخلود في النار ، فهو الشرك قطعاً ، جمعاً بين النصوص ، التي دلت على أنه لا يخلد في النار مسلم .

فإن قالوا : نصوص الوعيد : أن من مات على معصية دخل النار خالداً فيها، قلنا : وهذا أيضا يرد على نصوص الوعد ، فنقول : من مات على طاعة دخل الجنة ، وإن تعجب فعجب هذه التفرقة التحكمية بين النصوص ، كما زعموا أن عمومات الوعد للبشارة فقط ، أما عمومات الوعيد للحكم أولاً ، وللترهيب والإنذار ثانياً !! فمن أين هذه التفرقة ، وهذا هو التحكم بعينه ، و التقديم بين يدي الله ورسوله ، والقول في الإسلام بالرأي والهوى . !!

وهذا القرآن الكريم يبين أنه ليست كل معصية شركاً ، بل تطلق على الشرك وعلى ما دون الشرك ، فأطلقت على ما دون الشرك ، في قوله تعالى : ﴿ **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ** ﴾ [سورة طه : ١٢١] ، فالمعصية هنا ليست من قبيل الشرك لاستحالته على الأنبياء .

وأطلقت على الشرك في مثل قوله تعالى : ﴿ **فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً** ﴾ [سورة الحاقة : ١٠] .

وكذلك : ﴿ **فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً** ﴾[سورة المزمل :١٦] ، وهذه الآية التي نحن بصددها ، وفي الحديث « **من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى** »[١].

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٠) ، وأحمد (٢ / ٣٦١) ، وابن حبان في الموارد (٢٣٠٦) .

فيتضح لنا أن المعاصي دون الشرك حتماً ، ويسلم القول بأن ليست كل معصية شركاً ، وإنما الشرك معصية .

وكذلك مثل كلمة المعصية مرادفاتها في القرآن الكريم نحو السيئة والخطيئة والإثم والذنب ، فكلها ترد بمعنى الشرك ، وبمعنى ما دون الشرك ، وتطلق عليهما أحياناً في سياق واحد .

ومثاله : كلمة " الخطيئة " جاءت بمعنى الشرك في قوله : ﴿ **بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [سورة البقرة : ٨١] .

وبمعنى الشرك ، وما دونه في قوله تعالى : ﴿ **مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً** ﴾ [سورة نوح : ٢٥] وبمعنى ما دون الشرك حتماً ﴿ **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** ﴾ [الشعراء: ٨٢] وكلمة " السيئة " ترد بمعنى الشرك في قوله تعالى : ﴿ **بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً...** ﴾ .

وبمعنى الشرك وما دونه في قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [سورة هو : ٧٨] .

وبمعنى ما دون الشرك في قوله : ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً** ﴾ [سورة النساء : ٣١] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [سورة الشورى : ٢٥] .

وكلمة " الإثم " بمعنى الشرك في قوله : ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ [سورة النساء : ٤٨] .

وكذا ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

وعلى ما دون الشرك في مثل قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾ [سورة النجم : ٣٢] .

وهذا " الذنب " يطلق على الشرك في مثل قوله تعالى : ﴿ **فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا** ﴾ [الشمس : ١٤] .

وعلى الشرك وما دونه ، في قوله تعالى : ﴿ **فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ** ﴾ [سورة غافر : ٢١] .

وعلى ما دون الشرك في مثل قوله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾ [سورة غافر : ٥٥] . وكذلك ﴿ **وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ** ﴾ [سورة الشعراء : ١٤] و ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [سورة محمد : ١٩] .

فاتضح المعنى بفضل الله تعالى [١].

إنَّ الفكر الخاطئ ما أنزل الله به من سلطان ، ولا يتفق مع سنة أو قرآن ، بل هو من فتن آخر الزمان ، نسأل الله عز وجل أن ينقذنا منه بفضله فهو الحنان المنان .

---

(١) راجع ، شبهات التكفير ، بتوسع .

" لماذا قوامة الرجال على النساء " ؟

(٤) قال تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**... ﴾ [سورة النساء : ٣٤] .

فزعم أعداء الإسلام – سواء كانوا من الخارجين عنه أو المنتسبين إليه – أن الإسلام ظلم المرأة في هذه الآية أيضاً ، لمَّا أعطى الرجل حق القوامة أو الزعامة فاستغلها الرجل في ظلم المرأة وهضم حقوقها ، فهو بسبب تلك القوامة التي منحت له ، ولم تمنح للمرأة ، يعدد الزوجات ، ويضرب امرأته بما يتنافى مع الآدمية ، ويهجرها دون لوم عليه ، ثم هو بنفس الحق الذي منحه الإسلام له يطلق المرأة في أى وقت شاء دون أن تعطى المرأة هذا الحق من باب المساواة ، ولماذا يلزمها ببيت الطاعة ؟ !!

فهذه واحدة من الشبهات التي زج بها المستشرقون ، ورددها المستغربون ، وقامت جمعيات نسائية – في مصر وغيرها – باسم نهضة المرأة ، ونهضة بنت النيل ، ونحو ذلك .

فصارت المرأة المسلمة تحارب دينها ، وتتحرر من إسلامها ، وتخرج على أحكامه وتحتج على الله : لماذا يعطي الإسلام الرجل حق القوامة دون المرأة ؟ !! هكذا قالوا ، وبمثل هذا زعموا !! فهل الأمر كما زعموا ؟ ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً** ﴾ .

تعالوا بنا ننظر – وببساطة بعيداً عن التوسع – هل الإسلام ظلم المرأة في قضية القوامة ؟

نقول : إن الإسلام ليس عدواً للمرأة و لم ينتقص كرامتها ، ولحساب من ؟ لحساب الرجل ؟! فلماذا؟

وكما قلت سابقاً : إن الذي خلق الرجل هو الذي خلق المرأة ، فلماذا يظلم المرأة ، ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ ولذلك فالذين لا يعرفون حقيقة الإسلام ، أو يعرفونها ثم يلبسون الحق بالباطل ابتغاء الفتنة ، ونشراً للفساد في المجتمع ، زعموا أن الإسلام يهين المرأة وينتقص إنسانيتها .

والحق أن تعاليم الإسلام المستفادة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتطبيق السلف الأول لا يمكن أن يرفضها عاقل أو عاقلة حتى الغربيات الواعيات ، ولو في تعدد الزوجات !

كما صرح بعض النسوة الألمانيات أن التعدد أفضل وأشرف من المخادنة ، وكاد الألمان في أعقاب الحرب العالمية الثانية يصدرون تشريعات تبيح التعدد لمعالجة الزيادة الهائلة في عدد النساء ! غير أن الكنيسة تدخلت معترضة لوقف التشريع ! ، والنساء العاقلات يرين أن كفالة الآباء والأزواج للمرأة أفضل وأشرف من مطالبتها بالإنفاق على نفسها منذ أن تبلغ سن النضج ، أو بعد ذلك .

إن المرأة تتعرض لبلاء مثير في طلبها للرزق ، وانطلاقها للكدح في أرجاء الأرض .. ! ، إن الإسلام يعلو بالمرأة فوق هذا المستوى ، فماذا صنع الإسلام للمرأة ؟

إن المرأة – في عرف الإسلام – كائن إنساني ، له روح إنسانية من نفس

" النوع " الذي منه روح الرجل ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً..** ﴾ [سورة النساء : ١] . فهناك وحدة كاملة في الأصل والمنشأ والمصير ، والمساواة الكاملة في الكيان البشري تترتب عليها كل الحقوق المتصلة مباشرة بهذا الكيان، كحرمة الدم والعرض والمال ، والكرامة ، وكذا الأوامر والتشريعات ثم الجزاء.

بل اعتبر الإسلام العلم والتعليم ضرورة بشرية للمرأة كما هو للرجل ، من مقومات الكيان البشري ، وصور تكوين الإسلام للمرأة لحد لا تحلم به المرأة في أوروبا أو غيرها ولا يتسع له المجال الآن ، وإنما هي إشارات ، والفارق بين حال المرأة في الجاهلية وحالها في الإسلام لا يخفى ، كما لا يخفى الفارق أيضاً بين المرأة في الإسلام وفي سائر الأديان ! وبين المرأة المسلمة والمرأة الغربية !!

الإسلام الذي حرم الإجهاض ، وتحديد النسل ، ووأد البنات ، وظلم الفتيات ، وأمر بإكرام الزوجات ، وتكريم الأمهات ، ولكن الإسلام بعد هذا — أي بعد تقرير المساوة الكاملة في الإنسانية ، والمساواة في جميع الحقوق التي تتصل مباشرة بالكيان البشري المشترك بين الجميع — يفرق بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق وبعض الواجبات ، وهنا الضجة الكبرى التي تثيرها نساء المؤتمرات ، ويثيرها معهن كُتَّاب و " مصلحون " !! وشباب ، ويعلم الله ماذا يريدون بدعوهم هذه !

وقبل الدخول في تفصيل هذه المواضع التي يفرق فيها الإسلام بين الرجل والمرأة ، ينبغي أولاً أن نرد المسألة إلى جوهرها الحقيقي ، إلى أصولها الوظيفية ، والجسمية والنفسية ، ثم نستعرض بعد ذلك رأي الإسلام .

ونتساءل : هل هما جنس واحد أو جنسان ؟ وهل هي وظيفة واحدة أم وظيفتان ؟ تلك عقدة الموضوع ، فإن قالوا لنا : ليس بين الرجل والمرأة خلاف في التكوين الجسدي والكيان الوجداني ووظائف الحياة البيولوجية ، فما عسى أن يُرد به عليهم ؟ !.

وإن أقروا بوجود هذا الخلاف فهناك إذاً أساس صالح لمناقشة الموضوع .

والحق : إن اختلاف طبيعة الإحساس الجنسي بين الرجل والمرأة ، مع اشتراكهما في الأصل الكبير ، حقيقة لا ينكرها عاقل ، فكل منهما مهيأ لوظيفة معينة ، وعلى حسب تلك الوظيفة صيغت مشاعر كل منهما وأفكاره ، كما صيغ جسده من قبل ، بحيث يؤدي وظيفته المرسومة على أفضل وجه .

وتبعاً لهذا الاختلاف الحاسم في المهمة والأهداف ، اختلفت طبيعة الرجل والمرأة ليواجه كل منهما مطالبه الأساسية وقد زوده الله عز وجل بكل التيسيرات الممكنة ، ومنحه التكييف الملائم لوظيفته .

لذلك لا أرى كيف تستساغ هذه الثرثرة الفارغة عن المساواة الآلية بين الجنسين !!

هل يمكن أن تبدل لنا هذه الدعاوى الزائفة طبائع الأشياء ، فتجعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والإرضاع ؟

وهل يمكن أن تكُوَّن وظيفة بيولوجية من غير تكييف نفسي وجسدي خاص؟

وهل هذه الاختصاصات لا تتبعها المشاعر والعواطف والأفكار ، والتمشي

مع المطالب الدائمة ؟

هل يمكن للرجل أن يكون أُمًّا – بما تحويه الأمومة من مشاعر نبيلة ، وعاطفة وصبر ورقة .. إلخ ؟

وهل يمكن للمرأة أن تكون رجلاً – تقوم بوظائفه الشاقة ، وصراعه مع الحياة في الخارج ، وقوى الطبيعة ، وأنظمة الحكم وقوانين الاقتصاد واستخلاص القوت ، وحماية الذات والزوجة والأولاد من العدوان ؟

هل عاطفة الرجل كالمرأة ؟ وهل عقل المرأة كالرجل ؟ وهل ؟ وهل ؟

إن مزية الإسلام الكبرى أنه نظام واقعي ، يراعي الفطرة البشرية دائماً ولا يصادمها ولا يحيد عن طبيعتها ، وهو يدعو الناس لتهذيب طبائعهم والارتفاع بهم ، ويصل بهم في ذلك إلى نماذج تصل إلى الكمال ، ولكنه في تهذيبه لا يدعو لتغيير الطبائع ، ولا يضع في حسابه أن هذا التغيير ممكن ، أو مفيد لحياة البشرية إن أمكن .

إن الله تعالى إذ قال : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ .

هذا الحكم الذي يعتمد على الحقائق الكونية ، كمن يقول : الشمس أكبر من القمر ، فهذا التفضيل لا يفيد أن القمر حقير ، ولا أنه مظلم ، ولا أنه تافه الأثر ، فلكل من الكوكبين عمله المنوط به ، وفضله المرجو منه ، ولو أن كل شيء في الوجود أدى رسالته تبعاً لاستعداده الخاص لازدهرت الدنيا واستقام أمرها .

أما أن يذهل هذا عن وظيفته اللائقة به ، وذاك عن عمله المعد له ، ثم يرمق وظيفة الآخر بتطلع ولهفة ، فذلك ما لا تصلح عليه الحياة ، ولذلك يقول الله عز وجل : ﴿ **وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾ [سورة النساء : ٣٢] .

ويقول الرسول ﷺ « **لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء** »[١] .

وفي رواية « **لعن رسول الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء** »[٢].

فالإسلام بنى الكيان الأدبي للمرأة على دعائم راسخة ، ولا نعرف نظاماً في الأولين والآخرين أولى النساء بهذه الرعاية ، أو أسدى لهن هذه الكرامة .

لم يُفرِّق الإسلام بين الرجل والمرأة إلاَّ حيث تدعو إلى هذه التفرقة مراعاة طبيعة كل من الجنسيين ، وما يصلح له ، وكفالة الصالح العام وصالح الأسرة نفسها .

وترجع أهم النواحي التي قرر فيها الإسلام هذه التفرقة إلى ستة أمور هي :

الشهادة ، والميراث ، وتعدد الزوجات — وهذه الثلاثة قد أشرنا إليها من قبل — والقوامة على الأسرة ، وواجب الطاعة ، والطلاق — وهذه التي نحن بصدد بيانها .

---

(١) أخرجه البخاري في اللباس (٥٨٨٥) ، وأبو داود في اللباس (٤٠٩٧) .

(٢) أخرجه أحمد (٣ ٣١٤) (٢٠٠٦) ، وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

لماذا كانت قوامة الرجل على المرأة ؟ لسببين هما :

١- الرجل مكلف بالإنفاق على الأسرة ، ولا يستقيم مع العدالة في شيء أن يكلف فرد بالإنفاق على هيئةٍ ما ، بدون أن يكون له القيام عليها والإشراف على شؤونها ، وفي القوانين الحديثة " من ينفق يُشرف " أو " من يدفع يُراقِب".

٢- السبب الثاني الذي بنى عليه الإسلام قيام الرجل على الأسرة : أن المرأة مرهفة العاطفة ، قوية الانفعال ، وأن ناحية الوجدان لديها تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها النفسية ، وقد سوى الله المرأة على هذا الوضع حتى يكون لها من طبيعتها ما يتيح لها القيام بوظيفتها الأساسية ، وهي الأمومة والحضانة على خير وجه .

ثم ما معنى القوامة ؟ إنها ليست – كما زعموا – سيطرة وزعامة وعنف وقهر!!

إنها رياسة رحيمة قائمة على المودة والمحبة ، والإرشاد ، والحفاظ على المرأة وصيانة كرامتها ، وحفظ حقوقها ، وتحقيق مصلحتها على خير وجه ، إنها رعاية ومحبة مخلصة ، وليست بسلطان مفروض ، وهي تدبير وإرشاد ، وليست بسيطرة ولا استبداد . إنها رياسة حفظ وصيانة ورعاية وحماية وإمداد بكل ما تحتاج إليه المرأة في حياتها ، سواء أكان ذلك من أب ، أو زوج ، أو غيرهما من المحارم ، الذين وكلت إليهم الشريعة أمر القيام على المرأة إنها الرياسة التي لا تنتقص شيئاً من شخصية المرأة وأهليتها أو حقوقها المدنية أو ملكيتها وثروتها الخاصة ، بل هي النصيحة والتوجيه ، وتدبير سياسة البيت في تعاونٍ مع المرأة ،

وفي أن تطيع المرأة زوجها في دائرة المعقول المعروف .

وفي مقابل ذلك فرض عليه الإسلام عدة واجبات منها الإنفاق على الأسرة وصيانة أفرادها ، ورعاية حقوقهم ، كما أوجب عليه العدالة والمعاملة بالحسنى والرفق في علاج مشاكل الحياة الزوجية ، وأخذ الأمر بيسر وهوداة ، وأن يُقوِّم المعوج في رفق ولين ، ولذا كان النبي ﷺ يعتبر خير الناس خيرهم لأهله ، فيقول ﷺ : « **خيركم خيركم لأهله** »[1].

وقد لخص القرآن الكريم هذا في عبارة موجزة بليغة ، إذ يقول : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** .. ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٨].

ثم نقول للذين قالوا : لماذا لم يعط الإسلام حق القوامة للمرأة ، أو يجعله بينهما بالمساواة ؟ !!

إن الإسلام يسير في مسألة الرجل والمرأة على طريقته الواقعية المدركة لفطرة البشر ، فيسوي بينهما حيث تكون التسوية هي منطق الفطرة الصحيحة ، ويفرق بينهما كذلك حيث تكون الفرقة هي منطق الفطرة الصحيحة ، فالضرورة تقتضي أن يكون هناك " قيم " توكل إليه الإدارة العامة لهذه الشركة القائمة بين الرجل والمرأة ، وما ينتج عنهما من نسل ، وما يستتبعه من تبعات ، وقد اهتدى الناس في كل تنظيماتهم إلى أنه لابد من رئيس مسئول ، وإلا ضربت الفوضى أطنابها ، وعادت الخسارة على الجميع ، وهناك ثلاثة أوضاع

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب (٣٨٩٥) ، وابن ماجه في النكاح (١٩٧٧) ، والدارمي في النكاح (٢٢٦٠) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٥) .

يمكن أن تفرض بشأن القوامة في الأسرة :

فإما أن يكون الرجل هو القيِّم – أو تكون المرأة هي القيِّم ، أو يكونا معاً قيمين.

ونستبعد الفرض الثالث منذ البدء لأن التجربة أثبتت أن وجود رئيسين للعمل الواحد أدعى إلى الإفساد من ترك الأمر فوضى بلا رئيس ، والقرآن يقول عن السماء والأرض : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٢]. وكذلك ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ...** ﴾ [سورة المؤمنون : ٩١] .

فإن كان هكذا الأمر بين الألهة المتوهمين ، فكيف هو بين البشر العاديين ؟ وعلم النفس يقرر أن الأطفال الذين يتربون في ظل أبوين يتنازعان على السيادة تكون عواطفهم مختلة ، وتكثر في نفسياهم العقد والاضطرابات .

بقي الفرضان الأولان: وقبل أن نخوض في بحثهما نسأل هذا السؤال : أيهما أجدر أن تكون وظيفته القوامة ، بما فيها من تبعات : الفكر أم العاطفة ؟ فإذا كان الجواب البديهي هو الفكر ، لأنه هو الذي يُدبر الأمور في غيبة الانفعال الحاد الذي كثيراً ما يلتوي بالتفكير فيحيد به عن الطريق المباشر المستقيم ، فقد انحلت المسألة دون حاجة إلى جدال كثير .

فالرجل بطبيعته المفكرة – لا المنفعلة – وبما يحتوي كيانه من قدرة على الصراع واحتمال أعصابه لنتائجه وتبعاته ، أصلح من المرأة في أمر القوامة على البيت ، بل إن المرأة لا تحترم الرجل الذي تُسيِّره فيخضع لرغباها ، بل تحتقره

بفطرها ولا تقيم له أي اعتبار .

فإذا كان هذا من أثر التربية القديمة التي تترك طابعها في اللاشعور ، وتكيف مشاعر المرأة دون وعي منها ، فهذه هي المرأة الأمريكية بعد أن ساوت الرجل مساواة كاملة ، وصار لها كيان ذاتي مستقل ، عادت فاستعبدت نفسها للرجل، فأصبحت هي التي تغازله وتتطلف له ليرضى !

وتتحسس عضلاته المفتولة وصدره العريض ، ثم تلقي بنفسها بين أحضانه حين تطمئن إلى قوته بالقياس إلى ضعفها. !!

على أن المرأة إذا تطلعت " للسيادة " في أول عهدها بالزواج ، وهي فارغة البال من الأولاد وتكاليف تربيتهم التي ترهق البدن والأعصاب ، فسرعان ما تنصرف عنها حين تأتي المشاغل ، وهي آتية بطبيعة الحال فحينذاك لا تجد في رصيدها العصبي والفكري ما تحتمل به مزيداً من التبعات وليس مؤدى ذلك أن يستبد الرجل بالمرأة ، أو بإدارة البيت، فالرئاسة التي تقبل التبعة لا تنفي المشاورة ولا المعاونة ، بل العكس هو الصحيح .

فالرئاسة الناجحة هي التي تقوم على التفاهم الكامل والتعاطف المستمر ، وكل توجيهات الإسلام تهدف إلى إيجاد هذه الروح داخل الأسرة ، وإلى تغليب الحب والتفاهم على النـزاع والشقاق ، فالقرآن يقول : ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً** ﴾ [سورة النساء : ١٩] .

وفي السنة خير دليل ، وأجمل تفصيل ، نظرياً وعملياً ، قولاً وسلوكاً ، فما

أعظم هذا الدين . لمن فقهه . مكتفين بهذا القدر ، والله أعلم .

ثم ننتقل إلى الجزئية الأخرى :

قالوا : باسم القوامة ، الرجل يطالب المرأة بواجب الطاعة ، وإن نشزت طلبها في بيت الطاعة ، فلِمَ ؟ !

نقول : الوضع الصحيح لهذا النظام في الإسلام " حقٌّ مقابله واجب " إذ يرتبط الزوجان كلاهما بالآخر بطائفة من الحقوق والواجبات المتبادلة ، فكل حق لأحد الزوجين على زوجه يقابله واجب يؤديه إليه ، وإلى تبادل هذه الحقوق والواجبات يرجع الفضل في تحقيق التوازن بين الزوجين من النواحي الاجتماعية والمدنية ، واستقرار حياة الأسرة ، واستقامة أمورها .

ومن أهم الواجبات التي تقع على كاهل الزوج : رعاية الأسرة والإشراف على شؤونها والإنفاق على جميع أفرادها – كما تقدم بيان ذلك – ويقابل هذه الواجبات حقوق له على زوجته ، أو واجبات عليها نحوه .

ومن هذه الواجبات أن تقيم معه حيث يريد ، فلا تتخذ لنفسها مسكناً غير مسكنه .

وليس هذا الوضع مقصوراً على الشريعة الإسلامية ، بل إنه الوضع المقرر في جميع شرائع الأمم المتحضرة ، فالقانون المدني الفرنسي مثلا يقرر في مادتيه (٢١٣ ، ٢١٤) أن الزوج تجب عليه صيانة زوجته ، وأن يقدم لها كل ما هو ضروري لحاجات الحياة في حدود مقدرته وحالته ، وأن المرأة في مقابل ذلك مُلزمة بطاعة زوجها ، وأن تسكن معه حيث يسكن ، وتنتقل معه إلى أي مكان

يرى صلاحيته لإقامتها .

وتكاد هاتان المادتان تكونان ترجمة لقوله تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [سورة النساء :٣٤]. وقوله تعالى : ﴿ **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ..** ﴾ [سورة الطلاق: ٦] . ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [سورة الطلاق : ٧] . وكما ذكرنا أن هذه المسألة مسألة حقوق وواجبات .

فإن قصر الزوج في الإنفاق على زوجه أرغمه القانون على ذلك إرغاماً ، واتخذ حياله جميع ما يمكن اتخاذه من وسائل القهر ، بل إنه ليذهب أحياناً في هذا السبيل إلى الحكم عليه بعقوبة الحبس والأشغال .

وإن نشزت الزوجة أي لم تشأ أن تسكن حيث يسكن الزوج ويريد إسكانها، تدخل القانون كذلك فأرغمها على الإذعان لما سنه من أوضاع .

وقد جرت العادة في مصر أن يسمي المنـــزل الذي تُرغَم الزوجة الناشز على سكنه مع الزوج " بيت الطاعة " ويسمي الحكم " حكم الطاعة " إنها حقوق يقابلها واجبات .

وهذا القانون لا يعمل عمله هذا إلا مع الزوجة الناشز – وليس مع كل زوجة – أي التي تعدت حدود المجتمع ، وانتهكت قوانين الأسرة ، فتدخل هذا القانون ليرد الأمور إلى أوضاعها السليمة .

ورد الأمور إلى أوضاعها السليمة - بعد أن يخل بعض الأفراد - ، لابد أن

يتسم بمظهر القسوة على المخالف وعدم مسايرته في رغباته ، وأنه يسلك ما هو أشد من ذلك مع الزوج إذا قصر في واجب النفقة المقابل لهذا الحق ، حتى إن الأمر ليصل إلى حبسه ، فهو لا يحابي أحد الزوجين على حساب الآخر ، وإنما يلزم كليهما القيام بواجبه ، ويرعى الصالح العام ، ويعمل على استقرار حياة الأسرة ووقايتها من الإنهيار .

وماذا يترتب على إلغاء هذا النظام ؟ إنها نتائج خطيرة هدامة ، وذلك أن الأوضاع التي يتصور العقل أن تقوم عليها الأسرة إذا ألغى هذا النظام لا تخرج عن ثلاثة أوضاع .

أحدها : أن يكون للزوجة مطلق الحرية في أن تسكن مع الزوج أو لا تسكن معه ، وإذا نشزت و لم تكن معه تظل زوجة له من الناحية القانونية مع بقائها بعيدة عنه ، ولا يحق للحاكم أن يتدخل ، وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه الفوضى من الناحيتين الاجتماعية والقانونية .

وثانيها : أن يُفرِق بين الزوجين بمجرد أن تنشز المرأة ، وتبدو منها الرغبة في عدم معاشرة زوجها ، ويكون معنى ذلك من الناحية العملية أننا جعلنا الطلاق بيد الزوجة توقعه متى شاءت ، وأننا نقلناه من يد الزوج في صورته المقيدة بعدة قيود والتزامات إلى يد الزوجة في صورة طليقة ، لا يحده قيد ، ولا يخضع إلا لما تمليه أهواء العاطفة ونزوات الوجدان . وغني عن البيان أن هذا الوضع لا يقل في نتائجه الهدامة وما يؤدي إليه من فوضى عن الوضع السابق .

ثالثهما : أن يلزم الزوج بمتابعة زوجته الناشز ، فيحكم عليها بدخول بيت

الطاعة ، أو بيت النشوز ، في المنـــزل الذي نشزت فيه زوجته ، ومع شذوذ هذا الوضع ومجافاته لمبدأ توزيع الحقوق والواجبات الذي أشرنا إليه ، فإنه لا يحل المشكلة التي يثيرها المعترضون على نظام بيت الطاعة ، ولا يحقق شيئاً مما يودون تحقيقه ، لأن المرأة الناشز لا ترغب في معاشرة زوجها فلا فرق إذن ، من وجهة نظرها ، بين أن نلزمها بالذهاب إلى زوجها أو تلزم زوجها بالذهاب إليها ، فكلاهما يرغمها على ما لا تريد . فماذا تريدون بالزوج ، وماذا تريدون بالزوجة ؟ !!

وهذا فضلاً عن أن نظام الطاعة في الإسلام لا يُجبر المرأة أن تحضر إلى بيت الزوجية على الرغم منها ، وإنما لها على الزوج حق النفقة ، فإذا رفضت العودة إلى البيت سقط حقها في النفقة .

وأما أمر الطلاق فهو بيد الزوج إن شاء طلقها ، وإن شاء أمسكها ، ولكن أي رجل كريم لا يقبل أن يحتفظ بامرأة لا تريد الحياة معه .

وهذا يصل بنا إلى النقطة الأخيرة في مسألة القوامة المرتبطة بالطلاق والتأديب فنقول : ومن حق القوامة - نشأ في الإسلام - أن يكون الرجل هو الذي له حق الطلاق ، لا المرأة ، وتقول النسوة اللآتي احترفن إقامة المؤتمرات للإعلان : إن هذا ظلم ، وإنه كان ينبغي أن تعطي المرأة أيضاً هذا الحق فتطلق الرجل حين تريد .

والمسألة أبسط من أن تقوم فيها المماحكة ، فلتسأل كل امرأة نفسها : كم مرة في حياها وافقت على الشيء بكليتها ثم رفضته هو ذاته حين تغيرت

عاطفتها نحوه ... ولتتصور بعد ذلك كم مرة كانت ستطلق زوجها ثم تعود فترده ، ثم تعود فتطلقه وهكذا وهكذا ، بحيث لا يقر للبيت قرار ، وتختل نفوس الأولاد من هذه الحركة الدائمة من النقيض إلى النقيض .

وليس معنى هذا أنه لا يوجد رجال يصنعون ذلك ، فقد بيَّنا من قبل أن في كلا الجنسين قدراً من طباع الآخر يزيد أو ينقص ، ولكن الأحكام العامة في مثل هذه الأحوال تكون موكلة بالأغلبية الساحقة ، لا بالحالات الفردية التي تدخل في باب الشذوذ .

على أن الإسلام أعطي المرأة حقاً كالطلاق ، وهو الخلع تستخدمه إذا شاءت ، فهو حقها ولها ما تريد .. ونفصل القول في هذا – مع الإيجاز – بإذن الله تعالى ، فنتساءل :

هل الإسلام هو الذي ابتدع الطلاق فحسب ؟

وهل يكون الطلاق في الإسلام بدون أسباب ، وبلا مقدمات ؟

ولماذا عادت أوروبا للأخذ به ؟

إن الإسلام جعل الزواج عهداً وثيقاً ، أو ميثاقاً غليظاً ، وأمر بالمحافظة على الحقوق الزوجية ، وأوجب على الرجل القوامة والمسئولية ، وأمره بحسن العشرة، والصبر على تقصير الزوجة أو قصورها ، ولم يحل له إهمال نفقتها ، ولا عند نشوزها أن يبدأ بضربها ، وإذا احتاج الأمر إلى الضرب – بعد الوعظ والهجر – فلا يضرب وجه زوجته لما فيه من إهانة لكرامة الإنسان ، ولا على

أي عضو يؤدي إلى خطورة ، ولا يكون ضرباً مبرحاً ، يصيب مقتلاً ، أو يكسر عظماً ، أو يقطع لحماً ، أو يسيل دماً ، بل هو إلى التأنيب والتهديد أقرب من أن يكون للعقوبة والتعذيب ، ولا يفعله الأخيار من الرجال ، كما بينه النبي ﷺ كما إذا عجز الرجل عن حل مشكلته مع زوجته بالوسائل المتاحة، أمر الإسلام بالتحكيم الأسري أو المجلس العائلي للإصلاح والتوفيق ، ومعاودة ذلك مرات دون التفكير في الطلاق .

فإذا استحكمت النفرة وتفاقم النزاع ، وأخفقت كل وسائل الإصلاح والتحكيم والتوفيق ، فهنا يكون الطلاق هو العلاج رغم مرارته ، استجابة لنداء الواقع ، وتلبية لراعي الضرورة ، وحلاً لمشكلات لا يحلها إلاَّ الفراق بالمعروف، تلك هي وسيلة الطلاق ، وآخر الدواء الكي .

وهى وسيلة أجازها الإسلام على كُره، وجعلها أبغض الحلال، والناظر إلى واقع الناس يدرك هذا المغزى، كما أن الإسلام وضع قيودًا للحد من الطلاق، فجعله في طهر لم يمس فيه الزوج زوجته، ولم يوقع طلاق الغضبان، وأعطى فُرصاً في المراجعة بالطلقة الأولى والثانية الرجعتين ، وأمر ببقاء المطلقة في بيت الزوجية أثناء العدة ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾ [سورة الطلاق : ١]، وإن كان لابد من الفراق بين الزوجين، فالمطلوب منهما أن يكون بمعروف وإحسان بلا إيذاء ولا افتراءٍ ولا إضاعةٍ للحقوق.

هذا ... وقد منح الإسلام للمسلم ثلاث تطليقات في ثلاث مرات، فإن طلقها الأولى ثم الثانية – على تفصيل أشرنا إليه– فإذا عاد فطلقها للمرة الثالثة

كان هذا دليلاً واضحاً على أن النفرة بينهما مستحكمة والوفاق بينهما غير مستطاع، لهذا لم يجز له بعد التطليقة الثالثة أن يردها إليه، ولا تحل له بعد ذلك حتى تنكح زوجاً غيره زواجاً شرعياً صحيحاً مقصوداً لذاته، لا لمجرد تحليلها للزوج الأول.

والمسلم الذي يطلق فيجمع الثلاث طلقات في مرة واحدة أو لفظة واحدة فقد خالف الشرع في ذلك، وإذا طلق الزوج زوجته، وبلغت الأجل المحدود لها - أي قاربت عدتها أن تنقضي - كان على الزوج أحد الأمرين: إما أن يمسكها بمعروف أي يرجعها بقصد الإحسان والإصلاح، وإما أن يسرحها ويفارقها بمعروف.

هذا ولا يجوز منع المطلقة عن الزواج بمن ترضى، إذا انقضت عدتها.

فهذه أهم مسائل الطلاق في الإسلام - دون توضيح أو إتمام- فأين منه المسيحية أو غيرها؟

وإذا كان الإسلام قد خول حق الطلاق للرجل، فليس ذلك ظلماً للمرأة، كما زعم أعداء الإسلام، وإنما لأن الرجل هو صاحب الإنفاق على هذا البيت وإنشائه، وتولي أموره، فهو أحرص عليه وأكثر محافظة له من غيره، فضلاً عما حباه الله به من كمال العقل أو تمام الرشد.

أما المرأة فإنها تتحكم فيها العواطف والغرائز أكثر من العقل، ويمكن الضحك على عواطفها بمعسول الكلام ، فلو قُدِّر للمرأة أن يكون الطلاق بيدها - ومن يعلم- لطلقت الرجل عشرات المرات، في انفعالية واحدة، فضلاً عن مرور الأيام والسنين.

ومع هذا كله، فإن الإسلام الذي أعطى للرجل حق الطلاق، فإنه لم يحرم المرأة من حق يضاهيه، تستخدمه المرأة عند الضرورة، أو عند كراهية الزوجة لزوجها، أو ضاقت بتلك الحياة الزوجية، وقد أصابها من ورائها ضرر أو ظلم مادي أو معنوي أو نحو هذا، فلهذه الأسباب - ونحوها - إذا كرهت المرأة زوجها و لم تعد تطيق عشرته أن تفدي نفسها منه، وتشتري حريتها برد ما كان دفع لها من مهر وهدايا، أو أقل منها أو أكثر حسب تراضيهما، والأولى ألاَّ يأخذ منها أكثر مما بذل لها من قبل.

وهو المسمى "بالخلع" في الإسلام، دلت عليه الآية ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩] .

ومن السنة: قصة امرأة "ثابت بن قيس" وقد جاءت إلى النبي ﷺ، وقالت: يا رسول الله " ثابت بن قيس" ما أعيب عليه في خلقٍ ولا دين، ولكن لا أطيقه بغضاً، فسألها عما أخذت منه: قالت: حديقة، فقال لها: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فقال النبي ﷺ لثابت: اقبل الحديقة، وطلقها تطليقةً [(١)].

- فإذا حدث شقاق بين الزوجين استحالت معه العشرة، فلكل من الطرفين أن يحمى نفسه من الضرر اللاحق به ، للمرأة حق الخلع، وللرجل حقٌ الطلاق.

ليس الإسلام بالدين الذي يقوم على إذلال المرأة، ولا هو كذلك بالدين الذي يقوم على إذلال الرجل ، ولا ندرى سر الحملات على الإسلام في أمر القوامة أو الطلاق أو بيت الطاعة أو نحو ذلك، إلا أن تكون حملات مبعثها

---

(١) أخرجه البخاري في الطلاق (٥٢٧٣)، والنسائي في الطلاق (٣٤٦٣) ، وابن ماجة في الطلاق (٢٠٥٧) .

الجهل بالفقه الإسلامي، والتقليد الأعمى للفكر الأجنبي.

والطلاق حق الرجل، وإكراهه على ترك هذا الحق لغيره، معناه إرغامه على هجر البيت مع بقاء عقد الزوجية قائماً.

ومعناه أيضاً أن ينطلق كلا الزوجين في ظل هذا العقد الصوري المفروض كرهاً ليفعل ما يحلو له ... وهذا فساد عريض.

- إن "أوروبا" لم تقف البتة عند القول بتقييد الطلاق ، بل أباحته في نطاق واسع ولأتفه الأسباب.

- وإن القول بأن الطلاق سبب أول أو ثانٍ أو ثالث لتشرد الأطفال في مجتمعنا، جرأة مستنكرة، وتخبط شائن.

- إن عدد الذين يطلقون يهبط بعد التصفية التي كشف عنها الإحصاء إلى اثنين في الألف، ففيم عويل النساء؟ .

وفيم فزع بعض الكتبة الذين طالت ألسنتهم على الإسلام وتعاليمه؟

ثم لماذا لم نسمع لهؤلاء صوتاً يضيق بإباحة الزنا في الظروف التي حددها القانون؟ .

إن الجؤار هناك والصمت هنا دلالة ضمير خائن ونصيحة مغشوشة، ومن ثم فنحن نلفت الأنظار إلى ما ينطوي عليه هذا التناقض الغريب.

وأغرب من ذلك أنه قال بعض المتحمسين لتقييد الطلاق: إن سهولة الطلاق في الإسلام يسرت لمن يبغضون زوجاتهم من النصارى أن يتركوا دينهم ويدخلوا

في الإسلام حتى يتخلصوا بالطلاق من الزوجات اللاتي يكرهون!

قلت: كأن التشريع المقترح محاولة لمنع هؤلاء الفارِّين من اللجوء إلينا!

لو أن هناك عقلاً راشداً لاتخذنا هذا المسلك دليلاً على أن سلب الرجل حق الطلاق مزلقة لسلب دينه، إن عشرات الأمم المسيحية احترمت الواقع، وأباحت الطلاق بعيداً عن التعاليم المتوارثة بين كهنة الكنيسة، فكيف نفكر نحن أن نضع أيدي المسلمين في الأغلال التي طرحها غيرهم ؟!

وماذا يقع لو قيدنا الطلاق كما يقترح هؤلاء القاصرون؟ إما أن يترك نفر من المسلمين دينهم فراراً من الزوجية التي لا يطيقون؟ وبذلك تكون أولى بركات القانون المراد سنه بأن نعوق غير المسلمين عن الإسلام، وأن ندفع بعض المسلمين إلى الارتداد حين يعجزون عن ترك زوجاهم، وذلك تحت عنوان: إرضاء المرأة، أو حماية الأسرة!!

إن هذا التشريع - لو صدر- فسيكون ذريعة إلى مفاسد هائلة، وجرائم فاتكة[1].

❁❁❁

(١) راجع بتوسع ، "كفاح دين" للشيخ محمد الغزالى ، والحلال والحرام فى الإسلام ، والخصائص العامة للإسلام ، د/يوسف القرضاوى ، وشبهات حول الإسلام للأستاذ/محمد قطب ، حقوق الإنسان في الإسلام ، د/على عبدالواحد ، التسامح والتعصب بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، دراسة مقارنة د/عمر بن عبدالعزيز.

"ما حكم التوسل برسول الله ﷺ ؟"

قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً** ﴾ [سورة النساء : ٦٤] .

والفهم الخاطئ للآية يتمثل فيما زعمه البعض أن الآية تأمر بالتوسل بالنبي ﷺ والذهاب إليه أو طلب الإستغفار ، فهو وسيلتنا إلى الله عز وجل ، ولا فارق في ذلك بين حياته وموته ، إذ ثبت أن رجلاً أعرابيًا قدم على قبر النبي ﷺ وتلى الآية ، ثم قال : (وقد ظلمت نفسي ، وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر أنه قد غُفر لك) ، وفي رواية أخرى : أن النبي ﷺ جاء إلى العتبى ، وقال : إلحق بالأعرابي ، وبشره بأن الله قد غفر له .. اهـ .

والحقيقة أن الآية الكريمة لم تتحدث عن التوسل من قريب أو بعيد، بل هو أمر عجيب ، وفهم غريب ، بل هو خاطئ ومريب.

والرد على ذلك : بأن هذا الذي ذُكر لم يصح ، ولا دليل عليه ، بل ولا وجه له في الآية .

إذ معنى الآية – كما ورد في كتب التفسير الصحيحة – هو أنها نزلت في توبة المنافقين ، وقد جاءت بين الآيات التي تتحدث عن المنافقين .

وتفسيرها : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت، وكذا باتهامهم لك وسبهم وشتمهم وتحريفهم الكلم بألسنتهم في مثل قولهم "**راعنا**" و " **السام عليك** " .... إلخ .

ثم جاؤك تائبين من النفاق، متنصلين عما ارتكبوه، فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص، وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك، برد قضائك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله ومستغفراً لوجدوا الله تواباً أي لعلموه تواباً، أو لتاب عليهم.

ولم يقل: واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريقة الإلتفات، تفخيماً لشأن رسول الله ﷺ وتعظيماً لاستغفاره، وتنبيهاً على أن شفاعة من الرسول ﷺ تقع من الله بمكان [1].

وأما بالنسبة لقصة الأعرابي هذا، فالحق يقال إنها ليست تنزيلاً من حكيم حميد، ودين الله لا يؤخذ بالرؤى والمنامات، أو الحكايات والخيالات.

وحكاية العتبى مع الأعرابي لم تصح، ولا يستشهد بمثلها في أمور العقيدة والأحكام.

ومع ذلك فقد أوجب المتصوفة على أتباعهم العمل بها، فكل من زار قبر النبي ﷺ يجب أن يتلوا ، الآية، ويقول مقالة الأعرابي؟! وهذا عجيب .

وإذا قيل: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي – على المعنى العام– كالآتي:

يُرشد الله تعالى العصاة والمذنبين، إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنه مجاب الدعاء، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم.

وهكذا كان يفعل أصحاب النبي ﷺ، لا في الاستغفار فقط، وإنما في قضاء

---

(١) انظر : الزمخشري في الكشاف.

حوائجهم أيضاً ، كمن كان يطلب الشفاء، أو الاستسقاء ، أو استجابة الدعاء، أو غير ذلك.

ولا مانع في ذلك ولا ضرر، بل هو من التوسل المشروع بدعاء النبي ﷺ لأمته.

وإذا كان المسلم يدعو لأخيه المسلم، فمن باب أولى، النبي ﷺ يدعو لأمته.

فأين هذا من التوسل الممنوع ؟ أو التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته؟

وكيف نطلب منه الدعاء بعد الممات؟ وقد فقدنا الجانب الأهم وهو دعاء الرسول ﷺ أو استغفاره؟ فالأمر مرتبط بحياته، وأما بعد مماته، فقد بقى لنا الاستغفار، كما قال عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [سورة الأنفال : ٣٣]

فالتوسل الوارد والمشروع بالدعاء، لا بالأشخاص، على الرغم من منزلتهم ومكانتهم عند الله تعالى.

والكلام عن المشروع والممنوع من الوسيلة ليس هذا مجاله، فليراجع في بابه[1].

فهذه الآية الكريمة، لما فهمت خطأً، اختلف الناس وتفرقوا، ووقع كثير من الناس في كثير من الشركيات باسم التوسل بالنبي ﷺ.

وعلى الأمة المسلمة أن تتنزه عن هذه الشركيات، وأن تعرف المنهج الصحيح، وأن تلتزم بتفسير كتاب الله تعالى تفسيراً صحيحاً، بعيداً عن الخرافات والخزعبلات.

---

(١) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ، وحقيقة الإيمان ، دكتور عمر بن عيد العزيز.

"هل في القرآن تناقض ؟!"

(٦)قال تعالى: ﴿..وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِه مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِه مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عند اللَّه فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ [النساء : ٧٨،٧٩] .

زعم المستشرقون والجاهلون أن في القرآن تناقضاً، إذ كيف يقول الله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ وفى نفس الوقت: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ ؟!!

والرد على هذه الشبهة: بمعرفة أن الحسنة حسنتان "حسنة كونية وحسنة شرعية" والسيئة سيئتان "سيئة كونية وسيئة شرعية"

فالحسنة الكونية بمعنى النعمة والعطاء والخير والصحة والعافية والنصر والعز والجاه، فهذه الحسنة من الله تعالى، والسيئة الكونية بمعنى النقمة والابتلاء والشر والنقص والمرض والهزائم والذل وما إلى ذلك، فهذه من عند الله تعالى أيضاً، لأنه عز وجل هو الذي يبلو العباد، امتحانا وانتقاما حسب مقتضيات رحمته في تربية عباده وتدبير شئوهم، وكما قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ... ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٥].

وقال عز من قائل : ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧)﴾ [سورة الفجر : ١٥-١٧] .

كلا، أي لست عند العطاء مكرماً، ولا عند المنع ممتهنا، ولكنك مبتلى في كلٍ من الحالتين.

وهذا هو الذي قاله الله تعالى: **﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾** .

وأما الحسنة الشرعية بمعنى الطاعة وفعل الخيرات، فإنها تُنسب إلى الله عز وجل لأنه هو الذي بها أمر، وأما السيئة الشرعية التي هي بمعنى المعصية والمخالفة، فهذه السيئة لا تنسب إلاَّ إلى العبد فاعلها، ولا تصح نسبتها إلى الله تعالى أبداً، لأن الله تعالى لم يشرعها ولم يأمر بها ولم يُرغِب فيها، بل حرمها وتوعد عليها منفراً منها، فكيف تصح نسبتها إلى الله تعالى؟ اللهم لا.

وهذا هو قوله تعالى: **﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾** نحن نستطيع بذلك أن نفهم هاتين الآيتين الكريمتين.

وقد نزلتا رداً على المنافقين الذين كانوا ينسبون الحسنة بمعنى النعمة إلى الله تعالى، وينسبون السيئة بمعنى النقمة والبلاء والشر إلى رسول الله ﷺ، فردَّ الله تعالى عليهم قولهم هذا وعابه عليهم ونسبهم إلى سوء الفهم وقلة الإدراك، وأخبر مقرراً أن كلاً من هذين النوعين من الحسنة والسيئة هما من عند الله تعالى، وبهذا زال - والحمد لله - الإشكال، الذي كان يقف عنده كثير من المؤمنين حيارى، أو بعض المستشرقين، يقولون: إن بين الآيتين تناقضاً أو تعارضاً، في حين أنه لا تناقض بينهما ولا تعارض -كما رأيت - وحاشا لكتاب الله تعالى أن يضرب بعضه بعضاً، تناقضاً أو تعارضاً، وكيف يكون ذلك، والله منزله وهو العزيز الحكيم، الذي يقول : **﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**

لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [سورة فصلت : ٤١،٤٢] .

هذا وقد جاء في تفسيرها -كما قال بن كثير : ﴿**وإن تُصبهم حسنة**﴾ أي خصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك (**يقولوا هذه من عند الله**). ﴿**وإن تصبهم سيئة**﴾ أي قحط وجدب ونقص في الثمار والزروع أو موت أولاد أو قلة نتاج أو غير ذلك (**يقولوا هذه من عندك**)، أي من قبلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك ، كما قال تعالى عن قوم فرعون ﴿ **فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ** ﴾ [سورة الأعراف: ١٣١].

وكما قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ** ﴾ [سورة الحج : ١١]، وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر، فإذا أصابهم شر إنما يسندونه إلى إتباعهم النبي ﷺ، وتركهم دينهم.

فأنزل الله عز وجل : ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ**﴾ أي الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذ في البر والفاجر، والمؤمن والكافر، أي الحسنة والسيئة، ثم قال تعالى منكراً على هؤلاء القائلين هذه المقالة الصادرة عن شك وريب، وقلة فهم وعلم، وكثرة جهل وظلم ﴿**فما لهؤلاء القومِ لا يكادون يَفقهون حديثا**﴾ ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله**﴾ أي من فضل الله ومنته ولطفه ورحمته ﴿**وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ أي من قبلك، ومن عملك أنت، كما قال

تعالى: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [سورة الشورى : ٣٠] ، (فمن نفسك)، أي بذنبك، أو عقوبة لك ، وقد قال ﷺ « **لا يصيب رجلاً خدش عود ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر** » وهذا الذي أرسله قتادة ، قد روى متصلاً في الصحيح « **والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن، ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياه** ».

وقال أبو صالح : ﴿ **وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ أي بذنبك، وأنا الذي قدرتها عليك (رواه ابن جرير)[1].

❁❁❁

---

(١) تفسير بن كثير جـ١ ،ص ٥٢٧،٥٢٨ بتصرف.

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة المائدة

تصحيح المفاهيم الخاطئة في ((سورة المائدة))

" هل النبي محمد ﷺ نور " ؟

(١)قال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦)** ﴾ [سورة المائدة : ١٥-١٦].

والشاهد في الآية ﴿**قد جاءكم من الله نور**﴾ والفهم الخاطئ في ذلك، تفسير النور بالنبي محمد ﷺ، ذكره بعض المفسرين كالألوسي والجلالين وغيرهما.

ولما فسرت الآية بهذا ذهب الصوفية بذلك كل مذهب، فقالوا: النبي محمد نوراً من الله، وهو قبضة نورانية رحمانية، ومن نوره خلقت المخلوقات، وهو أول المخلوقات واستدلوا على ذلك ببعض الأحاديث الموضوعة، منها " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر" و "قبض الله قبضته من نوره وقال لها: كوني محمدا" الخ وزعموا أنها نورانية حسية، تتنافى مع البشرية، وما الهيكل البشرى إلا غطاء للنور المحمدي أو الحقيقة المحمدية، والناس لم يروا النبي على حقيقته النورانية ، وإنما رأوا الجراب و لم يروا السيف ، و لم يره أحد على حقيقته النورانية إلاَّ " عائشة " مرة ، وكذا " فاطمة " مرة أخرى ، وهذا الذي ذكرته كشبهة أو فهم خاطئ حول الآية - سطره الصوفية في عشرات الصفحات ، في بعض كتبهم ، وبنوا عليه مذهبهم ، بل أسسوا عليه معتقدهم ، فخالفوا بذلك أهل السنة والجماعة في أصل من أصول الدين ، وأوقعهم ذلك في الشرك

الأكبر والكفر المبين .

والمفهوم الصحيح للآية ليس على نحو ما ذهبوا إليه ، أو بنوا عليه ما اعتقدوه، فتفسير " النور " الوارد في الآية هو " القرآن " وليس النبي ﷺ وإن كانت الآية تحتمله ، فقوله تعالى ﴿ **قد جاءكم من الله نور** ﴾ يمكن أن يفسر قد جاءكم من الله نور هو النبي أو جاءكم من الله نور هو القرآن ، لأن كلمة "جاءكم" تصح على المعنيين .

وذلك فبعض المفسرين فسرها بالقرآن ، وبعضهم فسرها بالنبي ، وإلى هذا القدر فالأمر محتمل ، حتى تأتيه أدلة أخرى ترفع هذا الاحتمال ، وتزيل هذا الإشكال ، وتمنع اللبس أو الغموض وهذه الأدلة – بفضل الله تعالى – قائمة ، وذلك في القرآن ، وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن .

فلو قال الله تعالى : قد أرسلنا إليكم نورًا ، فلا يحتمل إلاّ النبي ، ولو قال : أنزلنا إليكم نورًا ، فلا يحتمل إلاّ القرآن ، فإذا لم يكن هذا مفسرًا في تلك الآية فهو مفسر في غيرها في مثل قوله تعالى : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً** ﴾ [سورة النساء : ١٧٤] والمراد بالنور المنزل هنا هو القرآن.

وقال أيضاً: ﴿ ... **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٧] .

والنور الذي أنزل معه القرآن أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [سورة التغابن : ٨] هو القرآن كذلك. فهذه الآيات التي ذكرت النور بمعنى القرآن كافية في تفسير آية المائدة ﴿**قد**

جاءكم من الله نور ﴾ بأنه هو القرآن، وليس النبي ﷺ.

وقد يقول قائل : فكيف يكون النور هو القرآن ، والكتاب المبين هو القــرآن، فيعطف الشيء على مثله ، فنقول : لا ، ليس هذا من جنس هذا، وإنما هو من باب تعدد الصفات لموصوف واحد، ونظائره في القرآن الكريم كثيرة ، ومنــها **﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾** [سورة الإسراء : ٨٢] وكذلك **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّــدُورِ وَهُــدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾** [سورة يونس : ٥٧] وعن الرسول ﷺ :**﴿ يَا أَيُّهَــا النَّبِــيُّ إِنَّــا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّــراً وَنَــذِيراً (٤٥) وَدَاعِيــاً إِلَــى اللَّــهِ بِإِذْنِــهِ وَسِــرَاجاً مُّنِيراً (٤٦) ﴾** [سورة الأحزاب : ٤٥،٤٦] فكل هذا وغيره – يدل على جواز تعدد الصفات لموصوف واحد.

ونحن إذ نقرر تلك الحقيقة وهى أن تفسير قوله تعالى : **﴿ قد جاءكم مــن الله نور ﴾** وهو القرآن، ليس هذا معناه أننا ننفى النورانية عن رســول الله ﷺ فقد رأينا في الآية السابقة، أنه موصوف "بالسراج المنير" الذي هو صفة القمر، فالنبي ﷺ في نوره شبه بالقمر الذي يضئ للناس الطريق في ظلمات البر والبحر، وكذا النبي محمد ﷺ يهتدي الناس بهدايته، ويستضيئون بوحيه، فيصل بهم إلى بر الأمان، وشاطئ السلامة، وذلك في الدنيا والآخرة.

ولكن هذه النورانية "معنوية" لا تتنافى مع بشريته ﷺ التي أثبتها له القــرآن الكريم في كثير من الآيات، ومنها **﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾** [سورة الإسراء : ٩٣] .

وكذلك **﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِــدٌ ﴾** [ســورة

الكهف : ١١٠] .

وأيضاً ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٤]وغيرها من الآيات.

وفى السنة « **إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ ، فلعل أحدكم يكون ألحن بالحجة من أخيه فأقضي له، فإنما أقضي له بقطعة من النار** ....»[١].

وقوله ﷺ للرجل: « **هون عليك، إنما أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل القديد** »[٢] وغير ذلك فكيف يتسنى للصوفية أو غيرهم أن ينكروا بشرية النبي ﷺ ، مع هذا الوضوح الذي لا لبس فيه ولا غموض، وكيف يتجرأون على إنكار هذه الآيات من القرآن، وإنكار حرف من القرآن كفر، فكيف ببضع آيات؟!!

فللنبي ﷺ نورانية، ليست من نور الله ولا قبضة منه، ولا أنه في ليلة الإسراء والمعراج اتصلت نورانية النبي بنورانية الله، فحل الجزء في الكل، كما زعمت الصوفية!! فهذا كفر بواح، وهو شرك صراح مثل شرك النصارى فيما زعمته في عيسى ابن مريم عليه السلام ، وقد نهى عنه النبي ﷺ فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**»[٣].

كما لا نزعم أنها نورانية حسية، بحيث ينير فيراه البعض، وينطفئ فلا يراه

---

(١) رواه البخاري في المظالم (٢٤٥٨) ، ومسلم في الأقضية (١٧١٣).
(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٣١٢)، وابن سعد (٢٣/١) والحاكم (٤٧/٣-٤٨). وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٧٦).
(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، (٣٤٤٥)، والبغوي في شرح السنة (٣٦٨١)، وأحمد (٢٣/١).

أحد على حقيقته !! وليس هو – كذلك – من نور الملائكة، لأنه بشر، من ولد آدم – الذي هو من طين – ومع ذلك فهو ﷺ أفضل من الملائكة – الذين هم نور– بل هو أفضل من إمام الملائكة "جبريل" عليه السلام ولذلك قلنا: إنها نورانية معنوية، كما أن الإيمان نور، والقرآن نور، والصلاة نور، والصبر ضياء، والعلم نور، وكل هذا نور معنوي، والذي جاءنا بهذا الخير أو النور، أو جاء عن طريقه هو النبي ﷺ الذي جمع بين نور الإيمان والقرآن والعلم والصلاة والصبر وسائر الطاعات والخيرات والبركات، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات.

فهذا هو المعقول والمقبول، وليس على النحو المخبول الذي قال به أصحاب الخرافات والأساطير، وأعود للآية فأقول: إن الآية الكريمة لم تغفل الحديث عن النبي ﷺ وإنما بدأت به، ثم ثنت بالحديث عن القرآن الكريم، في مَعْرِض الحديث عن الامتنان على أهل الكتاب بأعظم نعمتين في الوجود، هما النبي ﷺ والقرآن الكريم.

والحقيقة التي لا تنكر على الإطلاق، أن النبي ﷺ بشر، وليس بملك، وأنه إنسان وليس إلهاً ولا ابن إله ولا جزءاً من إله، ولكنها البشرية المؤمنة الكاملة التي حلقت فوق قمة السمو الإنساني الأعظم، مع التألق في مقام العبودية الخالصة في أعلى أفق للتوحيد الخالص.

فأين هذا مما زعمه الصوفية أن النبي محمد ﷺ خلق من نور، وأن كل شيء من نوره، فقال الدباغ " إعلم أن أنوار المكونات من عرش وفرش وسماوات وأرضين وجنات وحجب، وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت بعضها من نور النبي، وأن مجموع نوره، لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على

الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها، ووضع ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت.

ويقول "التيجانى" لما خلق النور المحمدي، جمع في هذا النور المحمدي جميـــع أرواح الأنبياء والأولياء جميعاً جمعاً أحادياً، قبل التفصيل في الوجـــود العـــيني، وذلك في مرتبة العقل الأول.

ويقول "الحلواني" في قصيدته "المستجيرة" يخاطب رسول الله:

أنشأك نوراً ساطعاً قبـــل الـــورى	فرداً للفـــرد، والبريـــة فى العـــدم
ثم اســـتمد جميـــع مخلوقاتـــه	من نورك السامى، فياعظم الكرم
فلذا إليك الخلق تفـــز ع كلـــهم	فى هذه الدنيا، وفى اليوم الأعـــم
وإذا دهتـــهم كربـــة فرجتـــها	حتى سوى العقلاء فى ذلك انتظم
جُد لى، فإن خـــزائن الـــرحمن فى	يدك اليمنى، وأنت أكرم من قسم

وغير ذلك كثير وكثير، يسمع منهم، ومعروف في قصـــائدهم وكلامهـــم، وأذكارهم وأورادهم، فهم يقولون في بعض صلواتهم على النبي ﷺ "اللهم صل على من منه انشقت الأنوار، وانفلقت الأسرار، وفيه ارتقـــت الحقـــائق ..." وصلاة الفاتح: " اللهم صلِ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى أهله حق قدره ومقداره العظيم " كما زعمت الصوفية أن النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، هنـــاك حـــل الجزء بالكل، أي عاد جزء النورانية المحمدية إلى النورانية الإلهية، وغير ذلك من الهراء الذي تزعمه الصوفية وتدين به، بل هو الكفر والافتراء، المأخوذ من كلام أهل الضلال والأهواء ولا يمت بصلة لدين رب الأرض والسماء.

وهل يجوز أن تأخذ قضايا الدين بدون بينة أو دليل، أو حجة وبرهان ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ١١١]فأين الدليل على هذا الكلام أو ذلك الزعم، والآية التي استدلوا بها على نحو ما رأيت، ليس فيها ثمة دليل على ما زعموه، والأحاديث التي استشهدوا بها من جنس الموضوع المكذوب على رسول الله ﷺ.

فياقوم: هذا دين وليس بطين، وهذه فتّوى، وليست "فتًى" !![1].

❁❁❁

(١) راجع بتوسع كتاب: هذه هي الصوفية، عبدالرحمن الوكيل، شبهات الصوفية، د/عمر بن عبدالعزيز.

"ما هـــــى الوسيلة"

(٢)قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِـدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة : ٣٥] .

والشاهد: وابتغوا إليه الوسيلة، حيث فهم كثير من الناس معنى الوسيلة فهماً خاطئاً، فزعموا أنها الوسيلة بالنبي محمـــد ﷺ، وآل بيتـــه، وكـــذا بالأوليـــاء والصالحين، وتوسعوا فيها حتى شملت مشايخ الطرق، والتوسل بأي شيء، فكل وسيلة عندهم مشروعة.

فباب الوسيلة مفتوح على مصراعيه - عنـــد الصـــوفية - لا يضـــرهم ولا يضيرهم أن يتوسلوا بأي شيء، سواء أكان دعاءً، أم نذراً، أم طوافاً، أو كـــان سجوداً على الأعتاب، أو تمسحاً بالأبواب، أو تبركاً بالأخشاب، كـــل ذلـــك باسم الوسيلة !!

ونصحح هذا الفهم الخاطئ فنقول: ما هي الوسيلة؟ وهـــل كـــل وســـيلة مشروعة؟ وما معنى الآية على هذا النحو:

أولاً: الوسيلة في الشرع هي التقرب إلى الله تعالى بالإيمان به والعمل الصالح، طلباً للتقرب منه تعالى، والحظوة لديه والدرجة عنده سبحانه وتعالى، أو لقضاء حاجة بالحصول على مطلوب، والفوز بمرغوب، والنجاة من مرهوب، وتحقيق نفع أو دفع ضر.

وهذه الوسيلة لابد لها من شروط أساسية لتكون مجدية نافعة، يحصـــل بهـــا القرب، أو تقضى بها الحاجة، لابد من مراعاة شروط أساسية، ولابد من توافرها

بأن يكون العبد المتوسل إلى الله مؤمناً صالحاً، وأن يكون العمل المتوسل به مما شرع الله تعالى لعباده، وأن يتقربوا به إليه سبحانه، وأن يكون العمل المشروع قربةً موافقاً في أدائه لما كان الرسول ﷺ يؤديه عليه، فلا يُزاد فيه ولا يُنقص منه، ولا يفعل في غير زمانه الذي شرع له، ولا في غير مكانه الذي عين له وحدد.

فلهذا لا يكون عمل غير المؤمن قربة ولا وسيلةً أبداً، كما لا تكون البدعة قربة إلى الله تعالى ولا وسيلة بحالٍ من الأحوال، ولا كل ما هو من جنس ما لم يشرعه الله تعالى، أو لم يسنه الرسول ﷺ.

ثانياً: وبذلك يتضح لنا أنه ليست كل وسيلة مشروعة.

إذ لو كانت كل وسيلة مشروعة لكانت الغاية تبرر الوسيلة، فالوسيلة منها ما هو جائز، ومنها ما هو ممنوع، فالجائز منها هو كل وسيلة أذن فيها الشارع ولا فرق في ذلك بين التوسل في الأمور الدنيوية، أو الأمور الأخروية، فلابد من إذن الشارع في جواز الوسيلة وإلاَّ حُرمت.

والمشروع منها لا يكون بهوى أو مزاج أو تعصب، وإنما بما شرعه الله لعباده، وأذن لهم فيه.

وهي التي يمكن أن نلخصها في الإيمان - بأركانه،بتمامه،بفحواه ومعناه، بمطلقه وإطلاقه - وكذلك بالأسماء الحسنى، وبالعمل الصالح، وبدعاء المؤمنين[1].

والوسيلة بهذا المعنى مشروعة، مندوب إليها في كل مكان وزمان، وهو الذي

(١) راجع الوسيلة المشروعة بالتفصيل في كتابنا "شبهات التصوف.

أمر به وأشار إليه قول ربنا الرحمن: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾.

ثالثاً: ففي الآية أمرٌ بالوسيلة وترغيب للمؤمنين في طلب القرب من الله تعالى، بفعل الطاعات الزائدة عن الفرائض والواجبات.

والآية وإن كانت تدل على الوسيلة المشروعة - على سبيل العموم - فإنها تدل على التوسل بالعمل الصالح - على سبيل الخصوص- كما هو واضح من نص الآية، بالأمر بالتقوى والجهاد.

والتقوى هي جوهر هذا الدين ومنزلة رفيعة فيه، ثم وصولاً إلى ذروة سنام الإسلام، وهو الجهاد في سبيل الله.

فالآية تحدثنا عن الوسيلة المشروعة، وليست الممنوعة، على نحو ما وضحناه، ولا يجوز إساءة فهم الآية حتى تشمل كل وسيلة، الجائز والباطل، والمشروع والممنوع !!.

فهل يجوز تفسير الآية على أن الوسيلة التي تُبتغى إلى الله هي عباد أمثالهم، يسألون الله تعالى بذواتهم، ويتوجهون إليه بأشخاصهم، ويقسمون عليه بحقهم؟!!

"ايتوني بإثارة من علم إن كنتم صادقين" ؟!!

ومن ثم فلا توسل بالأشخاص مهما كانت درجتهم، أو علت منزلتهم، فلا توسل بملكٍ مقرب، ولا نبيٍ مرسل، ولا وليٍ صالح، وكل ما يفعل عند قبور الأولياء الصالحين باسم الوسيلة فهو مرفوض، وكل دليل استدل به على هذا

الصنيع، فهو إن صح الدليل، لم يصح الاستدلال، بل فهم على غير وجهه، ووضع في غير موضعه، ولوِّي عنق النص حتى يتفق مع رغبات أهل البدع والأهواء [(١)].

إن الوسيلة لابد أن تكون من العمل المشروع قربة، الموافق في أدائه لما كان الرسول ﷺ يؤديه، مع إخلاص النية لله عز وجل، وهذا العمل يتمثل في أداء الفرائض والواجبات، وفعل الطاعات الزائدة عن ذلك، والنوافل، وكذلك بتقوى الله عز وجل التي تتحقق بفعل المأمور وترك المنهي، وتترقى حتى درجة الإحسان، وبها تتحقق النجاة من العذاب، وتحصيل الثواب إن شاء الله تعالى.

❁❁❁

(١) راجع شبهات المتوسلة، المرجع السابق.

"ما حكم من لم يحكم بما أنزل الله ؟"

(٣) قال تعالى : ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

وأردفها في الآيات المتعاقبة بقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] .

وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة ٤٧] .

والفهم الخاطئ يتمثل فيما ذهب فيه الناس مذاهب شتى حول هذه الآيات الكريمة فمنهم من قال: إنها ليست منها شيء في المسلمين، إنها في أهل الكتاب !! أو في اليهود خاصة ! .

ومنهم من زعم: أن الآية الأولى "الكافرون: في المسلمين، لكن على غير وجهها، و"الظالمون" في اليهود، و"الفاسقون"في النصارى. !!

ومنهم من زعم: أنها في المسلمين كلها، ولكن على نحو ما قال ابن عباس وأصحابه "ليس بالكفر الذي تذهبون إليه ، إنما هو كفرٌ دون كفر، وظلمٌ دون ظلم، وفسقٌ دون فسق".

ثم راحوا يطبقون ذلك على الحكام المُبدلِّين لشرع الله، والمتحاكمين إلى قوانين أهل الأرض !!!

وعلى العكس من ذلك قال الخوارج إنها تقضى بأن كل من حكم بغير ما انزل الله فهو كافر، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله فوجب أن يكون كافراً.

ومنهم من زعم أنها ليست على وجهها، بل تعني فعلا يضاهي أفعال الكفار، ويشبه – من أجل ذلك – الكافرين . ونحو ذلك مما ذكر في تفسير الآية، وقد فهم على غير وجهه أو وضع في غير موضعه[١].

فلا يمكن أن يصح القول بأن هذه الآيات نزلت في اليهود خاصة، أو في أهل الكتاب فقط دون المسلمين وذلك لأسباب منها: العمل بالقاعدة الصحيحة التي تقول: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وقوله تعالى: ﴿**ومن لم يحكم...**﴾ كلام أدخل فيه لفظ "من" في معرض الشرط فيكون للعموم، فلا يفيد الاختصاص.

وإذا حكم على أهل الكتابين بالكفر والظلم والفسق إذا لم يحكموا بالتوراة والإنجيل، فنحن المسلمين من باب أولى إذا لم نحكم بالقرآن، وإذا ذكر أنها في أهل الكتاب فقط، يترتب على ذلك أن المسلمين إذا حكموا بغير ما أنزل الله فلن يكونوا كافرين ولا ظالمين ولا فاسقين !!

فالصحيح أن الآيات تشمل أهل الكتاب وغيرهم ، ورضي الله عن حذيفة، وقد ذكرت الآيات الثلاث عنده، فقال رجل: إن هذا في بني إسرائيل، فقال حذيفة: نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل، إن كان لكم كل حلوة، ولهم كل مُرَة، كلا والله لتسلكن طريقهم قذ الشراك، أو قال: حذو النعل بالنعل.

ولا يصح قولهم بأن الآية الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، وهو أضعف من سابقه، إذ يترتب عليه أن يكون المسلمون أسوأ حالاً

---

(١) راجع كتب التفسير .

من اليهود والنصارى.

ولا يشفع لهذا قولهم: إن الكفر إذا نسب إلى المؤمنين حمل على التشديد والتغليظ.

إذ أن الكفر – هنا في الآية – بمعناه الشرعي ، الكفر الأكبر الذي يخرج من الملة، ويُستبعد رأى الخوارج في الآية، إستشهدوا بها على كفر من أذنب، وقاسوه على الذي حكم بغير ما أنزل الله، وعلى كفر الفاسق، كما هو في مذهبهم، والآية لا تعنى ذلك، ولا شك أن أمر المعصية يختلف عن أمر الحكم والاعتقاد.

ولا يصح قولهم: إن المراد بالآية ترك الحكم بجميع ما أنزل الله، إذ يجاب عنه: بأن الوعيد على ترك الحكم بما أنزل الله، وهو يتناول تعطيل الحكم جميعه أو بعضه، بل نزلت الآيات بسبب مخالفة حكم الله في واقعة الرجم.

ولا يصح الرأي القائل: أنه فعل فعلاً يضاهى أفعال الكفار، ويشبه من أجل ذلك الكافرين، فهو عدول عن الظاهر، وليس له ما يؤيده.

وأما ما صح عن ابن عباس ، وعطاء، وابن طاووس، وبعض السلف قولهم:– إنه كفر دون كفر، أو كفر لا ينقل عن الملة، أو أنه ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله، فهذه تحتاج إلى دقة في الفهم، وتصحيح للمفهوم.

إذ أن هذا القول من ابن عباس "كفر دون كفر" يتنزل على ما كان معروفاً أو سائراً في حينه عند الصحابة رضي الله عنهم من أن مخالفة الشرع، فيما لو حدثت تكون في واقعة أو مسألة واحدة أو عدة مسائل ويفعل ذلك

وهو معتقد أنه فعل معصية -كترك واجب أو فعل محرم - ولا تتجاوز هذا الحد.

وما كان يدور بخلد صحابي أن حاكماً يمكن أن يخالف الشرع جملة وتفصيلاً، وأن يضع منهاجاً متكاملاً حسب هواه يخالف كله شريعة الله.

ولو تصور ابن عباس -رضي الله عنهما - وقوع مثل هذا الأمر، بمخالفة الشريعة كلها، واستبدالهم بشريعة الله قوانين من عند البشر لحكم عليه بالكفر البواح المخرج عن الملة، فليس هناك كفر أكبر من ذلك ...

فكلام السلف هنا إذا حكم برشوة، أو لقرابة أو شفاعة، أو ما أشبه ذلك، فلاشك أن ذلك كفر دون كفر.

وأما ما وجد في حياة المسلمين - ولأول مرة في تاريخهم منذ سقطت الخلافة في هذا العصر- وهو تنحية شريعة الله عن الحكم ورميها بالرجعية والتخلف، وأنها لم تعد تواكب التقدم الحضاري، والعصر المتطور، فهذه ردة جديدة في حياة المسلمين، إذ الأمر لم يقتصر على تلك الدعاوى التافهة، بل تعداها إلى إقصائها فعلاً عن واقع الحياة، واستبدال الذي هو أدنى بها، فحل محلها القانون الوضعي ونظم الجاهلية الكافرة.

❁❁❁

"مـــن نـــوالى؟"

(٤)قوله تعالى: **﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾** [المائدة : ٥٥] .

زعم قوم أنها نزلت في "على بن أبي طالب" - رضي الله عنه -، وقد تصدق بخاتمه وهو راكع !!

وأوردوا في ذلك مجموعة من الآثار ذكرها المفسرون عند الآية-، كما ذكرها ابن كثير، ثم علق عليها بقوله: ليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها.

أغلب الظن أنها من موضوعات الشيعة في سيدنا على بن أبي طالب.

فلماذا تفسير "والذين آمنوا " بعلي بن أبي طالب، وتنحصر فيه، وتقتصر عليه؟ ولماذا يتصدق "عليٌّ" وهو راكع، فما الذي يمنعه من الانتظار حتى يفرغ من صلاته؟ .

ومن الذي جوز للسائل أن يدخل المسجد ويسأل الناس وهم ما بين راكع وساجد ؟ وهل أمرنا الله تعالى أن نؤدي زكاتنا ونحن على هيئة الركوع ؟

أم هو الخضوع والامتثال والانقياد لله عز وجل ؟ فهذا هو الذي نفهمه من معنى الركوع. والآية تتحدث عن الولاء. الذي جعلته لله عز وجل، ولرسوله ﷺ وللذين آمنوا ، الذين من أخص صفاتهم "إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والخشوع والخضوع والامتثال والانقياد لله رب العالمين !!

"مـــن نعـــــــادى؟"

(٥)قال تعالى: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّـا نَصَـارَى** ... ﴾ [المائــدة :٨٢]
والفهم الخاطئ في الآيات يتمثل - عملياً - في موالاتنا لليهود، وصداقتنا لهـم ومسالمتنا لهم ، مع أن الله عز وجل بين أهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وأن عداوهم أشد من عداوة المشركين ويتمثل - نظريـاً وعمليـاً - في مـوالاة النصارى، بزعم أهم يودوننا ويحبوننا، وأهم قريبون لنا.

بدليل الآية ﴿**ولتجدن أقرهم مودة للــذين آمنــوا الــذين قــالوا إنــا نصارى..**﴾

فهم أبناء عمومتنا، وهم يحبوننا، فيجب أن نبادلهم حباً بحب، ومودة بمودة، وقرباً بقرب !!

هذا وكم تستغل هذه الآية الكريمة، عند الحديث عن الوحدة الوطنية، والبعد عن الفتنة الطائفية، ولذلك تجد من المسلمين من يحب النصارى، عمــلاً بهــذه الآية، وقد نسيَّ مبدأ البراء بين المسلمين والكفار !! .

والحق يقال : إن الآية الكريمة لا تعنى ما ذهبوا إليه على الإطلاق، لأن محبة الكافرين كفر، ولأن الركون إليهم، وائتمامهم ومداهنتهم ونحو ذلك من الموالاة التي حرمها الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُـودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِـنْهُمْ إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المائدة : ٥١] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

وقال أيضاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٠٠] .

وقال كذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)﴾ [آل عمران : ١١٨ : ١٢٠] .

وكذا قال ربنا: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ... ﴾ [البقرة ٧٥ : ٧٦]

وقال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة ٥٧].

كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ

استَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة : ٢٣]
وكذلك قال تعالى: ﴿ لاَ يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ المَصِير ﴾ [آل عمران : ٢٨] . كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩].

وكذا قال تعالى: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ... ﴾ [المجادلة : ٢٢].

وبناء على هذه الآيات ونحوها – التي جاءت في قضية الولاء والبراء – يتبين لنا أن اتخاذ أعداء الله أولياء – الذي يعنى اتخاذهم أنصاراً ومؤيدين مع التقرب إليهم ، وإظهار الود لهم، واتباع أهوائهم، وطاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به والركون إليهم ومداهنتهم ومجاملتهم على حساب الدين، واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، ومعاونتهم على ظلمهم ونصرهم، والتشبه بهم في العقائد والعادات، والأخذ بقوانينهم ومناهجهم في حكم الأمة وتربية أبنائها، واتخاذهم بطانة وحاشية، أو حبهم والتودد إليهم ، كل ذلك يكون كفرًا وردة عن الدين، بصريح القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] ، فكيف يتفق مع كل الآيات السابقة أن يُقال إن قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ... ﴾ بأنها تأمر بأخوتهم ومحبتهم والتقرب منهم ؟!!

إن المسلم لابد أن يحدد موقفه من أعداء الله، وأعداء دينـــه، مـــن الكفـــار والمشركين والمرتدين، وكما عليه أن يعلن عن الالتزام بالإسلام كله، فعليـــه أن يعلن عن البراءة من الكافرين، التي هي ركن ركين من الدين، وجزء من عقيدة الإسلام لا يقبل الظنون، فهي لا تحتمل الخلاف حولها أو المفاصلة فيها "فمـــاذا بعد الحق إلا الضلال" فكيف بمحبة الكافرين ومودهم؟ وهل الدين إلا الحـــب والبغض؟

إن المسلم يجب أن يتبرأ من الكافرين، ولكن – للعلم- يستثنى من البراءة هذه، ولا ينقضها أمور، منها: اللين عند عرض الدعوة، أو حل الـــزواج بالكتابيـــة، وأكل ذبيحة الكتابي أو المجاملة والإحسان والدعاء لهم بالهداية، أو الإهداء لهم، وقبول هداياهم، أو عيادة مرضاهم، أو التصدق عليهم والإحسان لهم، ويمكن إجمال هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿ **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)** ﴾ [الممتحنة : ٨ ، ٩]

هذا والكلام عن مفهوم الولاء والبراء ، شرحه يطول .

فأعود للآية بعد الوقفة الأولى حول معناها الإجمالي بين الآيات التي ذكرناها – لننظر إليها على حده فنجد أن الآية الكريمة – والآيات التي تليها – تحـــدثنا عن قوم أسلموا من النصارى.

ذكر أنها نزلت في"النجاشي"ومن أسلم معه من الأحبار والرهبان وســـياق الآيات يدل على ذلك، لما بينها وبين موقف"جعفر بن أبي طالب" وأصـــحابه،

مع النجاشي وبطانته، في ذهاب "عمرو بن العاص" إليه لإحضار المسلمين من الحبشة كما حكته كتب السيرة من توافق كبير جدًا، وكدت أجزم بذلك ، لولا شبهة واحدة، وهي أن الآية مدنية كما أن سورة المائدة مدنية ، وإسلام النجاشي وموقف جعفر كان قبل الهجرة ... وإن كان لا يمنع نزول ذكر الحديث متأخراً، كما في آيات الهجرة التي نزلت بعد غزوة تبوك **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله ... ﴾** .

وأياً ما كان الأمر: نزلت في النجاشي أو غيره، فالشاهد أنها نزلت في قوم من النصارى عرفوا الحق، ولم يستكبروا على اتباعه، ولم يأنفوا على الدخول فيه، بل انقادوا للحق- وهم أهل علم وعبادة- فآمنوا- يعني لم يبقوا على نصرانيتهم- ودعوا الله أن يدخلهم مع القوم الصالحين، فترتب على ذلك دخولهم الجنات التي حرمها الله على الكافرين، كما قال : **﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) ﴾** [البقرة : ١١١ ، ١١٢] ، فالجنة حرام إلاَّ على أهل الإسلام ، وهؤلاء من أهلها فكيف هم إذن؟ نصارى يجب أن نحبهم لأنهم يحبوننا- كما زعموا؟ !! كلا بل هم الذين قال الله عنهم **﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ... الآية﴾** [آل عمران: ١٩٩].

وهذا الصنف هم الذين قال فيهم: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ**

وممَّا رزقْناهُمْ يُنفقُونَ (٥٤) وإذَا سمعُوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عنْهُ وقَالُوا لنَا أعْمَالُنَا ولَكُمْ أعْمَالُكُمْ سلامٌ عليْكُمْ لا نَبْتَغي الجَاهلِينَ (٥٥) ﴾ [القصص :٥٢-٥٥] .

وهنا قال : ﴿أَشْرَكُوا ولَتَجدَنَّ أقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذينَ آمنُوا الَّذينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَى ذَلكَ بأَنَّ منْهُمْ قسِّيسينَ ورُهْبَاناً وأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وإذَا سمعُوا مَا أُنزلَ إلَى الرَّسُول تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفيضُ منَ الدَّمْع ممَّا عَرَفُوا منَ الحَقِّ يَقُولُونَ ربَّنَا آمنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهدينَ (٨٣) ومَا لَنَا لاَ نُؤْمنُ باللَّه ومَا جَاءنَا منَ الحَقِّ ونَطْمَعُ أن يُدْخلَنَا ربُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّالحينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا وذَلكَ جَزَاءُ المُحْسنينَ (٨٥) ﴾ [المائدة : ٨٢ ، ٨٥] .

❁❁❁

"ما حكم الدعوة إلى الله تعالى"؟

(٦) قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة : ١٠٥].

فهذه آية من بين الآيات التي فهمت فهما خاطئًا، على غير وجهها ووضعت في غير موضعها ، وكانت بوادر هذا الفهم الخاطئ مبكرة من العصر الأول، لكن كَثُرَ ذكر الناس للآية - خاصة في زماننا هذا - على النحو الخاطئ الذي نشير إليه وننبه عليه، فالذي خبر الناس واحتك بهم عن طريق الدعوة يسمع هذه الآية كثيرا تقال له إذا قام يدعو إلى الله تعالى، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أو يصلح بين المتخاصمين، فيقال له، "عليكم أنفسكم"، انصح نفسك!

ويقال له: دع الملك للمالك، أقام العباد فيما أراد" لا يضركم من ضل إذا اهتديتم". ونحو هذا.

وهكذا نرى الآية الكريمة وضعت في غير موضعها، لدرجة أنها - بناءً على هذا الفهم الخاطئ - تهدم قاعدة أساسية من قواعد الإسلام، التي فضل الله بها هذه الأمة، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، ألا وهى قاعدة"الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" أو الدعوة إلى الله تعالى ، عموماً.

فكيف يصح هذا؟ وكيف يجوز أخذ آية واحدة، وترك واحدة، وترك ما سواها، مما هو في نفس الباب.

إن قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ .....** ﴾ .

يجب أن يفهم في ظلال قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

ومع قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .... ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وفى ظل قوله سبحانه : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ومع قوله تعالى: ﴿ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢]، ونحو ذلك من الآيات.

وفى ظلال السنة، إذ يقول النبي ﷺ : « **ليبلغ الشاهد منكم الغائب** »[١] وقوله ﷺ : « **بلغوا عنى ولو آية** »[٢] وقوله ﷺ : « **نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فبلغها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه** »[٣] ونحو ذلك.

فهذه الآيات والأحاديث في أمر الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهى

---

(١) أخرجه البخاري في العلم (١٠٤)، ومسلم في الحج(٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء(٣٤٦١)، والبغوى فى شرح السنة (١١٣).

(٣) أخرجه الترمذي في العلم (٢٦٥٨) وابن ماجة في المقدمة (٢٣٠) وأحمد (٤/٨٠) والخطيب في التاريخ (٣/١٩٢) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٠٣) .

عن المنكر كثيرةً جدًا، فهل يترك هذا كله، وتقتطع هذه الآية وحدها ليستخرج منها حكم يدعو إلى الأثرة والأنانية، وترك الدعوة إلى الله، وهجران الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، دون ما نظر إلى بقية الآيات والأحاديث التي جاءت في هذه القضية، فهذا ما لا يجوز أبدًا. و لم يقل به أحدٌ من أهل العلم.

ولذلك فالمجتهد إذا أراد استخراج حُكم في مسألة، جمع كل الآيات والأحاديث التي تدور في فلك هذا الحكم، والتي تتناول هذه القضية، ليستخرج بعد ذلك حكمًا صحيحًا.

وبناء الأحكام على آية واحدة دون بقية الآيات – مع ضيق الأفق، وسطحية النظر – يوصل إلى أحكام خاطئة ، ويورث تعارضا في دين الله وتناقضا في كتاب الله.!! .

وإلا فعندما ننظر إلا هذه الآية الكريمة التي نحن بصددها نجد أنها تحمل في معناها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وليست – كما زعم كثير من الناس – دعوة إلى الإنعزالية والأنانية!!

ويتضح ذلك فيما يلي:

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ هذا النداء بصفة الإيمان، يحمل في طياته شعب الإيمان، التي هي بضع وسبعون شعبة، ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من هذه الشعب.

وقوله تعالى: ﴿**عليكم أنفسكم**﴾ كما تطلق على الشخص ذاته، تطلق على غيره أيضا.

كالزوجة، والولد، والمجتمع المؤمن كله كنفس واحدة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا.. ﴾ [الروم : ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ [النساء : ٢٩] تطلق على الشخص وعلى أخيه في الإسلام.

وكذا قوله تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [الحجرات : ١١] ولا يلمز الإنسان شخصه، فلم يبق إلا لمز أخيه المسلم.

فهناك نجد أن كلمة النفس تخص وتعم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وعليكم أنفسكم﴾ إذا جاء هنا مجملا، فقد جاء مفصلا في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ.. ﴾ [التحريم : ٦].

فأنت مسئول عن نفسك وأهلك، وعمن تعول، وتتسع دائرة المسئولية حتى تشمل العالم كله - أحيانا - حسب حال الإنسان من الدعوة، وهو بين فرض العين، أو فرض الكفاية.

ولكن دعوة الأسرة، وإصلاحهم، من قبيل فرض العين [١].

وقوله تعالى: ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ ليست من البداية، بدون أمرٍ بمعروف أو نهيٍ عن منكر، بل إذا دعوتم إلى الله، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، ونصحتم لله ولرسوله ولكتابة وللمؤمنين، وأديتم ما عليكم، ثم بعد

---

(١) أنظر تفصيل حكم الدعوة إلى الله، فى كتابنا: الصحوة الإسلامية ما لها وما عليها.

ذلك لم يستجب لكم، فما عليكم إلا البلاغ، ولا يضركم - بعد - من ضل إذا اهتديتم وأديتم وأحسنتم. فهي بعد القيام بالدعوة على أكمل وجه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كما أراد الله تعالى، وبين ذلك.

ثم تعالوا ننظر كيف فسرها النبي ﷺ، وصحابته الكرام حتى لا يكون ذلك بالهوى، أو كما فسرها العوام.

روى الترمذي عن أبي أمية الشيعانى، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشنى ، فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** .. ﴾ قال : أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها خبيرا، وسألت عنها رسول الله ﷺ فقال: « **بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوىً متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم** » قال عبد الله بن المبارك: وزاد غير عتبة: "قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: « **بل أجر خمسين منكم** »[(١)].

وروى الإمام أحمد عن قيس، قال: قام أبو بكر الصديق ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس أنكم تقرءون هذه الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني

---

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم (٤٣٤١)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٨)، وقال : حسن غريب، وابن ماجة في الفتن (٤٠١٤) والبيهقي (٩٢/١٠) وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٤٤).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه** قال: وسمعت أبا بكر يقول: يا أيها الناس: إياكم والكذب، فإن الكذب مجانب للإيمان"(١).

وروى عبد الرازق عن معمر عن الحسن أن ابن مسعود رضي الله عنه سأله رجل عن قول الله ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ فقال إن هذا ليس بزمانها، وإنها اليوم مقبولة، ولكنه قد يوشك أن يأتي زمانها، وتأمرون فيصنع بكم كذا وكذا، وقال فلا يقبل منكم ، فحينئذٍ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل.

ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي مسعود في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ** ..﴾ قال: كانوا عند "عبد الله بن مسعود" جلوسًا، فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال رجل من جلساء عبدالله ألا أقوم فأمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال آخر إلى جنبه، عليك نفسك، فإن الله يقول ﴿**عليكم أنفسكم** ... الآية﴾، قال فسمعها ابن مسعود، فقال: مه، لم يجئ تأويل هذه بعد، إن القرآن أنزل حيث أنزل ومنه "آي" قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه "آي" قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ. ومنه "آى" قد وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ يسير، ومنه "آى" يقع تأويلها بعد اليوم، ومنه "آى" تأويلها عند الساعة – ما ذكر من الساعة، ومنه "آى" يقع تأويلها

(١) وأخرجه أحمد (٥/١) وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند تحت رقم (١٦): إسناده صحيح، وابن ماجة (٤٠٠٥).

يوم الحساب - ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم واحدة وأهوائكم واحدة و لم تلبسوا شيعا و لم يذق بعضكم بأس بعض ، فأمروا ، وانهوا، وأما إذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه، وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية (١)

وروى ابن جرير عن سفيان بن عقال قال: قيل لابن عمر: لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر و لم تنه، فإن الله قال: ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ فقال ابن عمر: إنها ليست لي ولا لأصحابي ، لأن رسول الله ﷺ قال: « **ألا فليبلغ الشاهد الغائب** » فكنا نحن الشهود، وأنت الغيب، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم.

وروى عن قتادة عن أبي مازن ، قال: انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة، فإذا قوم من المسلمين جلوس ، فقرأ أحدهم هذه الآية ﴿**عليكم أنفسكم**﴾ فقال أكثرهم: لم يجيء تأويل هذه الآية اليوم.

وروى عن الحسن عن أبي فضالة عن معاوية بن صالح عن جبير بن نفير، قال: كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله ﷺ، وإني لأصغر القوم فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ ؟ فأقبلوا على بلسانٍ واحد، وقالوا: تنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدرى ما تأويلها، فتمنيت أنى لم أكن تكلمت، وأقبلوا يتحدثون، فلما حضر قيامهم قالوا: إنك غلام حديث السن، وإنك نزعت آية

(١) رواه ابن جرير، وذكره ابن كثير.

ولا تدرى ما هي وعسى أن تدرك ذلك الزمان، إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبعًا وإعجاب كلُ ذي رأيٍ برأيه ، فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت [1]

وإنا نقول: لم يأت زمانها ما دام هناك من يسمع ومن يستجيب.

فتأمل – يا أخي الكريم – كيف فهمت الآية خطأ، وما ترتب على هذا الفهم الخاطئ من وجود أناس اعتزلوا الدعوة إلى الله، وتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وليس الأمر كذلك، لما في ذلك من ضلال الناس وجهلهم وهلاكهم، وبُعد الأمة عن الخيرية المرهّنة بالدعوة إلى الله كما في الآية ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس ..**﴾ [آل عمران : ١١٠].

وبالدعوة إلى الله يكتب لنا النجاة إذا حل العذاب بالأمم ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٦٥] .

❁❁❁

(١) أنظر تفسير بن جرير الطبري.

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة الأنعام

تصحيح المفاهيم الخاطئة فى ((سورة الأنعام))

"هل النبى محمد ﷺ يعلم الغيب؟"

(١) قال تعالى: ﴿ **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأنعام : ٥٠] .

ومع أن الآية واضحة وبينة ومحكمة، إلاّ أنه حاول البعض أن يستدل بالآية استدلالاً غريبًا وعجيبًا، ومن بعض أدعياء العلم والمنتسبين للتصوف - يزعمون أن النبي ﷺ أوتيّ خزائن الله، وعلم الغيب كله، فهو ﷺ يعلم الغيب في الدنيا والآخرة، بل يعلم متى الساعة زمانا ومكانا، ويعلم من هم أهل الجنة ومن هم أهل النار بالتفصيل والإجمال!!.

ووجه ذلك في الآية، أنها ليست على ظاهرها، بل يجب فهم فحواها، لأن النبي ﷺ لا يقول لنا ﴿**قل لا أقول لكم**﴾ ولكن عليكم أن تفهموا ذلك دون قول مني ، لأنه إن لم تكن خزائن الله عندي، فعند من؟ .

وإذا لم أكن أعلم الغيب، فمن يعلمه؟ ألا ترون أني علمتكم الغيب كله فيما سبق، وما هو آت؟ .

فهل بعد هذا كله، لابد أن أقول لكم إني أعلم الغيب؟ لا، ليس شرطًا. ثم يردف قائلاً: والذي يتساءل: هل النبي ﷺ يعلم الغيب؟ دل هذا التساؤل على منتهى جهله بالدين، بعد وضوح قضايا الغيب على لسان رسول الله ﷺ "في الماضي والحاضر والمستقبل" .

وكيف لا يعلم الغيب وقد أخبر عن أمور غيبية كثيرة، كلها - أو جلها حتى الآن - وقعت كما أخبر. وكيف لا، وبعض الأنبياء يعلمون الغيب، والجن تعلم الغيب، والملائكة تعلم الغيب، أفلا يعلم الرسول ﷺ الغيب؟! .

ولأنه لو لم يكن النبي يعلم الغيب لكان جاهلاً! وتبًا لقوم وصفوا نبيهم بالجهل.

وقد قال الله له ﴿**وعلمك ما لم تكن تعلم**﴾ [سورة النساء : من آية (١١٣)]، وقال: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ [الضحى : ٥]. ثم قال: وأسلوب الآية معجز في أسلوبه وفى ترتيبه ولا يحيط بذلك إلاَّ من فتق الله بصيرته، فصار يرى بنور الله، فهي أسرار لا يعرفها إلا الخاصة ولا يعرفها العامة، أو يعرفها أهل المحبة ولا يعرفها الأعداء.

وهناك سر السر الذي لا يطلع عليه إلا الصفوة العالية من الأحباب ..[1] ، والحق يُقال : أن هذا خلط وهراء وقلب للحقائق واستدلال غير صحيح وفهم لكتاب الله على نحو مقلوب ووضع للآية في غير موضعها ، ولو استدل بآية أخرى في أن النبي ﷺ يعلم الغيب، ربما كان له وجه من الوجوه ، ولكن الآية - كما تراها - في غاية الوضوح.

وزَعَمَ بأن الآية فيها سرٌ لا يعرفه إلاَّ الخاصة، وسر السر لا يعرفه إلا خاصة الخاصة وأنها لها باطن يختلف عن الظاهر ، فهذا الزعم لم يُعرف إلا عند الصوفية والباطنية. وقد قال به " ابن عربي " وأمثاله ممن يؤمنون بأن القرآن له ظاهر

---

(١) أنظر : هذا الحق المكتوم، لأحد المتصوفة يدعى "حسن شحاتة" .

وباطن ،!! أو هؤلاء المتصوفة الذين يؤمنون بحقيقة تخالف الشريعة،! وهذا على قدر ما هو منكور في دين الله، على قدر ما هو معروف عند المتصوفة، يرددونه بلا نكران، مع أن ملئه الكفران. والذي نعتقده وندين الله عز وجل به في هذه القضية "قضية علم الغيب".

أن عالم الغيب والشهادة هو الله تعالى **﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾** [الحشر : ٢٢] .

إن صاحب علم الغيب وحده هو الله عز وجل، **﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾** [النمل : ٦٥]، **﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾** [الأنعام : ٥٩]، **﴿فقل إنما الغيب لله﴾** [يونس : ٢٠]، ولكن الله عز وجل قد مَنَّ على بعض عباده من أنبيائه ورسله ببعض الغيب ليكون تأييدًا لهم في دعواهم، وتثبيتًا لهم في رسالتهم، فيوحى إليهم بذلك، وهذا ليس معناه أنهم علموا الغيب وإنما ظهروا عليه،قال تعالى: **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً (٢٨) ﴾** [الجن : ٢٦ -٢٨]، وقال - جل وعلا - مخاطبًا رسوله ﷺ **﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾** [هود : ٤٩]، وكذلك **﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾** [سورة يوسف : ١٠٢، وسورة آل عمران: ٤٤] .

وكيف يزعم أصحاب هذا الفهم الخاص من أدعياء العلم، أن الرسول ﷺ عنده علمُ الساعة ؟ مع أن الله تعالى يقول: **﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ**

الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

ويقول تعالى: **﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾** [الأعراف: ١٨٧]، وقوله تعالى: **﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) ﴾** [النازعات : ٤٢ ، ٤٤] وقوله ﷺ لجبريل – لما سأله: « متى الساعة ؟ قال: **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** »[1]

فهل نترك كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ لنأخذ بكلام بعض أدعياء العلم؟ !!.

وليته كان كلامًا صحيحًا أو فهمًا مستقيمًا، ولكنه في غاية السفاهة والبعد عن النصوص المحكمة وروح الإسلام.

* والزعم بأن الملائكة تعلم الغيب مردود بقول الله تعالى: **﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ (٣٢) ﴾** فالملائكة لا تعلم إلا ما علمها الله تعالى.

* والزعم بأن الجن يعلم الغيب مردود بقول الله تعالى: **﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ ﴾** [سبأ : ١٤] .

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، وأحمد (٥١/١) .

*والزعم بأن عدم معرفة النبي ﷺ للغيب ، اتهام له بالجهل في غير محله، لأن علم الغيب لله وحده، وليس لأحد من عباده إلا القدر الذي أظهر عليه أنبياءه ورسله تأييدًا لهم في رسالتهم وتصديقًا لأمر نبوتهم.

والنبي ﷺ لو كان يعلم الغيب ما تعرض لمواقف محرجة كثيرة، منها - على الأقل - حديث الإفك الذي اتهم به في عرضه ﷺ، وكذا عدم مقدرته على أسئلة المشركين، وقد قال لهم : غدًا أجيبكم، ونسى ﷺ أن يقول "إن شاء الله" فانقطع الوحي خمسة عشر يوما ، حتى راح المشركون كل مذهب، وزعموا كل زعم، فلو كان يعلم الغيب لكان أولى به أن ينقذ نفسه ودعوته.

* وزعمه في الآية: أن النبي ﷺ لا يقول لنا: أنا عندي خزائن الله، أو أعلم الغيب، وإنما علينا أن نفهم ذلك دون قول منه !!، فلئن سلمنا له بذلك جدلاً فهل معنى ذلك أنه يجب علينا أن نفهم أنه مَلَك، لقوله تعالى: **﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾** ؟ لأنها لا تختلف في الأسلوب عن سابقتيها أم سيزعم أن هذه تختلف عن غيرها؟!!.

ورحم الله ابن كثير قال في تفسير الآية: يقول الله تعالى لرسوله ﷺ **﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾** أي لست أملكها ولا أتصرف فيها، **﴿ولا أعلم الغيب﴾** أي ولا أقول لكم إني أعلم الغيب إنما ذاك من علم الله عز وجل، ولا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه، **﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾** أي ولا أدعى إني ملك إنما أنا بشر من البشر يوحى إليَّ من الله عز وجل ، شرفني بذلك وأنعم على به، ولهذا قال: **﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾** أي لست أخرجه عنه قيد شبر ولا أدنى منه **﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾** أي هل يستوي من اتبع الحق وهُدى إليه ومن ضل عنه، فلم ينقد له **﴿أفلا تتفكرون﴾** [1]، فالله أكبر، هذا هو الحق الذي ندين لله تعالى به، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢ ص ١٣٤.

" ما معنى الظلم " ؟

(٢) قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢].

وهى من الآيات التي تأولها الصحابة – رضي الله عنهم – على غير وجهها، يتمثل ذلك في فهمهم لمعنى الظلم في الآية، بأنه ظلم النفس، الذي لا يكاد ينجو منه إنسان، فشق ذلك عليهم، وليس الأمر كذلك. روى البخاري عن عبد الله قال: لما نزلت "ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" قال أصحاب النبي ﷺ: وأينا لم يظلم نفسه؟ فنزلت ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ .

وقال الإمام أحمد عن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾، شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ فقال: **إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح "يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم"** إنما هو الشرك، وبهذا المعنى الصحيح يتبين أن الظلم ظُلمان ، ظلم أكبر، وظلم أصغر، كالذي حكاه السلف الصالح، وقال به أهل السنة والجماعة.

فالله سبحانه وتعالى سمى الكافر ظالما، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، وسمى الشرك ظلما، كما هو في هذه الآية التي نحن بصددها، وكلاهما مثال للظلم الأكبر.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [الطلاق : ١]. وقال نبيه يونس: ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ، وقال

صفيه آدم: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾، وقال كليمه موسى: ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾، وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم.

هذا. وقد وردت هذه الآية الكريمة في قصة سيدنا إبراهيم ومحاورته لعبدة الكواكب، وهذا السياق ذاته من بين الآيات التي فهمت خطأً، لما زعم بعض المستشرقين أن "إبراهيم عليه السلام" عبد الكواكب، أو على الأقل تظاهر بذلك وهادن عبدة الكواكب ، وهو يقول عنها "**هذا ربي**"!! وهذا من الكذب على الله وعلى أنبيائه، "فإبراهيم عليه السلام" الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِياً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

وقال: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣)** ﴾ [النحل : ١٢٠ ، ١٢٣]، وغير ذلك، ما كان له أن يشرك، وحاشاه، بل كان يدعو إلى الله تعالى بلون من ألوان الدعوة، وبأسلوب من بين أساليبها وهو أسلوب المحاورة مع المداراة والمجاراة حتى يصل بالمدعوين إلى الحق والحقيقة، وتلك حجة منحها الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

❖❖❖

" ما سبب هلاك القرى؟"

(٣) قال تعالى : ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣١] ، فكيف ذلك؟ وقد قال تعالى أيضا: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود :١١٧].

فوصف الأهل في الآية الأولى بالغفلة، وفى الآية الثانية بالإصلاح!! فكيف ذلك؟ .

نقول: ففي الآية الأولى أنها بينت أنه بلغ من حكمة الله جل وعلا وعدله ونفي الظلم عن نفسه أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه على أتم وجه، فأول الواجبات وأعظمها وهو توحيد الله تعالى، لا يحاسب الله عليه العباد إلا بعد أن يبلغهم هذا على أتم وجه وأكمله، فإذا كان الإنسان بالغاً عاقلاً، سلمت فيه إحدى حاستي السمع أو البصر ليدرك التكليف، فالتكليف في هذه الحالة منتفٍ عنه حتى تبلغه دعوة الرسول ﷺ ويعرف توحيد الله تعالى عن طريق الرسول ﷺ، كما يريد الله جل وعلا، وإذا لم تبلغه الدعوة عن طريق الرسول فالتكليف منتفٍ عنه، مع أن العقل والفطرة يدلان على وجود الله تعالى ووجوب تعظيمه، وإذا لم يدلا على ذلك فلن يدلا على شيء آخر، فالتكليف منتف حتى يأتي رسول، والعباد في تلك الحالة يوصفون بظلم إذا لم يعبدوا الله قبل مجيء الرسول ولكن الله عز وجل لا يعذبهم ، لأنه ما أقام الحجة عليهم على أتم وجه وأكمله، فهم بذلك غافلون، فسبحان الحكم العدل، الذي لا يُهلك القرى مع أن وصف الظلم ثابت لهم، ولكن رحمة الله جل وعلا، أنه لا يعذبهم وأهلها غافلون عن مجيء الرسول وبلوغ الدعوة لهم، وإتيان النذير، ولذلك انقطعت حجة الكافرين

في النار بهذا القرار ﴿ **كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى .. الآية**﴾ [الملك : ٨ ، ٩] ، ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً...**﴾ [الزمر : ٧١] .

فقبل مجيء الرسولﷺ فالتكليف منتفٍ عن العباد والله لا يُعذب الناس إلاَّ بعد مجئ الرسول ﷺ ، ولأن العقل وإن دل على وجود الله تعالى ووجوب تعظيمه، فدلالته مجمله، فلا بد من مجيء الرسول ليبين للناس الكيفية التي ينبغي أن يتعبدوا الله بها، لئلا يعبد كل واحد منهم ربه على رأيه وهواه، ولذلك كان الرسول بالنسبة للعقل البشرى كالشمس بالنسبة للعين، فكما أن العين لا تدرك بدون نور، فهذا العقل لا يهتدي بدون رسول.

﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وأما الآية الثانية ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** ﴾ التي نفت الهلاك للقرى بظلم منه سبحانه، فهو لا يظلم الناس شيئا، ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ وقوله: ﴿**وأهلها مصلحون**﴾ فذلك بمثابة المسوغ لعدم الهلاك، وإذا كان لا يُعذب العباد مع غفلتهم عن دعوات الرسل فمن باب أولى لا يعذبهم مع صلاحهم وينجيهم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن السوء والمنكر.

وبذلك وضح المعنى للآية الأولى، واتضح أنه لا تناقض بينها وبين الآية الثانية، بحمد الله تعالى.

✿✿✿

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة الأعراف

تصحيح المفاهيم الخاطئة فى "سورة الأعراف"

"ما هو الميثاق؟"

(١) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] .

لقد زعم أناسٌ – في القديم والحديث – أن آية الميثاق هذه كافية في إقامة الحجة على العباد، لأنهم فطروا على التوحيد، وقد أقروا به في هذا الاشهاد، فلا وجه لأن يُعذر الناس في أموره ومسائله، وكونهم ينسون هذا بعد ذلك أو يغفلون عنه فلا عذر لهم في ذلك أيضا.

فحجة الله على العباد قائمة بذلك الإشهاد، وليس بإرسال الرسل، ومن ثم لا يوجد شيء يسمى "بأهل الفترة" وأن الناس إذا قصروا وفرطوا في تعلم أمور الدين مع إمكانية ذلك. فإن جهلوا ووقعوا في أمور الشرك بعد ذلك فلا عذر لهم بالجهل. فبإمكانية العلم قامت عليهم الحجة !! .

وذكروا في تفسير الآية حديث النبي ﷺ « **يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء، أكنت مفتديا به، قال: فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أُخذ عليك في ظهر آدم ألا تُشرك بي شيئًا، فأبيت إلاَّ أن تشرك بي** » [(١)].

(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٣٨) ، ومسلم في المنافقين (٥١) .

وقول ابن عباس رضي الله عنهما : "إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا" (١).

ومن هنا نشأت قضية - فرضت نفسها على الساحة، تلوكها ألسنة أبناء الصحوة دائما - هل هناك عذر بالجهل، أم أنه لا عذر بالجهل؟.

فالذين لا يعذرون يستدلون بهذه الآية - وبغيرها - ويحكمون على الناس الذين يفعلون أفعالاً شركية كالمتصوفة والعوام ونحوهم بالشرك أو الكفر، بناء على ظاهر النصوص(٢).

والذين يعذرون بالجهل يذكرون أدلة أخرى، مع الرد على شبهاتهم، وذكر أقوال العلماء في ذلك(٣).

وللحقيقة: فإن قضية العذر وعدمه، أخذت أكبر من حجمها، وأعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة هو العذر بالجهل، وهو الذي أدين لله عز وجل به، ولأن عدم العذر بالجهل معناه الحكم بالكفر عل الناس قاطبة، وتكفير الناس أجمعين، وربما استُثنى هذا الذي لا يعذر أفرادًا يعدهم على أصابع يده أو يديه، وربما قال: لا أعلم أنه يوجد أحد مسلم غيري!!!.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٦) في التفسير، وقال حسن صحيح، وابن أبي عاصم في السنة (٩٠/١)، والحاكم (٣٢٥/٢)، والبداية (٨٧/١) .

(٢) صدر في ذلك كتب منها، الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد، والعذر بالجهل بدعة الخلف، وكلاهما حاد عن الأمانة العلمية في النقل.

(٣) قمت بالرد على أصحاب عدم العذر في رسالتي "شبهات التكفير" فلتراجع، وكذا "العذر بالجهل" لأحمد فريد.

أقول: وهذه الآية الكريمة، ليست - كما زعموا - حجة كافية في إقامة الحجة على العباد، بل أجمع أهل العلم على أنه لابد من بعث الرسل حجة على الناس، كما قال تعالى **﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾** [النساء : ١٦٥] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله مسح صلب آدم فاستخرج من كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وتكفل لهم بالأرزاق، ثم أعادهم إلى صلبه ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر - الذي هو جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب - فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول ، على الفطرة" (١).

وقال ابن كثير في تفسير الآية يُخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه. وقال تعالى: **﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ.. ﴾** [الروم : ٣٠]، وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « **كل مولود يولد على الفطرة**، وفى رواية: **على هذه الملة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء** »، "وفى صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال رسول الله ﷺ: يقول الله: « **إني خلقت عبادي**

---

(١) تفسير بن كثير جـ٢، ص ٢٦٢.

حنفاء، فجاءهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم».

وعن أُبيٍّ بن كعب: "قال الله: فإني أُشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأُشهد عليكم أباكم آدم، أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا، وإني سأرسل إليكم رسلاً لينذرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي ، قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة.."

ثم قال: قالوا: يعني الحسن البصري وعياض وأبا هريرة – رضي الله عنه – ومما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الاشهاد حجة عليهم في الإشراك، فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه، فإن قيل إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده، فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءهم به الرسل، هذا وغيره.

وهذا جُعل حجة مستقلة عليهم، فدل على أنه الفطرة التي فُطروا عليها من الإقرار بالوحيد[1] .

فالله سبحانه وتعالى لا يُعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، كما قال تعالى: **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾** [الإسراء : ١٥]، وهذا كثيرٌ في القرآن، يخبر أنه إنما يُعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة، هذا والإشهاد – الوارد في الآية – يحتمل أن يكون بلسان المقال، أو هو بلسان الحال، كما ذهب إليه أكثر من واحد.

ولعل هذا الذي ذكرناه يعد كافيا في الرد على الذين يحتجون بهذه الآية في عدم العذر بالجهل.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢، ص ٢٦٤ بتصريف .

"من صفات النبي محمد ﷺ"

(٢) قال تعالى: ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٨٨].

يتمثل الفهم الخاطئ لهذه الآية الكريمة فيما زعمه صاحب "هذا هو الحق المكتوم" أن الرسول ﷺ يعلم الغيب – على نحو ما اشرنا عند آية سورة الأنعام – وأن من أدلة علم النبي ﷺ للغيب هذه الآية الكريمة، والتي فيها ﴿ **وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ** ﴾ إذ قال: لقد استكثر من الخير ، وما مسه السوء ، فهو يعلم الغيب!! بهذه البساطة! .

بل زعم أن قوله تعالى – في خاتمة الآية ﴿ **إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ يدل على علمه الغيب، فيقول: النبي ﷺ ينذر العصاة والكفار بالنار، ويبشر المؤمنين والطائعين بالجنة، وهذا يستلزم أن يعرف الكافر من المؤمن، والعاصي من الطائع ، على مستوى جميع الأمة في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة!! هكذا!

فما أعجب هذه التفسيرات العصرية، والتي ليست من كتاب ولا حساب، وإنما من تحت عتبة الباب، ويزعمون أنها علم لدني من الوهاب.!!

فالآية في غاية الوضوح، وهي حجة على القوم، وليست لهم لأن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب يقينا، وقوله ﴿**لاستكثرت من الخير**﴾ أي من المال والتجارة بالبيع والشراء، والحصول على الربح، والبعد عن الفقر ونحو ذلك، وهذا ليس

من شأن الرسول ﷺ، أو إن أريد بالخير الأعمال الصالحة، فيكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك وقوله **﴿وما مسني السوء﴾** أي لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيته، والرسول ﷺ مسه السوء في مكة ويوم الطائف، ولما هُزم مع أصحابه في غزوة أحد وقد قُتل عمه حمزة وبُقرت بطنه وعدد من أجلاء الصحابة وكذا "يوم حنين"، وما أصاب أصحابه في غزوة مؤتة مما ساءه جدا ﷺ، ومسه السوء باتهامه في أحب نسائه إليه "عائشة الصديقة بنت الصديق باتهامها بالإفك، وما كان ﷺ يعلم الغيب في شيء من ذلك، وإلاّ لتوقاه، وعرف بيانه ونتيجته، وغير ذلك في حياة الرسول ﷺ كثير، ومنه: ما كان يُسأل ﷺ عنه، فلا يعلم حكمه، حتى ينزل عليه الوحي.

ثم قوله **﴿إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾** أي نذير بالعذاب للكافرين، وبشير بالجنات للمؤمنين.

وهذه من أخص خصائصه ﷺ "بشيرًا ونذيرًا" ولكن هذا لا يستلزم أبدا معرفة أسماء هؤلاء للبشارة أو للنذارة، لتكون دليلاً على علم الغيب، وهو استدلال عجيب، لم نسمع به إلا في عصر الفتن هذا.

والخلاصة: أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه فقط على نحو ما أشرنا من قبل.

❖❖❖

"هل وقع آدم في الشرك؟!!"

(٣) قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١)** ﴾ [الأعراف : ١٨٩ ، ١٩١] .

وظلم هذه الآية يتمثل في الإسرائيليات التي أحاطت بها، واتهمت سيدنا "آدم" وزوجه "حواء" بوقوعهما في الشرك بالله تعالى، !! الله أكبر.

حكت الإسرائيليات: أنه لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال سميه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره.

كما ذكرت أيضا: أن آدم لما تغشاها – أي حواء – أتاها إبليس – لعنه الله – فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لأجعلن له قرني إبل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن، ولأفعلن – يخوفهما – فسمياه "عبد الحارث" فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت – يعنى الثانية – فأتاهما، فقال: أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت، لتفعلن أو لأفعلن – يخوفهما – فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت الثالثة، فأتاهما أيضا، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿ **جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا** ﴾

أقول : وهذه الآثار – ونحوها – يظهر عليها – والله أعلم – أنها من آثار هل الكتاب، ومن العجب أن تُرفع إلى رسول الله ﷺ، وإذا نسبت إلى الصحابة،

فإنها تنسب إلى الكبار منهم، ابن عباس، وابن مسعود ..الخ.

وتكون من كلام كعب الأحبار أو وهب بن منبه وغيرهما الذين زجوا بهذه الإسرائيليات في كتاب الله تعالى.

هذا، وكيف يليق بآدم – عليه السلام – وهو نبي ، اجتباه الله وهداه – أن يشرك بالله تعالى؟!! .

وكيف يصح لآدم وحواء أن يسمعا كلام إبليس ونصحه بعد ما فعل معهما ما فعل، وكان سببًا في إخراجهما من الجنة وقد ذكرهما بذلك، ثم يسمعا كلامه ونصحه؟!!

ورحم الله الحسن البصري قال – في تفسير الآية –، ﴿ **جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا** ﴾ : كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم، كما قال: عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده، وكان يقول: هم اليهود والنصارى، ورزقهم الله أولادا فهوِدوا ونُصِروا، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أن فسر الآية بذلك.

قال ابن كثير – تعليقًا على ذلك: وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ،ولو صح في ذلك حديث عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، ثم قال: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري – رحمه الله – في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله ﴿**فتعالى الله عما يشركون**﴾، ثم قال: فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين،

وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس[1]، ونحن على ما عليه الحسن البصري وابن كثير ومعهما في ذلك.

ونسأل الله أن يحشرنا مع الصالحين. ا.هـ

❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير جـ٢، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥.

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة الأنفال

تصحيح المفاهيم الخاطئة فى " سورة الأنفال"

"متى يُجْنَحُ للسلم؟"

(١) قال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال : ٦١] .

وظلم هذه الآية تمثل في رفعها شعارًا لصلحنا مع اليهود، ومعاهدة اليهود، وقد قاسوا ذلك على "صلح الحديبية"!!

وأقول: ولو كانوا هم الذين جنحوا للسلام وطلبوه لصح الاستدلال بالآية، ولو كان سلامًا عادلاً فيه رد المظالم لأهلها، ودفع الحقوق لأصحابها، فلا بأس.

أما وأن نجنح نحن للسلام، عن ضعف واستسلام، في صلح جائر، انقلبت فيه المعايير، وانعكست الحقائق، وخسرت الموازين، وصار المظلوم ظالما، والظالم مظلومًا، وصار أبناء الوطن معتدين، والذين يدافعون عن أراضيهم وحقوقهم ومقدساهم وأعراضهم متطرفين، ثم يستشهد بهذه الآية من كتاب الله على هذا الوضع المتردي ، فهذا ما لا نرضاه أبدًا، ولا نرضى لكتاب الله أن يتلطخ بهذا الظلم.

يسالمون أولا يسالمون ولكن يستشهد على هذا الجور بكتاب الله، فلا .

ومن هذا الذي يزعم أن اليهود أهل وفاء للعهود، أو أصحاب سلام؟

إنه لو تركت الحيات لدغها، والحمر نهيقها، والكلاب نباحها، ما ترك اليهود نقضهم للعهود، وإن اليهود إذا سالموا، فإنما هو سلام مصلحة وتأمين

جبهة، وهدنة إلى حين.

وقياس ذلك على صلح الحديبية مردود، فإن صلح الحديبية كان نصرًا للإسلام بكل المقاييس، فأين هذا من ذاك؟ والمشركون هم الذين طلبوا الصلح ووضع الحرب بينهم، وما يعقلها إلاَّ العالمون.

ولو قيس ذلك على معاهدة الرسول ﷺ لليهود في المدينة، لكان له وجه، ولكن كيف كان حال اليهود في تلك العهود؟ لقد نقضوا العهود وخالفوا المواثيق، وأرادوا التخلص من النبي ﷺ والمسلمين، فأدبهم النبي ﷺ وكانت غزوة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وأجلاهم النبي ﷺ عن المدينة المنورة، وما تركوا خداعهم ونقضهم حتى أجلاهم سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عن جزيرة العرب.

إنه لا سلام مع اليهود حتى يجنحوا إليه، وإن جنحوا إليه فلا سلام حتى تستبين الحقائق وتُرد الأمور إلى نصابها الطبيعي ، فأفهموا ذلك يا أولى الألباب.

❁❁❁

"اجتهاد الرسول ﷺ ليس خطأ"

(٢) قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)** ﴾ [الأنفال : ٦٧، ٦٨].

والفهم الخاطئ في هذا، ما عرَّضوا بالنبي ﷺ فيه، وقالوا: خالف حكم الله، ورغب في عرض الدنيا.

وقد توعده الله مع أصحابه بالعذاب العظيم، وهذا يدل على عدم عصمته من الخطأ والمعصية.!!

بهذا زعم قوم من المستشرقين، ورددها بعض المتكلمين، وهي فرصة وشبهة لكل المغرضين، وإنما يقول بهذا القول قومٌ في قلوبهم مرض، يكنون البغض - في نفوسهم - لرسول الله ﷺ.

والآية ليست على نحو ما ذهبوا إليه ، أو توصلوا إليه.

فإن الرسول ﷺ كان شأنه كله من الوحي ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)** ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] .

ولكن كانت تصدر عنه بعض التصرفات التي لم يوح إليه شيء بخصوصها، بل كان أمرها متروكا إلى اجتهاده الخاص، فكان في بعض الأحيان يؤديه اجتهاده إلى ما هو حسن، متجاوزًا ما هو أحسن منه، فاعتبر وقوفه عند الرأي الحسن وعدم إصابته ما هو أحسن منه ذنبًا بالنسبة إليه وبالإضافة إلى مكانته من العلم والعقل والفقه.

فمن هذا القبيل كان اجتهاده في أسرى بدر، وقبول الفداء، قبل أن يُوحى إليه في ذلك، ثم نزلت الآيات بمثابة عُتْب خفيف من الله تعالى، لكنه لحساسية الرسول ﷺ المفرطة بكى، وبكى معه "أبو بكر" بكاءًا شديدًا، وقال: « **لو نزل عذابٌ من السماء ما نجا غير عمر** » وهذا من شدة خوفه ﷺ من ربه، وفى هذه الحادثة لم يكن من الرسول ﷺ إلا الاجتهاد في قضية لم يوح إليه فيها بشيء، ولم يخطئ في حكمه فيها، لأن الرسول ﷺ لا يقر على الخطأ، وإنما عدل عما هو أحسن إلى ما هو حسن.

ولذلك فقوله تعالى: ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾ أي بعدم مؤاخذة المجتهد على اجتهاده، أو أنه في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم، أو سبق حكمه بالمغفرة لكم من شهد بدرًا، لمسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم، أي أخذتم من الأسارى والغنائم، أو قبول العذاء وعدم الاثخان فى الرد ، ولما أقر الله تعالى فعلهم أكد ذلك بقول: ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الأنفال : ٦٩] .

✿✿✿

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة التوبة

تصحيح المفاهيم الخاطئة في "سورة التوبة"

"هل هناك عذر بالجهل"؟

(١) قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٦]، قالوا : أي لا يعلمون أنهم مشركون.

وظلم هذه الآية، في تلك الزيادة التي قالوها، بالإضافة إلى معناها - في نظرهم - أن الشخص قد يكون مشركًا من أصحاب النار الخالدين فيها، الذين أمرنا الله بقتالهم وأحل لنا دماءهم وأموالهم، وهو مع ذلك لا يعلم أنه كافر أو مشرك، وأن ذلك دليل على أن المسلم الذي نطق بالشهادتين، يرتد كافرا إن وقع في أي نوع من أنواع الشرك حتى وإن جهل ذلك، وإن لم يكن عامدًا، وكان جاهلاً متأولاً، والآية حجة في ذلك.،

يعني هي حجة عندهم في عدم العذر بالجهل، وهذا هو الفهم الخاطئ للآية وتعجب لفهمهم لهذه الآية - بادئ ذي بدء - فهم يفسرونها بتلك الزيادة المزعومة "لا يعلمون أنهم مشركون" لأنه إدخال على الآية ما ليس فيها ، أما أنهم لا يعلمون فحق، وصدق الله العظيم، فهم لا يعلمون عظمة الله وجلاله، وما يجب أن ينزه عنه من المثيل والشريك، فهم قوم لا يعلمون.

والذي يطلب من هؤلاء المقاتلين الأمان ليعرف حقيقة دعوة الإسلام وما جاء به الرسول ﷺ، جاهل ظاهره أنه غير معاند ولا متكبر، حرى بأنه يعلم ويعرف، وتقام عليه الحجة، ويوضح له الأمر حتى يعلم بعد أن لم يكن يعلم،

فالآية حجة عليهم - وليست لهم - ففيها الدليل على إقامة الحجة والعذر بالجهل.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول الله تعالى لنبيه ﷺ. **﴿وإن أحد من المشركين﴾** الذين أمرتك بقتالهم، فأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم "**استجارك**" أي استأمنك فأجبه إلى طلبه **﴿حتى يسمع كلام الله﴾** أي القرآن، تقرؤه عليه، وتذكر له شيئا من أمر الدين، تقيم به عليه حجة الله، **﴿ثم أبلغه مأمنه﴾** أي هو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، **﴿ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾** أي إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله في عباده" ا.هـ [1].

وإن الأحكام إنما هي لله تعالى وحده، فما سماه الله تعالى كفرًا وشركًا فهو كما قال الله تعالى، والذي لا شك فيه، أخذًا بالنصوص الثابتة، أنه ليس في الناس إلا مسلم أو كافر مشرك، وليس في أحكام هذه الدنيا دون هاتين الصفتين صفة ثالثة، والمسلم هو المؤمن وقد يكون عاصيًا فاسقًا، وهو ما لم تظهر منه ردةٌ باقٍ في أحكام هذه الدنيا من المسلمين المؤمنين. وأن من لم ينطق بالشهادتين ليس مسلمًا، وهو في أحكام هذه الدنيا في عداد الكافرين المشركين. وأما المسلم الذي جهل معنى الشهادتين ومضموهما لا يقدح في إسلامه، ووجوب حرمة دمه وماله، وعلى القادرين تعليمه، فما أبلغ به من الحق وقامت عليه به الحجة وجب عليه اعتقاده، فإن عاند فهو مرتد كافر.

(١) تفسير ابن كثير جـ٢، ص ٣٣٧ .

والمشكلة تكمن في شباب من هذه الأمة جهلاء ، ومع ذلك لا يعذرون بالجهل، ونحن إذا لم نعذر بالجهل مثلهم، كانوا هم أول ضحية لذلك المعتقد، أي يحكم عليهم بالكفر، لجهلهم بكثير من قضايا الدين، بل إن الواحد منهم يسأل: نُعذر بالجهل أم لا؟ وهو لا يفرق بين العذر والتعزير.

فهذا عن العنوان، أما عن المضمون فلا شيء، إلا كلمات حفظها، أو نتف من العلم مشوشًا ومشبوهًا! .

وقضية العذر بالجهل، وعدم العذر به، أخذت أكبر من حجمها واستغرقت وقتا كبيرا في حياة أبناء الصحوة الإسلامية! .

واختلاف العلماء فيها بين العذر وعدمه، ضيع أوقات شباب الأمة فكأنها هي كل القضية !!.

وليته إذا لم يعذر وقف عند هذا الحد ولكنه راح يوزع الكفر على الناس جزافا، بلا ضوابط!!.

ثم هل قضية العذر بالجهل من عدمه تهم كل إنسان؟ أم أنها تهم المفتي والقاضي والحاكم، لما ينبني على ذلك من أحكام، تختلف بمعرفة هذه القضية، العذر من عدمه؟ .

ثم يقال: هذا الذي لا يعذر بالجهل ويحكم على إنسان بالكفر، هل يستطيع أن يقيم عليه حد الردة؟

إننا نحن المسلمين نحتاج إلى من يدعو، ويعلم، لا من يقضى ويحكم، فنحن دعاة لا قضاة، لسنا مطالبين بأن نحكم على الناس، فالقضية قضية مبادئ، لا

أشخاص، والحكم على العموم، لا على التعيين، فنقول: تارك الصلاة كافر.

ولا نقول: فلانا بعينه من تاركي الصلاة كافر، حتى يستتاب، وتقام عليه الحجة، ولا بد - قبل- من الدعوة والنصيحة.

ونقول: من سجد لغير الله كفر، ولا نقول على فلان بعينه سجد لنبي أو ولي، أو حاكم أو ظالم، بأنه كفر، حتى تقام عليه الحجة باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع، واستيفاء الشروط بنصب الأدلة ورد الشبهات، وانتفاء الموانع برفع الأعذار عنه من الجهل والتأويل والخطأ والنسيان والإكراه والجنون، وبعد إقامة الحجة عليه - بكامل شروطها - ، ثم عاد لأمرٍ من أمور الكفر، عن علم - لا عن جهل - وعن قصد - لا عن تأويل - وعن عمد - لا عن خطأ - وعن تذكر - لا عن نسيان - وعن حرية - لا عن إكراه - وعن عقل - لا عن جنون -، فهذا يمكن الحكم عليه بالردة، ثم تطبق عليه أحكامه- في حياته وبعد مماته، لا أنه مرتد، ويترك، فماذا أفاد الحكم؟!!

ولابد من أن نضع في الحسبان: ادرءوا الحدود بالشبهات، وكذلك: الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة.

وللعلم أن أدلة العذر بالجهل كثيرة، لا يمكن استيفاؤها في هذا المجال، فلتراجع في مظانها[1].



(١) راجع بتوسع : شبهات التكفير للمؤلف .

"ما هي حقيقة الجزية" ؟

(٢) قال تعالى: **﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾** [التوبة : ٢٩].

الفهم الخاطئ للآية: أن بعض المستشرقين أثاروا شبهات حول الجزية، وفهموها على غير وجهها ، واتهموا عدل الإسلام وسماحته، وقالوا: هل من التسامح الإسلامي إذلال أهل الكتاب، وأخذ الجزية منهم ظلمًا وعدوانًا، مع ذلتهم وصغارهم؟ أليس هذا التضييق على الذميين منبعثا عن تعصب أو عن بغضاء.

إنها في – نظرهم – ضريبة ذل وهوان، وعقوبة فرضت عليهم مقابل الامتناع عن الإسلام !!.

وزيادة في الإيضاح والبيان، ودفعًا للشبهة، وردًا لهذه الفرية، وتبيانًا للحقيقة، أقول: ما الجزية؟ ولماذا فرضت؟ ومتى فرضت؟ وما معنى الصغار في الآية؟

أ- الجزية من جزى يجزى، إذا كافأ عما أسدى إليه، وهي مال يدفعه أهل الكتاب، ومن يلحق بهم ، إلى المسلمين، مقابل حق أو خدمة أو واجب يقوم به الطرف الآخر.

ب- لماذا فرضت؟ ذلك أن أهل الكتاب هم جزء من الدولة الإسلامية، يعيشون في كنفها، ويستمتعون بخيراتها، والدولة الإسلامية يجب عليها أن تكفل

لهم الحماية والأمن وسبل المعيشة الكريمة.

فضلاً عن أن المسلم يقوم بواجب الجهاد، دفاعًا عن البلاد، فالجزية جزاء حمايتهم وكفايتهم، فهم يُكْفون مؤنة القتال مع المسلم، فالدولة الإسلامية لها حدود وفيها ثغرات، وتحتاج إلى مقاتلين يدافعون عنها ويحافظون على حدودها، ويؤمِنون أهلها، والذي يقوم بهذا الدور إنما هم المسلمون، لأنهم يؤمنون بمبدأ دولتهم، ويعلمون أن الجهاد فُرض عليهم، ويعلمون ما للجهاد من فضل يزيد عن أجر صائم النهار وقائم الليل، فهم يجاهدون عن عقيدة، وليس ثمة شيء من ذلك لدى أهل الكتاب، لذا لا يجبرهم الإسلام على أن يقاتلوا مع المسلمين ، وكيف يجبر الإسلام أناسًا يحملون أرواحهم على أكفهم في سبيل دين لا يؤمنون به، وبمبادئ لا يعتنقونها ومن ثم خفف عنهم عبء القتال بأنفسهم، فبقي المقابل أن يقدموا شيئًا من أموالهم في سبيل حماية الدولة التي يعيشون في كنفها وظلالها.

هذا.. ويوم أن تتاح الفرصة لأهل الكتاب أن يقاتلوا مع المسلمين، فإذا الجزية تسقط عنهم، لأنها شُرعت في مقابل الدفاع عنهم، فيوم أن يقوموا بواجب الدفاع عن أنفسهم مع الدولة الإسلامية الكبرى التي يعيشون في ظلالها، فإن الجزية تسقط عنهم.

كما أنه من أسباب فرض الجزية على أهل الكتاب تحقيق العدل بين أفراد الدولة الإسلامية، مسلمين وغير مسلمين، إذ تقدم لهم الدولة الامتيازات المطلوبة للحماية والخدمة وسبل الحياة الكريمة فهي تفرض على المسلمين أن يقدموا الزكاة، وعلى الذين أعطوا من أرضها أن يقدموا الخراج، وأما الذين لم تفرض

عليهم الزكاة، ولم يجب في حقهم الخراج، أن يعطوا الجزية.

إذًا كما أنه مفروض على المسلم أن يُزكي ، فمفروض على أهل الكتاب أن يعطوا الجزية.

فلما كانت الزكاة عبادة وقربى إلى الله - عز وجل - لا تصح إلاَّ من مسلم، كان البديل عن الزكاة في حق أهل الكتاب هو إعطاء الجزية.

جـ- متى فرضت؟ يعترف أحد كبار النصارى، المدعو "جورجي زيدان" بأن الجزية ليست من محدثات الإسلام، بل هي قديمة من أول عهد التمدن القديم، وقد وضعها يونان أثينا على سكان سواحل آسيا الصغرى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، مقابل حمايتهم من هجمات الفينيقيين، وفينيقية يومئذ من أعمال الفرس، فهان على سكان تلك السواحل دفع المال في مقابل حماية الرؤوس.

والرومان وضعوا الجزية على الأمم التي أخضعوها، وكانت أكثر بكثير مما وضعه المسلمون بعدئذ، فإن الرومان لما فتحوا (فرنسا) وضعوا على كل واحد من أهلها جزية يختلف مقدارها ما بين ٩ جنيهات، و ١٥ جنيهًا في السنة، أو نحو سبعة أضعاف جزية المسلمين.

وكانت تؤخذ من الأشراف، عنهم وعن عبيدهم وخدمهم.

وكان الفرس أيضا يجبون الجزية من رعاياهم[1] .

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ، جورجي زيدان، جـ١١ (بتصرف) .

فماذا عن الجزية في الإسلام؟

لقد كان النبي ﷺ يقدرها بحسب الأحوال، وعلى مقتضى التراضي الذي كان يقع بين المسلمين وأعدائهم .. في الوقت الذي لا يؤخذ فيه شيء من النساء والصبيان، ولا من أهل العاهات، فلا تؤخذ من مجنون، ولا مريض مرضا غالبا، ولا من كبيرٍ في السن، ولا من عبد، ولا من الرهبان ونحوهم.

وكثيرًا ما كانت تقدر الجزية باعتبار ما يبقى في أيدي الناس من دخلهم بعد نفقاهم ..

وجاء في حديث النبي ﷺ ما يقدر قيمتها «**أن على كل حالم (بالغ) دينارًا**»[1]، أو عدل ذلك.

وقيمة الجزية يمكن أن تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأشخاص والأحوال، والأمر في ذلك واسع ، ولكن شرطها يجب ألا يكلف أحد فوق طاقته، وقد يكون الدينار فوق طاقة البعض، بل إن الفقير منهم إذا احتاج يعطى من سهم المؤلفة قلوبهم ، كي يعيش معيشة تتوافر فيها كفايته، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع اليهودي المسن الأعمى - إذ رآه يتكفف الناس، فسأله: مالك، قال: ليس لي مال، وإن الجزية تؤخذ مني - وفي رواية قال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي ، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ "عمر" بيده، وذهب به إلى منزله فأعطاه مما

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة (١٥٧٦)، والترمذي في الزكاة (٦٢٣) والنسائي في الزكاة (٢٤٤٩)، وابن ماجة في الزكاة (١٨٠٣) .

وجده، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال، وقال له، أنظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، أو نأخذ منه الجزية عند كبره، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ [التوبة : ٦٠] والفقراء هم الفقراء المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ثم وضع الجزية عنه وعن ضربائه.

وفي رحلته إلى دمشق أيضا أمر عمر بن الخطاب ﷺ بعياله المقعدين من أهل الذمة من بيت المال.

وبيت مال المسلمين لم يكن أعز عند "عمر بن عبد العزيز" من ذمي يسلم، وقد شكا إليه بعض الولاة إفقار بيوت الأموال من إقبال أهل الذمة على الإسلام ليسقط عنهم الجزية، فكتب إليهم "عمر" يلومهم على الشكوى ويقول: "إن الله أرسل محمدًا ﷺ هاديًا، ولم يبعثه جابيا"! .

ولم يكن إقبال أهل الذمة على الإسلام إلاَّ لأنه ردَّ إليهم ذواتهم التي كانوا فقدوها في الشرك والوثنية ولو كان الإسلام سلبًا للذوات لظلوا على عداوته وما قبلوا دعوته، ولكن المسافة لم تكن بين الذمية والإسلام في كثير من الأحيان إلا مسافة التجربة والاختلاط، ثم يقبل الذمي على الإسلام مخلصًا موفقًا.

يذكر التاريخ – من مواقف المسلمين المشرفة – أنه حين فتح "أبو عبيدة بن الجراح" الشام، وأخذ الجزية من أهلها الذين كانوا يومئذ ما يزالون على دينهم، أشترطوا عليه أن يحميهم من الروم الذين كانوا يسومونهم الخسف والإضطهاد، وقبل "أبو عبيدة " الشرط، ولكن "هرقل" أعد جيشا عظيما لاسترداد الشام من المسلمين، وبلغت الأنباء "أبو عبيدة" فرد الجزية إلى الناس، وقال لهم: لقد سمعتم

بتجهيز "هرقل" لنا وقد اشترطتم علينا أن نحميكم وإنا لا نقدر على ذلك، ونحن لكم على الشرط إن نصرنا الله عليهم [١].

إنه حادث فريد في التاريخ، قائد جيش فاتح منتصر يأخذ الجزية من أهل البلاد المفتوحة، ثم يردها إليهم بأي حال من الأحوال، ولم يكن "أبو عبيدة" يصنع ذلك رجاء "مصلحة" بعيدة يقدرها، ويُضحي في سبيلها بالمصلحة القريبة، كلا فما كان عنده يقين بأن ينتصر على جيش "هرقل" الجرار، وتعبيره واضح "إنا لا نقدر على ذلك"، وإنما ينطلق من مبدأ الوفاء بالمواثيق، وأخلاق الإسلام، ولذلك نصرهم الله، وراح الناس يعيدون الجزية راضية قلوبهم، ثم - من بعد صاروا يدخلون في دين الله أفواجا، إعجابا بهذا الدين الذي يُخرِّجُ من هو على هذا الخلق العظيم.

د- ما معنى الصغار الوارد في الآية ﴿ **حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾

معناه هنا التسليم وإلقاء السلاح والخضوع لحكم الدولة الإسلامية واعترافهم بالوضع الإسلامي والرضوخ له، من باب الآية الكريمة ﴿ **وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [المنافقون : ٨]، أي أن يعترفوا بعزة الإسلام ودولة المسلمين.

وينبغي أن لا يفهم الصغار هنا بمعنى الهوان والذلة والإهانة لهم، أو الزراية عليهم، أو الشماتة فيهم، أو ظلمهم وإيذائهم، أو التكليف فوق طاقتهم، أو

---

(١) فتوح البلدان للإمام أبي الحسن البلاذرى، والدعوة إلى الإسلام/ توماس أرنولد.

عقوبة لهم، فإن كل ذلك لا يتفق وسماحة الإسلام وعظمته وما عرف من حسن معاملة الرسول ﷺ وصحابته لأهل الذمة.

ولو أن المسلمين الأُول فعلوا ما قاله أولئك الذين لم يفهموا روح الإسلام، لانفض الناس من حولهم، ولما دخل في الإسلام هذا الجمع الغفير الذي لم يدخله إلا عن اقتناع منه برحابة صدره، وسماحة تعاليمه، وعدالته مع أتباعه وغير أتباعه، ونظرته إلى الكل نظرة بر وعدل وإحسان.

ومن يقرأ بتدبر وإمعان ما كتبه "ابن القيم" في كتابه "أحكام أهل الذمة" عن الجزية يرى عظمة الإسلام وسماحته في معاملة الذميين.

وقد أورد النهى عن التشديد على أهل الذِمة في الجزية والخراج والحث على الرفق واللطف بهم في كل حال، وأن لا يكلفوا ما لا يطيقون، وكان "عمر" رضي الله عنه أمر أن لا يكلفوا فوق طاقتهم، وأن لا يلزموا من مال ما لا يطيقون، ولا يجوز أن ينادى على أملاكهم للبيع عوضًا عن الجزية.

وقد كتب "على بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى بعض عماله: " لا تبيعن لهم في خراجهم حمارًا ولا بقرة، ولا كسوة، شتاء ولا صيفا، ولا رزقا يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحدًا منهم سوطًا واحدًا في درهم، ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبح لأحد منهم عرضا في شيء من الخراج، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، فإن أنت خالفت ما أمرتك به، يأخذك الله به دوني، وإن بلغنى عنك خلاف ذلك عزلتك"

ومر "عمر" رضي الله عنه في سفره إلى الشام ببعض عماله وهو يُعذِب

الذميين في أداء الجزية، فقال: لا تعذب الناس، فإن الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة" [١] وغير ذلك كثير.

فهل ينبغي بعد هذا كله - وهذا بعضه - أن يقال: إن الإسلام بأسلوب فرض الجزية على أهل الكتاب يكرههم على التحول عن دينهم إلى الإسلام، أو أراد إذلالهم، أو ظلمهم؟!!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

❁❁❁

(١) كتاب "الخراج" أبي يوسف (بتصرف) .

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة يونس

تصحيح المفاهيم الخاطئة فى "سورة يونس"

"ما هي حقيقة الولاية"

(١) قول الله تعالى: ﴿ **أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)** ﴾ [يونس : ٦٢ ، ٦٤].

والفهم الخاطئ في الآية لمعنى الولاية الذي ظلم عند المتصوفة، وزعموا فيه مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان، لدرجة أن بعض المتصوفة زعم أن الولاية أفضل من النبوة، وهناك من أعطاهم خصائص الله تعالى، وخاصة في مسألة النفع والضر، ويعتقدون أن الأولياء هم أصحاب الأضرحة والمقامات، وعندهم وبهم تقضى الحاجات، كما يعتقدون أن الوالي هو الذي بَيَّن وظهرت له كرامات ، وإن الأولياء معدودون في كل بلد ، ومعرفون، وهم محصورون، ولأن الولاية مقام رفيع لا يناله إلا فئة قليلة جدًا من الناس، لهم عند الله يد ولهم دولة. وزعمت الصوفية لأوليائها مزاعم، عبروا عنها بقولهم: "والنبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي"!! يعنى الولي أعلى من النبي، الذي هو أعلى درجة من الرسول ، قضية معكوسة ، عكس ما نعلمه تماما، هو أن الولي أرقى منه النبي، وأرقى منهما الرسول.

وقالوا: أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت!! وكذا: "خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله"!! ويقول الولي الصوفي: حدثني قلبي عن ربى!!

حتى صار مقام الولاية عند كثير من الناس، له من الرغبة والرهبة ما ليس لله تعالى.

ولذلك وقع كثير من المسلمين في الشرك بالله، باسم الأولياء، أو حب الأولياء !! والحق يقال: إن الولاية، ليست - كما زعموا - بالتبيين، ولا بالأضرحة، ولا أن الأولياء معدودون في كل بلد واحد أو أكثر، ولا أن الولي أفضل من النبي، ولا أن الولي ينفع ويضر !! لا يصح من ذلك شيء، وليس فى الإسلام ما يدل على تلك الخرافات التي تؤدى إلى الشرك.

والأمر في غاية الوضوح، كما بين القرآن الكريم.

فلقد دلَّ القرآن الكريم على أن كل الناس أولياء، إما أولياء لله، وإما أولياء للشيطان، فالمؤمن ولى للرحمن، عدو للشيطان، والكافر ولى للشيطان، عدو للرحمن.

قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٥٧].

فالولاية تبدأ مع الإيمان بالله تعالى، لمن خرج من الكفر ودخل في الإسلام، أو لمن أعلن الرضى بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

والولاية - في اللغة - معناها: القرب والدنو، والمحبة والمعونة، والنصرة والهداية، وهو قاسمٌ مشترك، فالعبد يوالي الله تعالى، فيواليه الله عز وجل. أي يطلب العبد الهداية، فيهديه الله ويزيده هدى، ويقترب من الله فيزداد الله منه

قربًا، ويحب الله، فيحبه الله، ويطلب العون من الله فيعينه الله تعالى.

ولذلك بين القرآن ولاية العبد لله تعالى: فقال: **﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾** [الأعراف:١٩٦].

وكذا ولاية الله تعالى للعبد فقال: **﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** [البقرة: ٢٥٧].
﴿ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى : ٢٨]

والفارق بين الولايتين أن ولاية العبد لله تعالى عن ذل وافتقار، وأما ولاية الله تعالى للعبد فعن عزٍ واستغناء ، قال تعالى: **﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾** [الإسراء: ١١]هذه الولاية التي تبدأ مع الإيمان بالله، أو تعم كل مسلم تسمى بالولاية العامة، فإذا ارتقى المسلم إلى درجة الإيمان، وكذا التقوى والإحسان، فقد ارتقى إلى الولاية الخاصة، التي ذكرها الآية الكريمة التي نحن بصددها، **﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾** [يونس : ٦٢]

فقد بينت أن الولاية هي الإيمان والتقوى، وأن الولي بحق هو المؤمن المتقى.

وبهذا يستبين لك بوضوح أن الولاية ليست غامضة ولا شاقة، وإنما يستطيع المسلم أن يكون وليا بإيمانه وتقواه لله تعالى [1].

❁❁❁

(١) راجع بتوسع كتابنا " شبهات التصوف " .

"درجات الولاية"

هذا، ولكن الولاية على درجات تبدأ مع الإسلام، ثم ترقى مع الإيمان، ثم تعلو مع التقوى وتصل إلى الذروة مع الإحسان.

فالأولياء منهم المسلم فقط الذي يقصر في بعض الطاعات، ويرتكب بعض المعاصي والسيئات، وهذا هو الظالم لنفسه، في أدنى درجات الولاية يدخل فيها، ولا تطلق عليه.

ومنهم المقتصد الذي يؤدى الفرائض - وإن قصر في النوافل، ويترك المحرمات، وإن وقع في المكروهات، وهو مسلم أيضًا لا يوصف بإيمان مطلق، وكذا لا يطلق عليه اسم ولي.

ومنهم المؤمن الذي يؤدي الفرائض ومعها النوافل، ويترك المحرمات، وكذا المكروهات ، فهذا مؤمن ولي، يطلق عليه اسم ولي، كما يطلق عليه اسم مؤمن.

ومنهم التقى المحسن، الذي يؤدى الفرائض ومعها النوافل، ويلتزم بالورع، ويترك المحرمات وكذلك المكروهات، ويبتعد عن المتشابهات، ويحول العادات إلى عبادات، ويجعل المباحات طاعات، وهذا الصنف هم السابقون بالخيرات وهذا هو الذي قاله الله تعالى ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)** ﴾ [فاطر : ٣٢ ، ٣٥].

فالآية الكريمة بينت أن الله تعالى أورث كتابه من اصطفى من عباده، والله تعالى يصطفى رسلا، كما قال ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ [الحج : ٧٥] .

وكذلك يجتبى أولياء كما قال ﴿ **اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾ [الشورى : ١٣].

ولذلك طريق النبوة لا يكون إلا اصطفاء، فلا يكون اكتسابا.

وأما الولاية فلها طريقان: الاجتباء ويكون منحة، والإنابة وتكون اكتسابا. هؤلاء المصطفون من العباد درجات: أعلاهم درجة الأنبياء والرسل ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام : ٩٢] ، والأنبياء والرسل هم أولياء من باب أولى، فكل نبي ولي وليس كل ولي نبيًا، كما أن كل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً.

وهذه الدرجة للأنبياء والرسل قد وصلوا فيها القمة في الهداية، كما أن لهم العصمة التي ليست لغيرهم من الأولياء ، فالولي ليس معصوما بخلاف النبي.

١- وهذه الدرجة تعرف بالدرجة العليا.

ودونها الدرجة "العالية" لمن أدى الفرائض والسنن، وابتعد عن الحرام والمكروه، وهذه الدرجة للصديقين والشهداء والصالحين، فهاتان الدرجتان "العليا والعالية" هما اللتان أشارت إليهما الآية ﴿ **وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ﴾ وبينتهما الآية الكريمة ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ**

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً (٧٠) ﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

وفى سورة الواقعة بينت الجزاء: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لاَ يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَ لاَ يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً (٢٦) ﴾ [الواقعة: ١٠، ٢٦]. فاللهم اجعلنا منهم بفضلك.

ثم الدرجة الوسطى، وهم المقتصدون، أصحاب اليمين، كما وصفتهم سورة الواقعة، وبينت جزاءهم فقالت: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً (٣٦) عُرُباً أَتْرَاباً (٣٧)لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ (٤٠) ﴾ [الواقعة: ٢٧، ٤٠].

٢- ثم الدرجة الدنيا: درجة الظالمين لأنفسهم الذين يقصرون في الطاعات، ويرتكبون السيئات، وهذا الصنف، ولي أيضا، ولكنه في أقل درجات الولاية، ولا يُحكم عليه بأنه من أصحاب الشمال، بل هو من أهل الجنة، بمشيئة الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وإما بالشفاعة لقوله ﷺ: لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوتـــه، وإني قد اختبأت دعوتي لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا" [١] .

وإما أن يعذب في النار بذنوبه، ثم يخرج منها بما بقي معه من إيمان، لقولـــه ﷺ: « **يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان** »[٢].

ولذلك قالت الآية - بعد ذكر هذه الأصناف - ذلك الفضل الكبير. جنات عدن يدخلونها، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فاللهم عاملنا بفضلك وجودك وكرمك، آمين.

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري في التوحيد (٧٤٧٤)، ومسلم في الإيمان (١٩٨).

(٢) سبق تخريجه.

"شرط الولاية"

هذا وبعد أن عرفنا معنى الولاية وأقسامها، ودرجاتها، نذكر شرطها فالولاية لها شرط وهو الموافقة أي المتابعة لما جاء عن رسول الله ﷺ.

ولذلك قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) ﴾ [آل عمران : ٣١].

وقال - ﷺ - "من أحب لله ، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"(١).

وفى الحديث القدسي "من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت في شيءٍ أنا فاعله ترددى في قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ، ولابد له منه"(٢).

ومعناه أن العبد لما وافق الله تعالى في محابه ومساخطه، وفى كل شيء وفقه الله تعالى فيما يبصر وفى كل شيء ، فهذا عن الموافقة، التي يكون معها التوفيق. ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة (٤٦١٨)، والطبراني في الكبير (٧٦١٣). والبغوي في شرح السنة (٣٩/١)، وأحمد (٤٣٨/٣)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) .

إذًا الولاية أساسها: الإيمان والتقوى

وشروطها: الموافقة

وأقسامها: عامة وخاصة.

ودرجاتها: عليا، وعالية، ووسطى، ودنيا. كما سبق تفصيل ذلك.

وبناء على ذلك فالإنسان منا الآن في درجة من درجات الولاية، والسعيد من جاهد نفسه، فارتقى من درجة الظالم لنفسه إلى درجة المقتصد، أو من درجة المقتصد فارتقى إلى درجة السابق بالخيرات.

لا أن الولاية انتهت بأصحاب الأضرحة، كما زعم الصوفية، أو ختمت بالتيجانى أو الشعرانى !!، أو أن الأولياء هم الصوفية فقط أو مشايخ الطرق أو أصحاب الأضرحة، وبقية الناس أعداء لله تعالى، لأنه من لم يكن وليًا لله، فهو عدو له، فانظر ماذا تكون؟

هذا ومن كرامة الله تعالى للولي - بخلاف ما ذُكر في الحديث القدسي السابق - أنه لا خوف على ما يأتون إليه ، ولا حزن على ما يتركون ﴿ **أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)** ﴾ [فصلت : ٣٠ ، ٣٢].

وكذلك ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧].

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ [الطلاق : ١ ، ٢].

ومن إكرام الله للولي هدايته إلى الإيمان، وتوفيقه إلى الطاعة بفعل المأمورات وترك المنهيات، فهذه الاستقامة على الإيمان والطاعة من أعظم الكرامات الموصلة إلى دخول جنات عرضها الأرض والسموات، ولما استقاموا على أمر ربهم واستجابوا له استجاب لهم فيما يسألونه ويطلبونه، فلو سألوه زوال جبل لزال، ولو أقسموا عليه تعالى لأبرهم، وهم الذين يظهر الله تعالى على أيديهم ببركة دعائهم خوارق العادات كتكثير القليل، وشفاء العليل، وكإكساب المعدوم ، والانقاذ من الهلاك المحتوم ، أو خوض البحار وعدم الاحتراق بالنار، ونحو ذلك[1]

فاللهم إنا نسألك من عميم فضلك، وواسع جودك وكرمك.

❁❁❁

(١) راجع : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية .

"هل شك الرسول فيما أنزل إليه؟"

(٢) قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِن قَبْلِكَ .. ﴾ .

زعم قوم من النصارى أو المنصرين أن هذه الآية تدل على أن الإسلام ليس حقا، أو أن النبي - ﷺ - شك فيما أنزل إليه، أو سألوا: هل كان نبيكم يشك فيما أنزل إليه؟ .

والجواب على ذلك سهل وميسور: ذلك أن السائل لم يفرق بين (إن) الشرطية، وبين (إذا) الشرطية، ذلك لأن (إن) لا تفيد تحقيق الوقوع، وإنما تفيد احتمال الوقوع، وافتراض الوقوع.

يعني : على افتراض أنك شككت - ولن تشك - فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من العلماء، الذين قرأوا صفاتك، وعلموا الحق الذي أنت عليه، وصدقوا بذلك، أمثال "عبد الله بن سلام" ونحوه،

ولذلك قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٠] .

وأما (إذا) فإنها تفيد تحقيق الوقوع، و (إن) تفيد الاحتمال أو الافتراض، من باب قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ ﴾[الزخرف : ٨١].

ولن يكون للرحمن من ولد، وإنما هو من باب الافتراض، والآية هنا صدرت "بإن" التي هي للافتراض وليست "إذا" التي هي لتحقيق الوقوع، والفارق بينهما واضح.

هذا، ثم يقال للسائل: لماذا لم تكمل الآية؟ كمن قرأ **﴿فويل للمصـــلين﴾** ثم سكت، فحكم على المصلين بالويل، أو قرأ **﴿لا تقربوا الصلاة﴾** فمنع فريضـــة الله!، وفى آخر الآية قوله تعالى: **﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَـــلاَ تَكُـــونَنَّ مِـــنَ المُمْتَرِينَ ﴾** [يونس : ٩٤].

وقد ورد أن النبي ﷺ قال – لما نزلت الآية -:« **والله لا أشك ولا أسأل** »[١]

❁❁❁

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٢١١) ، والطبري في التفسير (١٠٨٩/١١، وأورده السيوطي في الـــدر المنثور (٥٧١/٣) .

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة هود

تصحيح المفاهيم الخاطئة فى "سورة هود"

"هل تفنى الجنة والنار؟"

(١) قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)** ﴾ [هود ١٠٥ : ١٠٨] .

الفهم الخاطئ للآيات يتمثل في قول أناس : بفناء الجنة والنار، وعدم خلودهما، أو خلود أهلهما.!!

وذلك لأن الآيات قالت: "مادامت السموات والأرض" ولن يدوما لقول الله تعالى: ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات**﴾ [إبراهيم : ٤٨].

ولأن الله تعالى قال ﴿ **إلا ما شاء ربك** ﴾ في الآيتين، فهذا استثناء، لا يصح معه الخلود!!

ونُسارع بالرد فنقول: إن الجنة والنار خالدتان وباقيتان ببقاء الله تعالى.

وكل ما ورد في القرآن والسنة يدل على ذلك. كما يدل على خلود أهلهما فيهما أبدًا، فأهل الجنة خالدين فيها أبدا، كما دل على ذلك القرآن، وأهل النار – باستثناء عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار بما بقى معهم من إيمان، كما دلت على ذلك السنة الصحيحة – هم كذلك خالدين فيها أبدًا، وأما ما جاء في الآيتين هنا بتعليق الخلود على دوام السموات والأرض، والمشيئة كذلك،

فهذا يحتاج إلى فهم صحيح، فإن قوله تعالى : ﴿مادامت السموات والأرض﴾ فمعناه ليست هذه السموات ، ولا تلك الأرض، وإلا فإنهما سيفنيان قبل يوم القيامة، يوم تنفطر السموات، وتزلزل الأرض، وكذلك كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

وأيضا ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧].

فليس المعنى إذا هو هذه السموات والأرض التي نعهدها في الدنيا، بل هناك سموات غير السموات وأرض غير الأرض، كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨]، وهذه السموات والأرض تبقى وتدوم ، ثم قول ربنا عز وجل ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ هو تعبير قرآني، يناسب لغة العرب، الذين كانوا يعبرون عن ديمومة الشيء بدوام السموات فخاطبهم القرآن بلغتهم، وكذلك هو بمعنى ما دامت السموات سماوات، والأرض أرضا كما قيل: لكل جنة سماء وأرض، فهي دائمة بدوام سمائها وأرضها .

وأما قوله تعالى ﴿إلا ما شاء ربك﴾ فكل شيء يقع في الكون إنما هو بمحض مشيئته وإرادته ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[الأنبياء : ٢٣]، ولا يجبر على شيء سبحانه وتعالى:

ولذلك فقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ

(١٠٧) ﴾ [هود : ١٠٦ ، ١٠٧] فهو على وجهه، لأن مشيئة الله تعالى اقتضت ألا يُخلد في النار من مات على التوحيد، فهم المستثنون من الخلود في النار، وهذا واضح ، وأما قوله تعالى ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ [هود : ١٠٨] **أي** خلود أهل الجنة في الجنة بمشيئته تعالى، لا بإجبار ولا إرغام، ولا بقهر أو إلزام، وإنما هي مشيئة الملك العلام. اقتضت خلودهم في الجنة بلا انقطاع أو انتهاء، ولذلك قال **﴿عطاءً غيرَ مجذوذٍ﴾** غير مقطوع ولا منتهى، فدلت تلك الصيغة على تأكيد الخلود في الجنة، والله أعلم.

۞۞۞

" ما الحكمة في سنة الله في الاختلاف بين الناس"؟

(٢) قال تعالى ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)** ﴾ [هود : ١١٨ : ١١٩] .

والفهم الخاطئ في الآية في قوله سبحانه ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾ فظن قومٌ أن الاختلاف بين الناس، وبين المسلمين أمر حتمي لابد منه، وسنة من سنن الله في خلقه، لا تجد لها تبديلاً أو تحويلاً، ولذلك فدعوة الناس إلى التوحيد والوحدة، والاعتصام والألفة، إنما هو ضرب من العبث، ومحصلته لا شيء.

ولذلك إذا نظر بعض المسلمين إلى الخلافات القائمة بينهم - والتي هي من جنس الخلاف المذموم - راح يفسر هذه الاختلافات بتلك الآية، فيرضى بالواقع، ولا يعمل على التغيير.

وهو في ذلك يضرب بالآيات والأحاديث التي دعت إلى الوحدة والاعتصام والألفة والجماعة والبعد عن الخلاف والفرقة، عرض الحائط.

أقول: ولو كان الأمر على نحو ما ذهبوا إليه، لما كان هناك وجه للآيات والأحاديث التي تدعو إلى الاعتصام و الوحدة، ونبذ الانقسام والفرقة، وما أكثر ذلك في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ومنه قول الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣]، وكذلك ﴿ **وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٤٦]، وأيضًا

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٩]، ونحو ذلك من آيات، وفى السنة يقول النبي محمد ﷺ: « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر** »[١]، وقوله ﷺ: « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك أصابعه** »[٢]، وكذلك قوله ﷺ: « **عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، ومن شذ شذ فى النار** »[٣]. وغير ذلك من الأحاديث

وأما هذه الآية الكريمة - التي نحن بصددها - فإنها ليست على نحو ما ذهبوا إليه، أو زعموه، وإنما هي بيان لسنة الله عز وجل في الاختلاف بين الناس في مللهم ونحلهم وأديانهم ومعتقداتهم، ومذاهبهم وآرائهم، وكذا الاختلاف في الهدى، وفى الرزق، وهو اختلاف في اللغات والألوان، فهذا كله من جنس الاختلاف القائم بين الخلائق، ولا سبيل إلى رفعه أو منعه، لأنه من سنن الله الثابتة، ولا يعنى به أبدأ أن يقع الخلاف بين المسلمين، أو التخاصم بين المؤمنين، على نحو ما احتج به رجلان، على "طاووس" اختصما إليه فأكثرا فقال

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، وأحمد (٢٧٠/٤) .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٢٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥) .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦٢٣) مختصرا، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢١/٥) وقال: "رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة"، والحاكم في المستدرك (١١٥/١) ، وابن أبي عاصم في السنة (٣٩/١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه الجامع الصغير (٨٠٦٥) بلفظ "يد الله على الجماعة".

طاووس: اختلفتما وأكثرتما، فقال أحد الرجلين: لذلك خلقنا، فقال طاووس: كذبت، فقال : أليس الله يقول ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾؟ قال: لم يخلقهم ليختلفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة.

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: للرحمة خلقهم، و لم يخلقهم للعذاب، وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة وجاء في تفسيرها: الناس مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك فهو غير مختلف، وقوله ﴿**ولذلك خلقهم**﴾ أي خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وعذابه، قاله الحسن البصري.

وجاء أيضا أنه ﴿**ولا يزالون مختلفين**﴾ يعنى اليهود والنصارى والمجوس ﴿**إلا من رحم ربك**﴾ يعنى الحنيفية، وقال قتادة: أهل رحمة الله أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم، وقول ربنا ﴿**ولذلك خلقهم**﴾ قيل المراد هو للرحمة وليس للاختلاف.

ومن قال : للاختلاف خلقهم، فإنه عنى بذلك أهل الإيمان والكفران، وفريق في الجنة، وفريق في السعير، ولذلك قال بعدها ﴿**وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ فأخبر سبحانه وتعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره - لعلمه التام وحكمته النافذة - أن من خلقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه لابد أن يُملأ من هذين الثقلين- الجن والإنس - وله الحجة البالغة والحكمة التامة.

وفى الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « **اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس**

وسقطهم، وقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، فقال الله – عز وجل – للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، وقال للنار: أنت عذابي أنتقم بك ممن أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما الجنة فلا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله لها خلقا يسكن فضل الجنة، وأما النار فلا تزال تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه ، فتقول: قط قط وعزتك"[1].

هذا وقضية الاختلاف والفرقة، وبيان ما يجوز فيه الاختلاف وما لا يجوز، وما هو من جنس المحمود، وما هو من جنس المذموم، وما يرتبط بالعقائد والأصول الذي يختلف عما هو في الشرائع والفروع.

ومعرفة الكليات والجزئيات، وما هو ثابت و متغير، وما هو جامد ومرن، فهذه القضية لها تفصيل في مجال آخر ، إن شاء الله تعالى.

وهل يمكن الاعتراض على المختلفين في المسائل الاجتهادية بهذه الآية، والقول بأن الآية تنطبق عليهم! ومن ثَم الإنكار عليهم، يجيب الإمام الشاطبي قائلا: لا يصح أن يدخل تحت مقتضاها أهل هذا الاختلاف من أوجه:

أحدها: أن الآية اقتضت أن أهل الاختلاف المذكورين مباينون لأهل الرحمة لقوله تعالى ﴿**إلا من رحم ربك**﴾، فإنها اقتضت قسمين: أهل الاختلاف، والمرحومين، فظاهر التقسيم أن أهل الرحمة ليسوا من أهل الاختلاف، وإلا كان قسم الشيء قسيما له، و لم يستقم معنى الاستثناء.

والثاني: أنه قال فيها ﴿**ولا يزالون مختلفين**﴾، فظاهر هذا أن وصف

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير جـ٢ صـ ٤٦٥ بتصرف .

الاختلاف لازم لهم حتى أطلق عليهم لفظ اسم الفاعل المشعر بالثبوت، وأهل الرحمة مبرؤون من ذلك، لأن وصف الرحمة ينافى الثبوت على المخالفة، بل إن خالف أحدهم في مسألة فإنما يخالف فيها تحريًا لقصد الشارع فيها، حتى إذا تبين له الخطأ فيها راجع نفسه وتلافى أمره، فلم يكن وصف الاختلاف لازما ولا ثابتا عليهم.

والثالث: أن نقطع بأن الخلاف في مسائل الاجتهاد واقع ممن حصل له محض الرحمة، وهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان رضي الله عنهم، بحيث لا يصح إدخالهم في قسم المختلفين بوجه، فلو كان المخالف منهم فى بعض المسائل معدودًا من أهل الاختلاف المذكورين - ولو بوجه ما - لم يصح إطلاق القول فى حقه: إنه من أهل الرحمة، وذلك باطل بإجماع أهل السنة.

والرابع: أن جماعة من السلف الصالح جعلوا اختلاف الأمة في الفروع ضربا من ضروب الرحمة، وإذا كان من جملة الرحمة، فلا يمكن أن يكون صاحبه خارجا من قسم أهل الرحمة.

ثم يقول: وبيان كون الاختلاف المذكور رحمة، ما روى عن القاسم بن محمد قال: "لقد نفع الله باختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في العمل، لا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة"[1].

❁❁❁

(١) الاعتصام للإمام الشاطبى جـ ٢ - صـ ٣٩٤ .

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة يوسف

تصحيح المفاهيم الخاطئة فى "سورة يوسف"

" ما حكم عصمة الأنبياء" ؟

(١) قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٤] .

والفهم الخاطئ لهذه الآية الكريمة يتضح لك من إلحاح الشباب على معرفة هذه الآية، وكثرة السؤال عنها، وذلك لأن الآية الكريمة فيها ذكر وأنثى، وفيها إيحاءات جنسية، شاب فى غاية الجمال والقوة، وامرأة ذات منصب وجمال، وقد تهيأت لعبدها الذى تأمره ، فما يملك إلاَّ السمع والطاعة، وقد هيأت المكان أيضا فغلقت الأبواب، وأرخت الستور، وأخلت المكان من الخدم والحشم، وقد غاب رجل البيت، وصارت كل الأمور مهيأة لارتكاب الفاحشة، ﴿**ولقد همت به وهم بها**﴾ فالشباب عندما يتخيل هذه الأمور يرى أنه سيشاهد مشهدًا من فيلم، أو جزءًا من مسلسل وهذا بعض إيحاءات البيئة، يساعد على ذلك كثرة الإسرائيليات في تفسير تلك الآية التي مُلئت بها كتب التفاسير، فهو يقرأ قوله تعالى : ﴿**ولقد همت به**﴾ تريد الفاحشة ، ﴿**وهم بها**﴾ كما يهم الرجل بزوجته يريد جماعها، وهنا يريد الزنا، ويقال: إنه كان منها كما يكون الرجل من زوجته، وقد حل سرواله، وخلع ثيابه، ﴿**لولا أن رأى برهان ربه**﴾ أي رأى الملك "جبريل" يقول له: يا يوسف مكتوب في سجل أو ديوان الأنبياء، وتفعل فعل السفهاء!!

أو رأى صورة أبيه "يعقوب" عاضًا على إصبعه، يحذره صنيعه هذا، أو أنه

ضربه حتى أفرغ شهوته!!

أو رأى مكتوبًا على الجدار ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء : ٣٢]، وكذا ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)** ﴾ [الانفطار : ١٠ ، ١٢]، وكذلك قوله: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ...** ﴾ [يونس : ٦١]، أو ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [الرعد : ٣٣]، أو أحس بمجئ سيده وهو "العزيز" فأسرع نحو الباب!!

فما أعجب هذه الإسرائيليات، أو تلك التناقضات.

وأكبر الخطأ وأبلغه أنك تتخيل "يوسف عليه السلام" كأنه ممثل أو فنان!! أو أنه إنسان عادى، أو تتخيل نفسك مكان "يوسف عليه السلام" في مثل هذا الجو، أو تلك الظروف!! وتنسى أنك أمام نبي معصوم، ورسولٍ كريم من سلسلة أنبياء تجمعت فيهم كل خصال الكرم، كما سُئل ﷺ عن أكرم الناس فقال: «**الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، نبي الله يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**» عليهم الصلاة وأزكى التسليم.

كيف ننفي العصمة عن الأنبياء، وقد اتفقت كلمة علماء الأمة على أن الأنبياء معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها، ومن الصغائر أيضا بعد النبوة، وهذه كبيرة من الكبائر، فضلا عما فيها من إخلال بالشرف والمروءة، وكيف يليق بمسلم أن يفكر مثل هذا التفكير في حق نبي من الأنبياء؟ إن هذا ليدل على نقص في الدين، ثم إنه ما ذكر في هذا الشأن إنما هو من الإسرائيليات التي لا يجوز للمسلم أن يصدقها إذا صادمت النصوص ، وخالفت قواعد الدين.

وهذه الإسرائيليات من هذا النوع، وكيف لا؟ وقد أدت إلى اتهام نبي كريم!! إن أمر الزنا مستبعد تمامًا من القصة، كما أنه مستحيل على الأنبياء.

ولِما نذهب بعيدًا، والقصة كلها تدل على عكس ما ذكرته الإسرائيليات، فقول ربنا عز وجل ﴿ **ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان** ﴾ لا يخرج في تفسيره ومعناه عن الآتي:

١- ﴿**ولقد همت به**﴾ تريد الفاحشة ﴿**وهم بها**﴾ يفر منها، لما أحس بمجيء العزيز لعله يجد معه منقذا.

٢-لما راودته امرأة العزيز وهيأت له، وطلبته للفاحشة، فتأبى وامتنع، وقال ﴿**معاذ الله**﴾، اغتاظت منه، وهى سيدته، صاحبة السلطان، وسيدة القصر الأولى، وهو لا يعدو إلا أن يكون "عبدًا" لا يملك إلا السمع والطاعة، ولذلك **همت به** تضربه، فَهَمَ بها يضربها، ثم رأى عدم ضربها أولى، احترامًا منه لسيده الذي أحسن مثواه وأكرم معيشته.

٣-قوله تعالى: ﴿**وهم بها**﴾ الهم أحد مراحل الفعل، فكل فعل له خطوات، يبدأ بالهم أو الخاطر أو حديث النفس ثم الإرادة، ثم العزيمة، ثم الفعل.

فإذا كان وقع **هَمٌّ** من يوسف عليه السلام، فهو لا يعدو إلا أن يكون خاطرًا، أو حديث نفسي في ظل جو مهيأ مع الإلحاح والطلب ونحو ذلك، ولكنه سرعان ما كاد يذكر الله عز وجل، ويقول: **معاذ الله**، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف : ٢٠١].

ومثل هذا ينطبق عليه حديث النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة جل وعلا:

«**يقول الله تعالى: إذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها له حسنة فإن فعلها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإن هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإنما تركها من أجلي ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها** »[1]، وليس الهم كالعزم، وليس العزم كالفعل.

فعلى افتراض أنه وقع "هم" من يوسف، فهو حسنة في حقه، لأنه ترك تلك المعصية من أجل الله، ولكن يوسف لم يقع منه هَمٌّ كما يفسر هذا المعنى اللغوى الآتي:

١- قوله تعالى: ﴿**وهم بها لولا أن رأى برهان ربه**﴾ لولا - في اللغة - حرف امتناع لوجود، فبوجود برهان ربه، امتنع منه الهم، أو أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا: أي ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، كقولك: قد كنت هلكت لولا أن تداركته.

وهو كقوله تعالى: ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [القصص : ١٠]، أي فلما ربطنا على قلبها لم تبد به.

وكقولك: وددت زيارتك لولا حضورك، فبحضورك امتنعت زيارتي لك، وهكذا.

وما هو برهان ربه الذي رآه، فمنعه من الوقوع في الفاحشة؟

ليس كما زعمت الإسرائيليات برؤية جبريل أو يعقوب، أو آيات قرأها، أو

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٩١)، ومسلم في الإيمان (١٢٨).

غير ذلك !! وإنما هي الفطرة المغروسة فيه، والعصمة التي جعلها الله للأنبياء، وبرهان الطاعة والأخلاق صرفه عما كان فيه، كذلك صرف السوء والفحشاء عنه في جميع أموره **﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾** أي المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار ، صلوات الله وسلامه عليه.

وإذا كان هذا في تفسير تلك الآية، فإن بقية القصة كلها تدل على براءة يوسف عليه السلام، وهذه السورة الكريمة وقد ذكرت ثمانية براءات ليوسف عليه السلام:

أولاً: يوسف عليه السلام - الطرف الأول في القضية قال: **﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** [يوسف : ٢٣]، كما قال: **﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾** [يوسف : ٢٦] .

ثانياً: امرأة العزيز - صاحبة القضية - شهدت على نفسها أمام جمع من النساء **﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾** [يوسف : ٣٢] .

وكذا شهدت أمام الملك فقالت: **﴿ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾** [يوسف : ٥١ ، ٥٣] .

ثالثاً: شهادة الشاهد من أهل امرأة العزيز: **﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ**

فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾ [يوسف : ٢٦ ، ٢٨] .

رابعاً: شهادة العزيز نفسه، إذا قال: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٨] .

خامساً: شهادة الملأ من نسوة المدينة ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُباً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [يوسف : ٣٠]

وكذلك شهدنّ أمام الملك في ساحة القضاء ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ** ﴾ [يوسف : ٥١].

سادساً: شهادة الملك – لما رأى تلك البراءات كلها – ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف : ٥٤] .

سابعاً: شهادة إبليس ببراءة يوسف عليه السلام، إذا أقسم بعزة الله عز وجل فقال: ﴿ **فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)** ﴾ [ص : ٨٢ ، ٨٣]، ويوسف عليه السلام من المخلصين، بشهادة رب العالمين، ولذلك نأتي إلى حسن الختام.

ثامناً: شهادة رب الأنام والملك العلام، ببراءة يوسف عليه السلام، إذا قال الله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف :٢٤]. وفارق بين قوله ﴿**لنصرف عنه السوء**﴾ فهو لا يقترب منه البتة، وبين: لنصرفه عن السوء والفحشاء.

وكذلك قال الله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)** ﴾ [يوسف : ٣٣ ، ٥٣]

ولما قُدِّرَ ليوسف عليه السلام أن يدخل السجن ظلما قال له صاحباه في السجن **﴿إنا نراك من المحسنين﴾** [يوسف : ٣٦] .

فماذا بعد هذه البراءات كلها، والشهادات بأسرها، من يستطيع أن يتهم يوسف عليه السلام؟

وعليه أن يختار، إذا كان من حزب الله، فإن حزب الله قد برأه، وإن كان من حزب الشيطان، فإن الشيطان قد شهد له بالبراءة، فماذا بعد ذلك؟!!!
فلا مفر من الإقرار بالحق على أي حال وهو براءة يوسف عليه السلام.

❁❁❁

"من الذي نسى؟"

(٢) قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : ٤٢] .

زعم قومٌ أن الضمير في قوله تعالى : **﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾** عائد على يوسف عليه السلام، وأنه قد نسى في ظل المحنة التوكل على الله والاعتماد عليه، فلجأ إلى بشر يطلب منه حل مشكلته، فجازاه الله بتلك الكلمة وأدبه بطول لبثه في السجن، حيث ابتغى الفرج من عند غير الله!!، وهذا غير صحيح، فيوسف عليه السلام لم ينس ذكر ربه، وليس للشيطان عليه من سبيل - كما هو معلوم- وإن هذه المحنة لم تهز يقين يوسف عليه السلام و لم تؤثر على إيمانه.

ويوسف عليه السلام بقوله لصاحب السجن " الساقي" الذي اعتقد نجاته **﴿اذكرني عند ربك﴾** أي أذكر قصتي عند الملك، فإنما هو بذلك يأخذ بالأسباب المشروعة، والتي لا تؤثر على التوكل على الله تعالى، بل هي من جنس التوكل، وبترك الأسباب يكون ذلك من التواكل ويكون صاحبه متكلا، لا متوكلا، والضمير في قوله تعالى **﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾** يعود على ذلك الموصى الذي نسى أن يُذَكِرَ مولاه الملك بذلك، وكان ذلك من جملة مكايد الشيطان، لئلا يطلع نبي الله من السجن، فهذا هو الصحيح الذي لم يصح غيره، لا مرفوعًا ولا موقوفًا ولا مقطوعًا.

❁❁❁

" من الذي قال (وما أبرئ نفسي)" ؟

(٣) قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [يوسف : ٥٣] .

زعم قوم أن هذا من كلام "يوسف عليه السلام" وصاغوا الحكاية كالآتي: الملك يسأل النسوة وامرأة العزيز حتى شهدت الحق ، وقالت: ﴿**الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين**﴾، فبادر يوسف بقوله: ﴿ **ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب**﴾ أي لم أخن العزيز في زوجته، وإنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي، وليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيب، قالوا: فنزل جبريل عليه السلام في ذلك الوقت يقول ليوسف عليه السلام: ولا يوم هممت بما هممت به؟ أو قال: أوما تذكر إذا حللت السروال؟ فقالك يوسف ﴿**وما أبرئ نفسي...** ﴾ الآية.

وكأن الحكاية بهذه الصيغة تصلح أن تكون جزءًا من مسلسل، أو حلقة من ألف ليلة وليلة!! .

وقديمًا قيل: إن كنت كذوبا فكن ذكورا، فكيف يصح ذلك المشهد الملفق، مع وجود يوسف في السجن، إذ حضرت النسوة، وشهدنّ شهادة الحق في غيبة "يوسف عليه السلام" وكيف يقول يوسف ذلك أثناء التحقيق، وهو الذي أبى أن يخرج من السجن حتى تظهر براءته كاملة؟!

والقول الصحيح والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام ، أن هذا من قول امرأة العزيز فيكون كالآتي:

﴿قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق﴾ تبين وظهر وبرز، بعد كل هذا الشهادات والبراءات، ﴿ أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين﴾ يـــوم أن قال: هي راودتني عن نفسي ، ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيـــب﴾ ، أي أنـــا كنت كذبت عليه في حضرته يوم أن قلت لزوجي: ما جزاء من أراد بأهلـــك سوءا.

ولكن اليوم لا أكذب عليه، وإن كان في غيبته، كما أنني إذ اعترفت بهـــذا على نفسي ليعلم زوجي أيضًا أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمـــر، ولا وقـــع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة، ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ ، وإذا وقع ما وقع فلضـــعف مـــني، ﴿وما أبرئ نفسي﴾، فإن النفس تحدث وتتمنى، ولهذا راودتـــه، حيـــث ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ إلا ما رحم ربي، ومن عصمة الله تعالى، ﴿إن ربى غفور رحيم﴾ فهذا هو الصحيح، وفى النهاية لا يصح إلا الصحيح[1].

❁❁❁

(١) أنظر : تفسير ابن كثير جـ٢ صـ ٤٨١، بتصرف

"ما اسم أخي يوسف؟"

(٤) قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [يوسف :٦٣].

والفهم الخاطئ في هذه الآية هو من المضحكات؟ إذ زعم قوم أن قوله تعالى ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾ أن نكتل" اسم لأخيهم.

والمعروف أن أخاهم اسمه "بنيامين" وليس "نكتل"!!

وإنما نكتل من الكيل، وقرأ بعضهم بالياء "يكتل" أى هو يصبح لـــه كيـــل معنا، وإنا له لحافظون.



"من الذي كاد ليوسف"؟

(٥) قوله تعالى: ﴿ **فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف : ٧٦] .

قال قوم : كيف يحق ليوسف أن يتهم أخاه بالسرقة، بتلك الحيلة الماكرة؟ وهل يليق ذلك الصنيع بالأنبياء؟ إن جاز لغيرهم فلا يجوز لهم!! وكيف يدخله في دين الملك؟!

والحق أن هذا الذي تم إنما هو من تدبير الله عز وجل ليوسف عليه السلام، فهذه الحيلة التي تمت، والتي استطاع عن طريقها يوسف أن يأخذ أخاه، فهذا من كيد الله ليوسف، وهو من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة.

وقوله: ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك، أي لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر، فتطلق كلمة الدين ويراد بها الملك والحكم ، كهذه الآية وكقوله تعالى ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**﴾ [النور : ٢] أي في حكم الله. وإنما قيض الله له إن التزم له إخوته بما التزموه وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم، ولهذا مدحه الله تعالى فقال: ﴿**نرفع درجات من نشاء**﴾ كما قال تعالى ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ [المجادلة : ١١]، ثم قال: ﴿**وفوق كل ذي علم عليم**﴾ أي ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل.

❁❁❁

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة الرعد

تصحيح المفاهيم الخاطئة فى "سورة الرعد"

"هل كل كتاب ينسخ ما قبله؟"

(١)قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ(٣٨) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) ﴾ [الرعد : ٣٨ ، ٣٩] .

والشاهد هو قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

والفهم الخاطئ يتمثل في سؤال الناس : كيف يمحو الله ما يشاء ويثبت؟ وكيف يمحو الله ما سطَّره وقدّره؟ وهل ما كُتب يتغير؟ وهل القضاء يختلف؟ وكيف ذلك وقد رُفعت الأقلام وطويت الصحف ؟.

وكذلك يتمثل فى إعتقاد بعض الناس أن القضاء المبرم يتخلف ، فيدعو قائلا: اللهم إن كنت كتبتنى عندك شقيًا أو محرومًا أو مطرودًا أو مقترًا علي في الرزق ، فامح بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي واقتار رزقي ، واجعلني عندك سعيدًا.... إلخ

.بما يُعرف بدعاء ليلة النصف من شعبان "المبتدع"

والحق يقال : إن الآية الكريمة ليست مرتبطة بالقضاء والقدر- كما يفهم البعض – وإنما تفسير الآية الكريمة كالآتي : ؛؛ لكل أجل كتاب ؛؛ إما أنه بمعنى لكل أمة فترة مضروبة ومحددة ، كتاب سُطر فيه أحوال تلك المدة المحددة ، والفترة المعينة "لكل أجل كتاب"

وإما بمعنى " لكل كتاب أجل " فيه تقديم وتأخير ، أي لكل كتاب نزل من السماء أجل محدد ، في فترة معينة ، لأمةٍ مخصوصة ، إلى أن يمحو الله هذا الكتاب بانتهاء مهمته ، ويأتي الكتاب الذي بعده ، ويظل نسخ الكتب إلى أن يثبت منها ما شاء الله له أن يثبت وهو كلمته الأخيرة لخلقه ، ألا وهو القرآن الكريم فمعناه : لكل كتاب أجل .

وكلا التفسيرين لا يتناقص مع الآخر ، لكل أجل : كل فترة من الزمان لها كتاب ، أو هذا الكتاب له أجل محدد ، ثم يُمحى أو يُنسخ إلى أن يأتي كتاب هو الكتاب الخاتم المصدق لما سبق ، والمهيمن على الكتاب ، فيثبت بإذن الله **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾** .

ولذلك قال بعض المفسرين فى معناها هو كقوله تعالى : **﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** [البقرة : ١٠٦] .

وجاء في تفسيرها أيضًا : أن الله تعالى له الإرادة والقدرة في أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، وهو سبحانه وتعالى قد يمحو كل شيء إلا الموت والحياة والشقاوة والسعادة ، لأنها أمور مبرمة ، وثابتة لا تتغير ، وقضاء مبرم فصل الله عز وجل فيه القول قبل أن يخلق الخلق .

وهناك أشياء أخرى ليست من جنس القضاء المبرم ، وإنما هو قضاء معلق مرتبط بأسبابه ، ومرهن بشروطه ، فهذا يمكن أن يُمحى ويدخل في دائرة **﴿ يمحو الله ما يشاء﴾** .

كما جاء في الحديث « **إن رجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد**

القدر إلاَّ الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر » [١] .

والزيادة هنا بمعنى البركة ،كما في الحديث «**إن صـلـه الـرحم تزيـد في العمر**»[٢].

وفى الحديث أيضا « **إن الـدعاء والقضـاء ليعتلجـان بـين السـماء والأرض** »[٣].

وفى معنى الآية كذلك : لكل إنسان كتابات : كتاب تسطر فيه أعمال العبد لتوها ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾ .

فيكتب فيه كل شيء ، ومن الأشياء التي تكتب أنه فعل سيئة ، فإذا بملـك الحسنات يأمر ملك السيئات أن ينتظر لعله أن يستغفر، فإذا استغفر محيـت و لم تكتب حتى وإن كتب فاستغفر غُفر له فمُحيت أيضا ، فهو معنى : ﴿ **يمحو الله ما يشاء**﴾ .

وفى نفس المعنى أن الكتاب الذي تسجل فيه الأعمال فيه قـول الرجـل : هات، وخذ ، وأكلت وشربت ، وفعلت كذا ، وتركت كذا ، مـن جـنس الكلام المباح الذي لا ثواب فيه ولا عقاب .

فإذا رفعت الأعمال إلى الله عز وجل في كل يوم خميس من كل أسـبوع ، مُحيَّ كل كلام لا ثواب عليه ، ولا عقاب فيه .

---

(١) أخرجة أحمد (٥/٢٧٧) وابن حبان في الموارد (١٠٩٠) وابن المبارك في الزهد (٢٩) وابن ماجـه في الفـتن (٤٠٢٢) وقال في الزوائد : إسناده صحيح .

(٢) أخرجه ابن عساكر في التاريخ (٥/٢١٠) .

(٣) أوردة ابن الكثير في التفسير (٤/٣٩٠) والحاكم (١/٤٩٢) وهو حديث حسن لغيرة .

قيل : وهذا من معنى ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ أي الكتاب الذي عند الله عز وجل ، ولذلك إذا صعدت الملائكة بأعمال العبد فراجعت ما فعل على ما في أم الكتاب الذي سطر بعلم الله وجدت الأمر كما هو مسطر ، ما زاد ولا نقص ، وهذا من كمال الله عز وجل ، وتمام علمه وعظمته سبحانه وتعالى .

وقد جاء في تفسير الآية أيضًا : أن الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل زمنا ، ثم يضل ، فيأتيه الموت وهو على حاله هذا ، فتضيع أعماله الصالحة ، ويمحوها الله عز وجل ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

فهذا الذي يمحوه الله ، وأما الذي يثبته ، فهو الرجل يعمل بمعصية الله عز وجل زمنا ، ومعها بعض الطاعات ، فهو خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا ، إلاَّ أن أعماله السيئة أكثر من أعماله الصالحة ، ثم تاب ، فتاب الله عز وجل عليه، واستقام على أمر ربه ومات وهو في طاعة ربه ، فهذا هو الذي يثبت الله عز وجل له ما عمل صالحًا أيام أن كان يخلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا ، ويثبت له الأعمال الصالحة بعد أن تاب واستقام ، ويمحو ما عمل سيئًا بعد توبته ، هذا إذا لم يبدل سيئاته حسنات .

فهذه المعاني التي وردت في الآية الكريمة ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ ، وليست الآية كالمعنى المتبادر إلى الذهن : أن الله يمحو أعمال أناس وأرزاقهم وآجالهم ، ويثبتها لآخرين ، بلا ضابط ولا رابط ، فهذا – والعياذ بالله – سوء أدب مع الله يورث الكفر .

❁❁❁

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة إبراهيم

تصحيح المفاهيم الخاطئة فى سورة إبراهيم

ما معنى الهداية والأضلال ؟

(١) قال تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [إبراهيم : ٤] .

والشاهد ﴿ **فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾

فكثير من الناس يفهم معنى الهداية والضلال خطأ ، خاصة إذا ارتبطا بالمشيئة، ولذلك كثيرا ما يسأل الناس عن معنى هذه الآية الكريمة وما جاء على شاكلتها في القرآن الكريم لأنه يفهم الآية على ظاهرها فيظن أن الله عز وجل أضل أناسًا وكتب عليهم الضلال فهم كذلك ما شاء الله وأن أناسا آخرين كتب لهم الهداية فهم كذلك ما شاء الله .

ولذلك فالمهتدي مهتدٍ بهداية الله له ،والضال ضال بإضلال الله له !!

وإذا نصحته يقول لك لمَّا يشاء الله أو إذا أراد الله !!

فهو بهذا جبري المذهب ينفي الأسباب ، ويزعم أن الإنسان مسيرًا وليس مخيرًا ، وما هو إلا كالريشة في مهب الريح تسيرها كيف شاءت ، ويقول : المكتوب على الجبين لابد أن تراه العين وربنا كتب علينا ، ونحو هذا .

ونسارع بالرد فتقول : أول ما يجب أن توقن به أن الله عز وجل عدل وأنه حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما ، وإذا كان الأمر كذلك فمُحال أن يهدى قومًا بمشيئته دون أخذٍ منهم بأسباب الهداية ويدخلهم الجنة ويُضل

قومًا آخرين بمشيئته دون مضل منهم ، ويدخلهم النار ..

إذًا قضية الهداية والضلال مرتبطة بأسبابها ولن تخرج في ذات الوقت - عن مشيئة الله تعالى ﴿ **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)** ﴾ [التكوير : ٢٨ ، ٢٩].

إن الله عز وجل يهدي من أخذ بأسباب الهداية ، كما يضل من أخذ بأسباب الضلال ، ولذلك نقول هذه الآيات مطلقة ولها آيات أخرى مقيدة لها في القرآن الكريم .

فقوله تعالى: ﴿ **فيُضلُ الله من يشاء**﴾ يفسرها قوله تعالى ﴿ **وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)** ﴾ [البقرة : ٢٦ ، ٢٧] وكذلك ﴿ **ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾ [إبراهيم : ٢٧] وأيضا ﴿ **كذلك يضل الله الكافرين** ﴾ [غافر : ٧٤].

و في مثل قوله تعالى: ﴿ **إن الله لايهدي القوم الفاسقين** ﴾ [المنافقين : ٦]، ﴿**إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ [الأحقاف : ١٠] .

و أما قوله تعالى : ﴿ **و يهدي من يشاء** ﴾ ، فيفسرها قوله تعالى : ﴿ **و يهدى إليه من أناب** ﴾ [الرعد : ٢٧] .

ثم يقال : الله عز و جل خلق الإنسان و أودع فيه بعض خصائص الجماد و النبات و الحيوان ، ففيه جمادية ، إذ له حيز يشغله ، و يتحكم فيه قانون الجاذبية الأرضية ، وفيه نباتية ، لأنه ينمو ويتطور ، و فيه حيوانية ، لأنه يحس و يتحرك،

و ما هو كذلك فالإنسان فيه مسير .

ثم هو مُكَرم على سائر المخلوقات بأن الله منحه عقلاً ،و أرسل إليه رسلاً، و أنزل له كتبًا ، و حمله أمانة التكاليف ، و هداه السبيل ، و أمره أن يختار،فهو في هذا الجانب مُخير ، و حسب اختياره يكون جزاؤه ، فإن اختار طريق الهداية يُسرت له ﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾ [الليل : ٧] ، و إن اختار طريق الضلال يُسر له ﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾ [الليل : ١٠] .

و هذا معنى قول النبي صلى الله عليه و سلم « **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** » ، ثم قرأ صلى الله عليه و سلم: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)** ﴾. (١)

و حسب كسب الإنسان و اختياره يكون جزاؤه .

قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (٣١)** ﴾ [الكهف : ٢٩ ، ٣١] .

إن قضاء الله و قدره لا يجبر الناس على شيء ،و لا يحملهم على فعل شيء حملاً أو جبرًا ، إن الإنسان إذا أُكره على شيء رفع عنه الإثم و الحرج ﴿ **إلاَّ من**

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد (٧٥٥١) ، ومسلم في القدر (٢٦٤٩) ، والآيات من سورة الليل :٥-١٠.

أُكره و قلبه مُطمئن بالإيمان ﴾ [النحل : ١٠٦] .

و إذا كان ذلك كذلك فكيف يكره الله الناس على المعصية و يعاقبهم عليها، أو على الكفر و يعذبهم به ، إن الله عز و جل لو أكره الناس على شيء،لأكرههم على الإيمان الذي ارتضاه ،لا على الكفر الذي لا يرتضيه، و صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر : ٧] .

و هو الذي عاتب رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي ألحَّ على الناس في الإيمان ، فقال له : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩].

و لو أجبرهم فإنما هي كلمة واحدة " كن " فيكون الأمر كما أراد الله تعالى، و لكن الله عز و جل له إرادة شرعية - هي محل الاختيار ، تختلف عن إرادته الكونية التي لا معقب لها ، فقضاء الله تعالى : إنما هو علم انكشاف، لا علم إجبار ، و هذا ما يجب أن يعلمه كل إنسان.

هذا و قضية القضاء و القدر أكبر من أن نستوعبها في هذه السطور [1] .

❁❁❁

(١) راجع بتوسع : مفهوم القضاء والقدر في كتابنا حقيقة الإيمان جـ٢ .

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة الحجر

تصحيح المفاهيم الخاطئة في سورة الحجر

"ما معنى اليقين؟"

(١) قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩].

هذه الآية الكريمة الواضحة المحكمة فُهمت خطأً واستغلها بعض الجُهَّال في إسقاط التكاليف الشرعية عن نفسه : فزعم قومٌ أن من وصل إلى حد المعرفة سقطت عنه التكاليف ، ويستدلون على ذلك بهذه الآية الكريمة ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ ﴾.

وإذا كان الأمر كذلك فهل هذا معناه أن النبي ﷺ لم يصل إلى اليقين الذي وصل إليه مشايخ الطرق، إذ كان يصلى ﷺ وهو في مرض موته حتى قبل سكرات الموت ؟ وكان ﷺ أعبد الناس ، وكذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم -، وهم أعلم الناس بالله وأعرفهم به وبحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة.

ونحن لا ننكر أن هناك يقينًا إيمانيًا، يبدأ بعلم اليقين، ويرتقى إلى عين اليقين، ويصل إلى حق اليقين، فالذي يصدق ما يسمع، ويجزم بصدقه، فهذا علم يقين، فإذا رآه فهذا عين يقين، فإذا عايشه أو دخل فيه، فهذا حق يقين، فالله عز وجل يحدثنا عن النار- مثلاً- فيقول: ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ (٧) ﴾ [التكاثر : ٥ ، ٧].

وفي صورة الواقعة قال:﴿ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥)** ﴾ [الواقعة : ٩٢ ، ٩٥]

ولكن ليس هذا هو المراد في الآية، وإنما الآية الكريمة تتكلم عن يقين آخر معناه الموت كما كانت العرب تقول: فلان جاءه اليقين، أي الموت، فخاطبهم القرآن الكريم بلغتهم، وما يدل على هذا ويفسره ما قاله الله تعالى عن المجرمين أهل سقر، في سورة المدثر﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)** ﴾ [المدثر : ٣٨ ، ٤٨] .

فاليقين هنا بمعنى الموت يقينًا، ولا يمكن أن يكون بمعنى الإيمان اليقيني مطلقًا، ولو كان اليقين هنا بالمعنى الصوفي لانقلبت الحقائق رأسًا على عقب، لأن أناسًا هذه صفاقم لا يمكن أن يصلوا إلى اليقين الإيماني أبدًا وهذا هو الذي قاله الله تعالى:﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ بهذا فسرها جمهرة المفسرين ، وشذ من فسر اليقين هنا بالمعرفة، وانبنى عليه متى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفر وضُلاَّل وجهل، قاله الملاحدة، وأخذه عنهم ضلال الصوفية، فأسقطوا عن أنفسهم التكاليف الشرعية!! وإنما المراد باليقين ههنا الموت كما قدمناه، ولله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية، وعلى الاستعانة والتوكل وهو المسئول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها، فإنه جواد كريم(١).

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير ج٢، ص ٥٦٠، بتصرف.

تصحيح المفاهيم الخاطئة

في

سورة النحل

تصحيح المفاهيم الخاطئة في "سورة النحل"

"بلاغة القرآن"

(١) يقول الله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ١] .

الفهم الخاطئ في هذه الآية هو استفسار من بعض المسلمين ، وجاء في صورة اعتراض من قِبل بعض المستشرقين ونحوهم، كيف يقول الله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾؟ (أتى) فعل ماضي، (أمر الله)، بمعنى: الساعة يعني جاءت الساعة، وبعد ذلك يقول (فلا تستعجلوه) وهذا في المستقبل!!، فزعموا أن هذا من التناقض في القرآن الكريم ، وما عرفوا أن هذا من بلاغة القرآن الكريم.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

فالله سبحانه وتعالى يخبر عن اقتراب الساعة ووقوعها، معبرًا بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة، كقوله ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ١]، وقوله ﴿ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ أي قرب ما تباعد.

ولكن قوله ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ وكذلك قوله **﴿اقتربت الساعة﴾** واضح لا يحتمل اللبس، بخلاف قوله تعالى **﴿أتى أمر الله﴾** قلنا هو تعبير بصيغة الماضي لأمر محقق الوقوع، وهو أسلوب يعرفه أهل اللغة، وهو من البلاغة بمكان، ثم نحن نستعمله فيما نثق منه تمامًا، كما إذا كلف واحد منا آخر بمهمة معينة، فإذا كان على ثقة من قضائها، قال له: هذا أمرٌ فرغ منه، أو منتهي، أو

اعتبره قُضي أو مفروغ منه أو نحو ذلك.

فإذا قال الله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ فهو أمر لا شك فيه ولا ريب لأنه ما الذي يحول دون إتيانه؟

وقد تقرر في علم الله تعالى، وأصبح في حكم المقضي المفروغ منه ، إنه لا شيء يحول دون وقوعه.

هل هو الزمان؟ أم المكان؟ أم صاحب سلطان؟ أم ماذا؟ لا شيء من ذلك لأن الله تعالى هو خالق الزمان والمكان، وصاحب السلطان، وصاحب الخلق والأمر، والقهر والحكم ، أما أنا وأنت لا نملك أن نقول: نفعل هذا الشيء غدًا، إلا أن يشاء الله، **﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾** [الكهف: ٢٣ ، ٢٤]، لماذا؟ لأنه يتحكم فينا الزمان، فلا نملك آجالنا، ويتحكم فينا المكان، فإذا انتقلنا من مكان إلى مكان حال بيننا وبين الوصول إليه عدو إنسي أو وحشي، أو ظالم أو نحو ذلك، وإن تيسر لنا الزمان والمكان، فنذهب إلى المكان الذي نُريد، فنجد صاحبنا قد مات أو سافر أو نحو ذلك، فلا تقضى الحاجة.

لأن كل هذه الأشياء تتحكم فينا، وليس ثمة شيء من ذلك تتحكم في إرادة الله تعالى، فالله تعالى إذا أراد أمرا أنفذه، ولا معقب لحكمه، لذلك فأمره متحقق الوقوع، فهو (قد أتى) في علم الله، ولن يحول دون إتيانه شيء.

أما بالنسبة لنا فهو لا يزال مستقبلا، فلما كان مستقبلا بالنسبة لنا، والبعض يستعجله كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا**

الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) ﴾ [الشورى : ١٧، ١٨] .

وهنا قال: **﴿فلا تستعجلوه﴾** أي فلا تستعجلوا يوم القيامة، ولا إتيان أمر الله، ولا عذاب الله، ولا وعد الله، إنه أتى فعلاً، فلا مفر ولا حيلة، لذلك عبر بصيغة الماضي لتحقق الشيء ووقوعه يقينا.

ثم قال: **﴿سُبحانه وتَعالى عَما يُشركون﴾** لأن فعل الله ليس كأفعال الخلق، ولأن علم الله ليس كعلم الخلق، فهو سبحانه وتعالى عما يشركون به، وعما يشبهونه به، أو يمثلونه به.

فهو سبحانه له علم وقدرة جعلت علمه وأفعاله ليست كعلم أحد من خلقه، ولا علم أحد من الخلق كعلمه، ولا أفعاله كأفعال خلقه، كما أن أفعال خلقه ليست كأفعاله، ومن ذلك على سبيل المثال ما كان من إسرائه ومعراجه برسوله محمد ﷺ ولذلك قال أيضا **﴿سُبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى ..﴾** الآية [الإسراء : ١] .

❁❁❁

"هل الإنسان يحمل وزر غيره"

(٢) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) ﴾ [سورة النحل ٢٤ ، ٢٥] .

كذا قال ربنا ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٣] . قال قوم: كيف يتفق هذا مع قول الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [فاطر : ١٨]، وكذا قوله ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ﴾ [النجم : ٣٨ ، ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِين ﴾ [الطور : ٢١]، وقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : ٢٨] ؟!!

والضابط بين الأمرين هو وجود إنسان ضال في نفسه، لا يتعدى ضلاله إلى غيره، فهذا وزره خاص به، ورهين بكسبه. وليس له إلا سعيه.

وهناك إنسان ضالٌ مضل، فهو ضل في نفسه، ثم أضل غيره، فهل يكون مثل الأول، ويستوي به؟ كلا ليس من العدل أن يستوي هذا بذاك، فهذا الأخير الذي ضل في نفسه، ولم يكتف بهذا، بل أضل غيره ودعا الناس إلى الضلالة، فهو يحمل وزره ووزر من أضله، وثقله وثقل من نهاه عن الإيمان، فهو من جنس من قال الله عنهم ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام : ٢٦].

وكذلك ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد : ١].

فالذين كفروا فقط ينطبق عليهم ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، لكن الذين

كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴿**يحملون أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم**﴾، وهم يتحملون أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعوهم ويوافقوهم، أي يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم وخطيئة إغوائهم لغيرهم، واقتداء أولئك بهم.

كما جاء في الحديث « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا** »[١] .

وكقوله ﷺ « **من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء** »[٢].

❁❁❁

---

(١) أخرجه مسلم في العلم (٢٦٦٤) ، والبغوي في شرح السنة (١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، والنسائي في الزكاة (٢٥٥٣)، وابن ماجة في المقدمة (٢٠٣) ، والبغوي في شرح السنة (١٦٦١) .

آيات مظلومة فى سورة الإسراء

"متى نهاية بنى إسرائيل ؟ "

(١) قال تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُواً كَبِيراً (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً (٨)** ﴾[الإسراء : ٤ ، ٨].

والفهم الخاطئ لهذه الآيات يتمثل فى ظن كثير من المفسرين أن ما ذُكر فيها من الإفساد مرتين، ومجئ الوعدين كلاهما قد تحقق فى بني إسرائيل قبل الرسالة الخاتمة.

فقد وقع الإفسادان ، وتحقق الوعدان ولا ننتظر وقوع شيء بعد ذلك.

على نحو ما قيل فى الفسادين من قتل الأنبياء ، مرة زكريا ، والأخرى يحيى.

وفيمن سلط عليهم قيل هو جالوت الجزري أولاً ثم ملك الموصل "سنجاريب" وجنوده وقيل بل هو "بختنصر" ملك بابل أو غيره وقد ذكرت فى الآيات اسرائيليات كثيرة، جُلها من وضع زنادقتهم.

والفهم الصحيح الذى نعتقده فى الآية أنها مستقبلية تحكي أمورًا تقع

منهم فى المستقبل ، وأنهم سيفسدون فى الأرض ، وأكبره ما يكون مرتين، وأنهم - مع ذلك - يعلون علوا كبيرًا ، أى يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس.

والناظر فى الآيات الى قوله تعالى **﴿ لتفسدن - لتعلن - فإذا جاء، لِيَسُوؤُوا - ليدخلوا - ليتبروا ﴾** وفي سياق الآيات يعلم أنها للمستقبل وليست للماضي.

وقوله تعالى: **﴿بعثنا عليكم عبادًا لنا﴾** هذا الوصف بالعبودية الخالصة مع الإضافة لله عز وجل التى هى إضافة تكريم وتشريف لم تكن لجالوت ولا سنجاريب ولا بختنصر ، أو نحوهم ممن سلط على اليهود قديما ، وإنما هو وصف لا يليق إلا بأصحاب محمد ﷺ ومن هو على شاكلتهم ، وقوله تعالى **﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا﴾** لم تتحقق فى حياة اليهود، كما هي فى وقتنا الحاضر ، ليصل الفساد الثانى الى ذروته ، والعلو مداه، والطغيان منتهاه، ليتحقق - بفضل الله - الوعد الثانى للمؤمنين ، بقهر اليهود، وكسر شوكتهم ، وإساءة وجوههم ، واسترداد المسجد الأقصى قبل هدمه، وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه هذا والمتأمل في قوله الله تعالى: **﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ ﴾** [الأعراف : ١٦٧] يدرك أنه لا يجوز تخصيص الفساد ولا تحديد مرات العذاب خاصة إذا ما قرأنا قوله تعالى: **﴿وإن عدتم عدنا﴾** فقد أفسدوا قبل الإسلام وتمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم**

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

ثم هم أفسدوا بعد الإسلام ، كما قال قتادة : قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحى :محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

وقد عادوا بعدها مرات فسلط الله عليهم النصارى فى الأندلس يذيقونهم العذاب مع المسلمين الذين تخاذلوا عن دينهم وركنوا الى الدنيا فتشابهوا مع اليهود فى الخصال والفعال وكذلك سلط الله عليهم النصارى فى أوروبا وعلى يد هتلر وغيره وكذا على يد الملحدين الشيوعيين فى روسيا وغيرها

وبناء على ذلك نقول لا نمانع من وقوع فساد قبل الإسلام أظهره ما وقع مرتين ،اجتهد المفسرون فى معرفتها مستندين فى ذلك على الإسرائيليات.

ولكن الذي نرجحه أن الآيات تحدثنا عن مستقبل قريب مرتبط بمهد الدعوة فى عصرها الأول ومع نشأة دولة الإسلام الفتية وقع الفساد الأول من بنى إسرائيل من اليهود خاصة فتمثل ذلك فى النفاق الذى ظهر فى المدينة مع نقض العهود وعزمهم على قتل الرسول ﷺ عشرات المرات **﴿وهموا بما لم ينالوا﴾** ووقوفهم بجوار الأحزاب وتحريضهم الكفار والمشركين على استئصال شأفة المسلمين فكانت الخيانة العظمى لبنى قريظة وقد سبقتهم بنو النضير وبنو قينقاع وأمثال هذا مما هو معروف فهذا والله أعلم هو الفساد الأول وتلك بعض مظاهره فترتب عليه أن الله عز وجل سلط عليهم محمدا ﷺ وصحبه بل وملائكة الرحمن العباد المكرمون كانوا معهم وفى نصرهم،

فرأينا هؤلاء وقد قذف الله رعبًا فى قلوب عدوهم على مسيرة شهر وقد أمهلوا اليهود ثم جاسوا خلال ديارهم يهدمون حصونهم ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين والذى يقرأ غزوات المسلمين لبنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ثم خيبر بعد ذلك يدرك جليا معنى ﴿ **بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً** ﴾ أى تملكوا بلادكم وورثوا أرضكم وسلكوا خلال بيوتكم أى بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدًا وكان وعدًا مفعولاً ، كما ننصح بقراءة سورة الأحزاب وكذا الحشر أو بني النضير لمزيد من المعرفة.

أضف الى ذلك ما وقع من فتوحات أيام الخلافة الراشدة وخاصة بالنسبة للفرس والروم وفتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عنه للمسجد الأقصى واستلامه لمفاتيح القدس واستسلام نصارى الشام وغيرهم للدولة الإسلامية وهذا بخلاف ما تم عنوة بالبأس الشديد فتحقق بها ﴿**فجاسوا خلال الديار**﴾ ونحن نرى ذلك واضحا أيام القرون المشهود لها بالخير.

ثم نحن نفهم أن قوله تعالى ﴿**وقضينا إلى بني اسرائيل فى الكتاب**﴾ لا يجوز حصرها فى اليهود فقط مع أن النصارى يشاركونهم فى ذلك فكلاهما من ولد يعقوب الذى هو إسرائيل كما أنهم يوصفون بأهل الكتاب ثم هم أصحاب كتاب واحد وإن جعلوه قسمين (العهد القديم) و (العهد الجديد).

فلذلك ما يذكر عن اليهود ، أن يذكر عن النصارى كذلك ثم ماذا ؟ تخلى المسلمون عن التمسك بدينهم وقيمهم وعن قرآن ربهم وسنة نبيهم، ووالوا عدوهم ، وتبعوا سنن من كان قبلهم ، وتشبهوا باليهود أنفسهم فى

الحرص على الدنيا ونسيان الآخرة

فى الوقت الذى أفاق بنو إسرائيل لأنفسهم وأعادوا حساباهم وتناسوا خلافاهم ، والتقى اليهود مع النصارى وأعان النصارى اليهود على الرغم مما كان بينهم وتنازل النصارى عن دم المسيح ، وبرعوا فى الإعلام واختاروا الرؤساء وكانوا وراء الوزراء فصارت الدنيا كلها تعمل لصالح اليهود مع الظلم الواضح ، والجور البين ، والفحش المبين ، والسيطرة المتسلطة ، والعلو الطاغي ،والفساد المستشرى .. إلخ.

وهذا هو الذى قاله الله تعالى﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً**﴾ فنرى الكرة الآن لبني إسرائيل سواء أكان فى صورة إسرائيل أو كان كان النصارى فى صورة أمريكا وأوربا وهم الآن الذين يحكمون العالم ويقولون بلسان الحال والمقال: من أشد منا قوة ولا يجدون من يقف فى طريقهم ولا من يستطيع تأديبهم ، ولا.. ولا.. ومن الذى يوقفهم أو يمنعهم من ظلمهم وعلوهم ؟ أهي الأمة الإسلامية أم الشيوعية ؟!.

ونرى صورة من صور الإمداد بالأموال لبني إسرائيل بالنسبة لدول الكفر التى بنت اقتصادها من أموال المسلمين وثروات المسلمين يوم أن احتلوا بلادهم وسرقوا خيراهم ، ثم هم الآن وقد وضعوا أرصدهم فى بنوك أمريكا وأوربا ، وبالنسبة لليهود كما هو معروف مكشوف فكل دول العالم المتقدمة لا بد وأن تساعد إسرائيل وتقدم لها إتاوات وجزية مفروضة وأسلحة مهداة وأجهزة ممنوعة حتى صارت على رأس الاقتصاد العالمى تتحكم فى

أسعار العملات والبورصات العالمية .. إلخ .

وأما الإمداد بالبنين فصورته الحالية هى تجمع اليهود من كل بقاع العالم بعد أن كتب عليهم الشتات والتيه فى الأرض ، فهم الآن يتجمعون فى فلسطين وفى القدس خاصة حول المسجد الأقصى ، وكأنى بالآية الكريمة تشير الى هذا المعنى ﴿ **وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً** ﴾.

وعلى العموم فقد صار بنو إسرائيل أكثر الناس أموالا وبنين، وأما جعلهم أكثر الناس نفيرا، فهذا واضح وضوح الشمس، بل نقول : حدث ولا حرج، إذ هم فى الوقت الذى يمتلكون فيه كل أنواع السلاح بما فيها النووية والذرية والجرثومية والكيميائية لا تملك الأمة الاسلامية أو الدول العربية من ذلك شيئا إلا ما يتفضل به السادة على العبيد !! ومن الواضح أن كل هذا قد ظهر وتحقق، وصار أمرا واقعا ، لا نملك له دفعا ولا منعا.

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** ﴾ أى فعليها.

ثم ماذا ؟ ننتظر وعد الآخرة - المرتبط بدنو الساعة واقتراب الآخرة - والذى هو الآخر بالنسبة للأول ، والذي سبق الكلام عنه فى مهد الدعوة ، وبداية العصر الإسلامي ، وهذا الأخير مع نهاية الزمان.

﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً** ﴾ أى مع تحقق هذا الوعد الأخير المرتبط

بشروط، والتي على رأسها ما جاء فى الآية ﴿ **يعبـــدوننى لا يشـــركون بى شيئا** ﴾ [النور: ٥٥]. وجاء فى الحديث : ((**يا مسلم يا عبد الله**))[1] فعند تحقق هذا أو ذاك يتحقق وعد الآخرة على نحو ما ذُكر في الآية ، إذ تسوء وجوه بني إسرائيل بإهانتهم وقهرهم في الوقت الذي ظنوا أهم ســيحكمون العالم ، وأهم قاب قوسين أو أدنى من إقامة مملكـــة داود ، وبنـــاء هيكـــل سليمان ، فيخيب الله آمالهم ، ويبطل مساعيهم ، ويجعل جهودهم وأموالهم حسرة عليهم ثم يهزمون كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُـونَ وَالَّـذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال : ٣٦].

كما يتحقق مع وعد الآخرة ﴿**وليدخلوا المسجد**﴾ أى الأقصى ، بيت المقدس، الذى يأبى اليهود إلا أن يقيموا هيكل سليمان على أنقاضه ، وقد حرقوه ودنسوه، وقتلوا المصلين به ، وأرادوا جعل القدس عاصمتهم إلى الأبد، تعينهم في ذلك أمريكا ودول العالم من ورائها ، ﴿ **وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ أى في مهد الدعوة ، وفى ظل الخلافة الراشدة، يوم أن فتحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتسلم مفاتيحه من إخوالهم نصارى الشام، وكذلك ﴿**وليتبروا ما علوا تتبيرا**﴾ أي يدمروا ويخربوا ما بناه اليهود وشيدوه وما ظهروا عليه ، تتبيرًا تامًا ، ودمارًا شاملاً، فليبنِ اليهود المستوطنات، وليعلو البناء ، ولتبنِ أمريكا وغيرها ناطحات السحاب ، فإن وعد الآخرة قد بدت ملامحه ، وظهرت إشعاعاته ، وسطع نوره ، ليبدد

---

(٢) أخرجه البخاري فى المناقب (٣٥٩٣) ومسلم فى الفتن (٢٩٢٢) وابن ماجه فى الفتن (٤٠٧٧)، وأحمـد (١٤٩/٢) .

الظلمات ، وليقضى على الظلم ، ولينهى الفساد ، وليحق الحق ، ويبطل الباطل ، وليقطع دابر الكافرين ، وينهى كيد المجرمين.

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٤ ،٦]

وكذلك: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء : ٢٧٧].

وفى نهاية المطاف:﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً (٨) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ .

وصدق الله العظيم، ومن أصدق من الله حديثًا؟ لا أحد[١].

❁❁❁

(١) راجع هذا المبحث بتوسع فى كتاب "تعصب اليهود" .

"هل أدوات الموسيقى تُسبح؟"

(٢) قال تعالى: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً** ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

أساء المتصوفة فهم هذه الآية، واستشهدوا بها فى غير موضعها، فقد كنت أناقش شيخ طريقة منهم عن ارتباط الذكر الصوفى بأدوات الموسيقى التى هى مزمار الشيطان، ومعازف اللهو والطرب، فأجابنى بما سمعته بأذنى قائلا: أليست أدوات الموسيقى شيئًا؟ قلت: بلى ، قال فما دامت هى من الأشياء فهى إذن تسبح، لأنه ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾ وعجبت لإجابته حتى توقفت عن الرد عليه، ورحت أسرع بذهنى كيف ألقى الشيطان هذه الشبهة على لسانه، يبرر بها بدعته، ويدافع بها عن ضلالته، بدلا من الاعتراف بتقصيره، فى الوقت الذى لم نر أهل الطرب والفساد يقولون هذا بالنسبة لأغانيهم ولهوهم!! فسبحان الله، ننـــزه كلماته عن الهوى، وننـــزه كتابه عن الضلال وكذا عن التناقص والاختلاف، وهو الذى نهى عن لهو الحديث، وكذا عن المكاء والتصدية، مشيرا بأنه صوت إبليس ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ** ﴾ [الإسراء : ٦٤] .

قالوا هو الغناء. إلى آخر ما ورد فى هذا الباب.

والذى نعلمه عن الآية هنا فى معناها الصحيح أن الله سبحانه وتعالى،تقدسه السموات السبع والأرض، ومن فيهن أى من المخلوقات وتنـــزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له

بالوحدانية فى ربوبيته وإلهيته.

ففى كل شيء له آيـــة   تـــدل على أنه الواحد

وكما قال تعالى: **﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَـالُ هَداً (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً ﴾** .

وقوله: **﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾** أى وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله **﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾** أى لا تفهمون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا عام فى الحيوانات والجمادات والنباتات، وكما سبح الطعام بين يدي النبي ﷺ وحن الجذع له، وسلم الحجر والشجر عليه ﷺ، وكذا قيل: صرير الباب تسبيح، وخرير الماء تسبيح، ونقيق الضفدع تسبيح، وقيل : إن الاسطوانة تسبح، والمائدة من الخشب تسبح، وذكر إنما يسبح الرطب من الخشب أو الجريد ونحوه، فإذا يبس انقطع تسبيحه، وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: « **إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستنـــزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز فى كل قبر واحدة، ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[١].

قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء : إنما قال مالم ييبسا لأنهما يسبحان ما دام فيهما خضرة، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما، والله أعلم[٢]

والشاهد أن الذى يسبح هو ما كان من مخلوقات الله، ومن صنع الله،

---

(١) أخرجه البخاري فى الوضوء (٢١٨)، ومسلم فى الطهـارة (١١١)، وأبـو داود فى الطهـارة (٢٠)، والترمذي فى الطهارة (٧٠) والنسائى فى الجنائز (٢٠٨٦) .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٤١ - ٤٣ بتصرف .

وكذا يقال: يسبح العنب ما دام عنبا: فإذا تحول إلى خمر فهل يسبح يا عباد الله؟.

ويسبح الخشب ما دام خشبًا أو حتى مائدة، فإذا تحول إلى عود أو ناي أو نحوه ، فهل يسبح؟ وكيف يسبح؟ بنغماته وأصواته وموسيقاه؟ فإن كان كذلك، فلم حرمه الله؟ ونهى عنه رسول الله؟

يا قوم: لم هذا البهتان؟ أليس منكم رجل رشيد؟.



"هل يجوز التوسل بالأشخاص؟"

(٣) قال تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾**
[الإسراء : ٥٦ ، ٥٧]

والفهم الخاطئ يتمثل فى أن قوما زعموا أن الآية دعوة لابتغاء الوسيلة وطلبها، ثم زعموا أن الوسيلة تكون بالنبي أو بالولي، بالأحياء أو الأموات!!

وما ذلك إلا لذكر كلمة الوسيلة فى الآية، وما علم القوم أن الآية حجة عليهم، وليست لهم، إذ أن الآية تنفي الوسيلة غير المشروعة بالملائكة أو بالجن أو غيرهم.

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسير الآية : يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله **﴿ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾** من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم أى بالكلية، ولا تحويلاً أى بأن يحولوه إلى غيركم، والمعنى أن الذى يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له فى الخلق والأمر قال العوفي عن ابن عباس فى قوله **﴿ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾** قال: كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا، وهم الذين يدعون يعنى الملائكة والمسيح وعزيرا: أى يدعون ربهم ويبتغون إليه الوسيلة . وروى البخارى عن ابن مسعود فى تفسير الآية قال : ناس من الجن كانوا يُعْبَدون فأسلموا.

وفى رواية قال كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن فأسلم الجن

وتمسك هؤلاء بدينهم، ﴿ويبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ أى القربة كما قال قتادة، ولهذا قال: ﴿أيهم أقرب﴾ هل الله أم الجن؟ هل الله أم الملائكة؟ هل الله أم الأولياء؟ هل الحي أم الموتى؟ هل القادر أم العاجزون؟ هل القريب أم البعيدون؟ .

ثم هم ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ إذ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف يكف عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات.

وقوله تعالى: ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ أى ينبغى أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله، عياذا بالله منه[1].

❁❁❁

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٤٦، ٤٧ بتصرف.

"هل الإسراء كان مناما؟"

(٤) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً ﴾ [الإسراء : ٦٠].

والشاهد فى الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾

والفهم الخاطئ لها هو ما زعمه قوم أن الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ كان منامًا أو مجرد رؤيا منامية فقط، دون اليقظة، مستدلين على زعمهم بهذه الآية، ومستأنسين بالمعنى اللغوي أن الرؤيا (بالألف) تكون منامية، والرؤية (بالهاء أو بالتاء المربوطة) تكون يقظة، وقد عبر القرآن عنها بالألف (الرؤيا) فدل على أنها كانت منامًا!!.

فنبادر بالرد على ذلك، فنقول: أما الزعم بأن الإسراء والمعراج كان منامًا فقط فكيف يكون مناما، ويكون فتنة للناس؟! وهل المنامات من جنس الفتن؟ ثم لو قال قائل: لقد طفت الدنيا بأسرها فى منامي هذه الليلة؟ ترى هل يكذبه أحد؟ والناس يعلمون أن قانون النوم يختلف عن قانون اليقظة، إذ الروح تسرح فى المنام كيفما شاءت، وهل كان المشركون مغفلين لهذه الدرجة بحيث يحكى لهم النبى ﷺ منامًا فيقولون له : كيف؟ ويقولون – لما قال لهم: أسرى بى الليلة إلى المسجد الأقصى – نضرب إليها أكباد الأبل

شهرًا – أى ذهابًا وآخر إيابًا – وتزعم أنك أتيتها فى ليلة؟[١].

أسمعت؟ قالوا : أتيتها، و لم يقولوا: رأيتها، أو طفت بها منامًا!! .

ولو كانت منامًا، أكان هذا يستدعى أيضا أن يرتد بسبب ذلك ضعاف الإيمان؟! .

ثم على افتراض أنها كانت مناما، فماذا عن قول عائشة رضى الله عنها: "ما رأى النبى ﷺ رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح"[٢] ؟! فمعناه أنه يمكن أن يراها منامًا ثم تحقق فى اليقظة وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "هى رؤيا عين أُريها رسول الله ﷺ ليلة أُسرى به" .

ولذلك كانت فتنة للناس أي اختبارًا وامتحانًا، فثبت قوم وصدقوا، وارتد قوم وكذبوا.

وأما عن المعنى اللغوي المشار إليه، فإن العرب يعرفون الرؤيا (بالألف) فى اليقظة، لكنها تستعمل فى غرائب الأشياء التى تشابه الرؤيا المنامية، وقد قال قائلهم.

فكبر للرؤيا وهش فــؤاده   وطمأن نفسًا كان قبل يلومها

❁❁❁

---

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان (١٧٣) وأحمد (٣٠٩/١) والبيهقى فى الدلائل (٣٦٣/٢) وقال الشيخ شاكر فى تحقيق المسند (٢٨٢٠) إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري فى بدء الوحى ٠٣) ومسلم فى الإيمان (١٦٠) .

"ما هو الإمام؟"

(٥) قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٢].

الفهم الخاطئ: زعم قوم أن الناس يوم القيامة يتبعون أئمتهم، أى مشايخ طرقهم وأئمة مذاهبهم، فيشفعون لهم، ويبررون أخطاءهم، وإذا فعل الإنسان شيئًا مخالفًا، قال الإمام من هؤلاء: هو صحيح عندى، فيضمه إليه ويشفع له .. إلى آخر ذلك الهراء والدجل الذى يضحك به أئمة الباطل والدجل، والأئمة الذين يدعون إلى النار، على الأتباع الضعفاء والسفهاء!!

وأما الآية الكريمة فإنها تحدثنا عن مرحلة من مراحل الحساب متمثلة في أخذ الصحف، وقوله تعالى: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ أي بكتابهم، وقد فسرها الذى بعدها ﴿ فمن أوتي كتابه ..﴾.

وقال ابن عباس: ".. بإمامهم" أى بكتاب أعمالهم، وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك ، وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى ﴿ وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس : ١٢] وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف : ٤٩].

هذا ويحتمل تفسير الإمام بالنبي أو الرسول ، كقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [يونس : ٤٧] وقيل الإمام هو الكتاب الذي أُنزل على النبى عليه الصلاة والسلام.

ويحتمل أن المراد بإمامهم أى كل قوم بمن يأتمون به، فأهل الإيمان أمة

إئتموا بالأنبياء عليهم السلام، وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم، كما قال تعالى ﴿**وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار**﴾ [القصص : ٤١] .

وفى الصحيحين: «**لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت** »[١] الحديث وقال تعالى: ﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الجاثية : ٢٨ ، ٢٩] .

وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبى إذا حكم الله بين أمته فإنه لابد أن يكون شاهدًا على أمته بأعمالها، كقوله تعالى: ﴿ **وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ**﴾ [الزمر : ٦٩] وقوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً** ﴾ [النساء : ٤١] ولكن المراد ههنا بالإمام هو كتاب الأعمال، ولهذا قال: ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ**﴾ أى من فرحته وسروره بما فيه العمل الصالح يقرآه ويحب قراءته كقوله تعالى ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾ [الحاقة : ١٩] .

﴿**ولا يُظلمون فتيلا**﴾ هو الخيط المستطيل فى شق النواة[٢].

❁❁❁

---

(١) أخرجه البخاري فى التوحيد (٧٤٣٨) ومسلم فى الإيمان (١٨٢) وأحمد (٣٦٨/٢) .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٥٢ بتصرف.

آيات مظلومة فى سورة الكهف

"هل يجوز بناء المساجد على القبور؟"

١- قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ﴾ [الكهف : ٢١].

والشاهد فيها هو: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ﴾

والفهم الخاطي: زعم المتصوفة أن الله عز وجل أباح بناء المساجد على قبور الصالحين بهذه الآية، ولذلك حاولوا أن يضحكوا على الناس ويُقنعوهم بأن تعظيم القبور ورفعها واتخاذ المساجد عليها من صُلب ديننا، وقد أمر به ربنا فقال:﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ .

ونحن نقول هنا: يجب أن نقف وقفة تصحيح لهذا الفهم الخاطئ المزعوم.

فالآية حجة على القوم وليس حجة لهم، والذى يستشهد بالآية على أن فيها حجة واضحة على جواز اتخاذ القبور مساجد، أو بناء المساجد على القبور، ويعلن ذلك للناس إنما هو أبله لا يفهم كتاب الله، ولا يعي ما يقول، فالآية ليست كذلك على الإطلاق.

أولاً: معلوم أن الإسلام الحنيف جاء فهدم الوثنيات، ونبذ كل ما يدعو إليها، سواء كان هذا المعظم حجرًا أو شجرًا أو قبرًا، نجمًا أو شمسًا أو قمرًا، أو غير ذلك.

فإن الإسلام نهى عن تعظيم الأشياء حتى لا يؤدى هذا التعظيم إلى

التقديس والعبادة فيقع الناس فى الشرك.

لقد نهى الإسلام عن الوثنية بكل مظاهرها، فى صورة صنم قد نُصب، وفى صورة قبر قد رفع ، أو نحو ذلك، ولذلك رأينا النبى ﷺ يرسل عليًا بن أبي طالب رضى الله عنه فى مهمة دعوية يغير فيها منكرا وزورا فيقول له: « **أن لا تدع تمثالاً إلاَّ طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلاَّ سويته** »(١).

وبهذا الحديث نرى النبى ﷺ يسوى بين وثنيتين، اختلفتا فى المظهر، فهذا صنم قد نصب، وذاك قبر قد رفع عن الأرض بغير ما لم يأذن به الله جل وعلا، أو رسوله ﷺ.

ومعلوم كذلك أن الإسلام نهى عن عبادة القبور وتعظيمها، ورفعها وتشييدها، والكتابة عليها، وزخرفتها، وكل ما يؤدى إلى تعظيمها أو الغلو فى التبرك بها ونحو ذلك.

ثانيًا: الآية تحكي قصة قوم من الأمم السابقة، تحكى قصة أصحاب الكهف، هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، واعتزلوا الجاهلية بنتنها وعفنها،وذهبوا يعبدون ربهم فى كهف من الكهوف، فأراد الله عز وجل أن يجعل منهم آية على مدى التاريخ، سجلها القرآن الكريم فأماتهم الله عز وجل فى كهفهم ثلاثة مائة سنين وإزدادوا تسعا ثم بعثهم من مرقدهم، وقد قاموا جوعى يبحثون عن طعام، فأرسلوا أحدهم بورقهم – أى فضتهم

---

(١) رواه مسلم فى الجنائز (٩٦٩) وأبو داود فى الجنائز (٣٢١٨) والترمذي فى الجنائز (١٠٤٩) والنسائى فى الجنائز (٢٠٣٠).

أو دراهمهم الفضية - أو من أجل أن يأتي لهم بأزكى الطعام، لما بلغ بهم الجوع كل مبلغ ، ولكن الزمان كان قد تغير، والحكم قد تغير، والملك كذلك، والعملة تغيرت أيضا، لقد تغيرت أشياء كثيرة على مدى ثلاثمائة سنين وتسع. ولذلك - بعد ظهورهم - حاول الناس معرفتهم، وتبعوهم لكشف أمرهم، ولكن الله عز وجل قضى نحبهم، وماتوا فى كهفهم موتتهم الحقيقية التى لم يبعثوا منها إلاَّ يوم القيامة بخلاف موتتهم الأولى التى كانت آية لهم، فكانوا آيةً عجبا.

فإذا بالملك الذى أراد أن يخلد ذكراهم، ويلفت أنظار الناس لتلك الآية، فى بلده، فيكثر الحديث عنها وعن ملكها، ويخلد اسمه بتخليد هذا الحدث العظيم أو نحو ذلك، فأصدر ذلك الملك مع حاشيته قرار أو فرمان بأن يخلد ذكرى هؤلاء الفتية بأن يتخذ على قبرهم مسجدًا أو متحفًا أو مكانًا يتعبد فيه، ليكون معلمًا سياحيًا، وأثرًا تاريخيًا على مدى العصور والدهور، وفي سائر الأزمنة والأمكنة.

وهنا نلمح قول الله تعالى **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾** أى قال الملك وقالت الحاشية أو البطانة، قال أصحاب السلطة والكلمة والغلبة والنفوذ **﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾** .

ثالثاً: أقول: من الذى أعطى الذين غلبوا على الأمر حق التشريع، والتشريع لا يكون إلا لله وحده **﴿ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾** [يوسف : ٤٠] .

فإذا قال الذين غلبوا على أمرهم، فليس لهم الحق فى التشريع، فقولهم ليس تشريعًا، ولا حكمًا من لدن حكيم عليم ، وإنما هو قول الذين غلبوا على الأمر، وهو نادرًا ما يوافق الحق أو يصل إلى الحقيقة، أو يكون صوابًا، أو يخلو من الهوى والغرض.

فمن الذى يزعم أن هذا دين أو أنه تشريع.

أرأيت لو أن الذين غلبوا على أمرنا أصدروا قرارا ببناء متحف مليء بالتماثيل والأصنام، ونحن مستضعفون مغلوب على أمرنا، أيكون هذا تشريعًا؟!! .

لو أن ملكا أصدر فرمانًا ببناء ملاهى ليلية، وأباح الخمور ورخص بهذا وصرح به، فمن يزعم أن هذا تشريع؟ ومن يزعم أن هذا يكون دينًا؟

لا أحد، إلا سفيه أبله.

فإذا قال الذين غلبوا على الأمر فقولهم لا قيمة له ولا اعتبار مادام يخالف حكم الملك الجبار.

رابعاً: قوله تعالى: **﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾**. لو افترضنا أن المسجد هنا بالمعنى الذى نهى عنه الإسلام، فنحن نعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يأت ناسخ ينسخه.

ونتساءل: هل وجد هذا الناسخ أم لا؟ والاجابة واضحة فى أنه جاءت الآيات والأحاديث تنهى عن ذلك، وتشنع على من فعل ذلك قال تعالى: **﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾** [الجن : ١٨] وقال تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف : ٢٩] وقال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر : ٢، ٣] ونحو ذلك من الآيات.

وفى السنة: يقول ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا إنى أنهاكم عن ذلك**»(١).

وقال : «**لعن الله زورات القبور والمتخذين عليها المساجد**»(٢).

ويقول ﷺ: «**إن من شرار الخلق عند الله يوم القيامة، من اتخذوا القبور مساجد، والذين تدركهم الساعة وهم أحياء**»(٣).

وعن أم حبيبة وأم سلمة - رضي الله عنهما - وقد رأتا كنيسة بالحبشة فيها تصاوير - فقال النبى ﷺ: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»(٤).

والنبي ﷺ كان في مرض موته يرفع الخمرة عن وجهه، ويقول: «**اللهم لا تجعل قبرى وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم**

---

(١) رواه البخاري فى الجنائز (١٣٩٠) ومسلم فى الجنائز (٥٣١) .

(٢) أخرجه النسائى فى الجنائز (٢٠٤٢) وأبو داود فى الجنائز (٣٢٣٦) والترمذي فى الصلاة (٣٢٠) وابن ماجة فى الجنائز (١٥٧٥) وحسنه الشيخ الألباني فى صحيح ابن ماجة برقم (١٢٨١) .

(٣) أخرجه أحمد (١/٤٠٥) وابن خزيمة في صحيحه (٧٨٩) وابن حبان (٣٤٠) والبزار (١/٢٧٢) والطبرانى فى الكبير (١٠٤١٣) وقال الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٣٨٤٤) واسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٢٨) ومسلم في المساجد (٥٢٧) والنسائي في المساجد (٧٠٣) وأحمد (٦/٥٢) .

مساجد»[١].

يقول ﷺ أيضا: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »، تقول عائشة : " يحذر مما صنعوا "[٢].

فكانت هذه من وصاياه الأخيرة ﷺ، وكونه يذكر هذا فى مرض موته إنما لأهمية الأمر وخطورته، وإن كان ذكر شيئًا بعدها فقد ذكر قوله:« **الصلاة الصلاة، وما ملكت إيمانكم** »[٣] ثم فاضت روحه ﷺ إلى بارئها.

فأهم ما في الدين وأخطره ، صرح به ﷺ وهو في مرض موته يعاني من سكرات الموت ، مشيرًا إلى إخلاص العقيدة ، بتحريم تعظيم القبور ، وإلى صحة العبادة بالمحافظة إلى الصلاة ، وإلى حسن المعاملة والأخلاق ، بإكرام العبيد ، والإماء وما على شاكلتهم ممن هم عوان عندنا .

إذًا فالأمر جد خطير ، ولئن كان هذا يجوز في دين الملك أو عرفه فاتخذ على قبور هؤلاء الفتية مسجدًا أو معبدًا أو متحفًا أو نحو هذا ، فإن هذا لا يجوز في ديننا بعد أن جاءت الأدلة متضافرة والأحاديث صحيحة متواترة ، تنهى عن هذا ، تنهى عن هذا الصنيع ، وتبين أن اتخاذ القبور مساجد ، وأن

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٦/٢) ومالك فى الموطأ فى قصر الصلاة فى السفر (٨٥) وعبد الرازق فى مصنفه (١٥٨٧) والحميدى فى مسنده (١٠٢٥) وابن سعد فى الطبقات (١٨٦/٢) وقال الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٧٣٥٢) إسناده صحيح .

(٢) أخرجه مسلم فى المساجد (٥٣١) وأحمد (٢٧٥/٦) .

(٣) أخرجه أبو داود فى الأدب (٥١٥٦) وابن ماجة فى الوصايا (٢٦٩٨) وأحمد (٢٩٠/٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٨٦٨).

رفع القبور عن الأرض - بما يزيد عن مقدار شبر ، ليعلم أنه قبر ، فلا يجلس عليه ، ولا يمشي فوقه ، ولا يصلي إليه - وكذلك زخرفتها وبناء القباب عليها أو نحو ذلك ، إنما كل هذا من الوثنية وليس من دين الله في شيء .

خامسًا : أقول مَنْ مِنْ أئمة الدين وعلماء الإسلام أفتى بجواز هذا الأمر ؟

وهذا الإمام أحمد بن حنبل ، ومن بعده شيخ الإسلام ابن تيمية : قالا : لا يجتمع في الإسلام مسجد وقبر أبدا ، فأيما مسجد بُني على قبر فبناؤه باطل وجب أن يهدم ، وأيما قبر أدخل مسجدًا ، فإدخاله باطل وجب نبشه . وفي الوقت الذي جعلت لنا الأرض مسجدًا وطهورًا حُرمت الصلاة عند المقبرة ، كما حرمت عند المزبلة والمجزرة ، وقارعة الطريق ومبارك الإبل ، والحمام، وفوق الكعبة .

فهذا حكم الإسلام الواضح في مسألة بناء المساجد على القبور ، أو اتخاذ القبور مساجد .

سادساً: ما حكم الصلاة فى المساجد التى بها قبور؟.

وإذا كنت قد بينت الجانب العقدى فى مسألة المساجد والقبور، فهذا الجانب الفقهى لمن يسأل عن حكم الصلاة فى المساجد التى بها قبور.

فنقول: الذين يقصدون هذه المساجد تفضيلا لها، وتعظيما للمقبور بها، فهذا العمل يرتبط بالعقيدة، فيكون شركًا، كما أن صلاتهم باطلة.

أما من صلى صلاة فى مسجد به قبرا، لا يقصد تفضيل المسجد على غيره ولا تعظيمه المقبور الذى قُبر به، فحكم صلاته مختلف فيها بين البطلان

والكراهية، ومجمع على عدم الأفضلية بالصلاة فيه، بل الأفضلية فى غيره يقينا مما لم يختلف على فضل الصلاة فيه.

سابعًا: لعل قائلا يقول: فماذا عن مسجد الرسول ﷺ ؟

نقول: هذا المسجد لم يُبْنَ على قبر، ولم يدفن فيه النبي ﷺ عندما مات، فالعله من هذا الجانب أو ذاك منفيه. ولقد بنى مسجد رسول الله ﷺ وأسس على التقوى، وأفضلية الصلاة فيه ثابتة، فصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام(١).

وقد بين ﷺ أن يُدفن الأنبياء حيث ماتوا(٢)، وقد مات النبي ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها المجاورة لمسجد رسول الله ﷺ فدفن في نفس الحجرة.

ثم تمت توسعة مسجد رسول الله ﷺ أكثر من مرة فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفى عهد عثمان رضي الله عنه ، وفى كل مرة تتم التوسعة بعيدًا عن الجانب الذى فيه حجرات زوجات النبى ﷺ، كما قال عمر رضي الله عنه مشيرًا إلى حجرة عائشة - رضى الله عنها - وقد طلب منه التوسعة من ناحيتها، فقال: **أما هذه فما لنا عليها من سبيل.**

وبقيت حجرات النبى ﷺ - بعد ذلك - مسكنًا لمن بقي من آل البيت، وحتى لا يدخل قبر النبى المسجد، ومرت الأيام إلى أن جاء عهد "الوليد بن عبد الملك بن مروان"، والذي قيل أنه كان يكره آل بيت النبى ﷺ، وذهب

---

(١) أخرجه البخاري فى الصلاة (١١٩٠) ومسلم فى الحج (١٣٩٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه الترمذي فى الجنائز (١٠١٨) وابن ماجة فى الجنائز (١٦٢٨) من حديث أبي بكر رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي برقم (٨١٢).

المدينة زائرًا، وخطب الجمعة فى مسجد الرسول ﷺ، وهناك رأى الأنظار قد توجهت إلى حجرات زوجات النبى ﷺ، وينتظر الناس من يخرج من آل البيت فأدرك "الوليد" حب الناس لآل البيت، وعزوفهم عنه، وعن سماع خطبته، وعدم رضاهم عن ظلمه وجبروته، فأسَّرها فى نفسه وقرر هدم تلك الحجرات، ولابد من تشتيت من بقي من آل بيت النبى ﷺ، وبحجة التوسع للمسجد يصدر الوليد فرمان بتوسعة المسجد من الناحية الشرقية للمسجد حيث الحجرات، وتتم التوسعة على الرغم من رفض الناس لذلك، ولم يكن قد بقى فى ذلك الوقت أحد من الصحابة، وكان الناس قد تملكهم الخوف من ظلم الوليد وبطشه واكتفوا بأن باتوا يبكون، ومرت عليهم تلك الليلة التى رأوا فيها هذا التغيير والحدث فى دين الله أسوأ ليلة، ولكن ما حيلة القوم؟!!.

وقد رأوا أن فى الخروج على الوليد فتنة لا يعلم مداها إلا الله، فتركوا الخروج عليه وصدر الأمر وتم التنفيذ، ووسع المسجد من ناحية الحجرات، فأدخلت حجرة عائشة رضي الله عنها فى مسجد الرسول ﷺ برمتها، وظلت ببنيانها، والقبر على حاله بداخلها، منذ أن مات رسول الله ﷺ، وإلى يومنا هذا، وجدران الحجرات هي هي ، والقبور الثلاثة - قبر النبى ﷺ وبجواره قبر صاحبيه "الصديق والفاروق" كما هي أيضا، هذا وقد بُني الساتر الحديدي أمام الجدران، وقيض الله عز وجل لقبر نبيه ﷺ جنودًا يحرسونه بالليل والنهار، فلا يتعبد الناس له ولا يسجدون ولا يتبركون ولا يتمسحون به، كما يفعل الجهال عند قبور الأولياء والصالحين، وبهذا تحققت دعوة

النبي ﷺ «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»(١).

وظل مسجد الرسول ﷺ على هذا النحو، فله خصوصية ليست لغيره من المساجد، لما بيناه من عدم بناء المسجد على القبر، وكذا عدم دفن النبي ﷺ عند وفاته، وإنما حدث هذا التغيير بعد ذلك، ولم يكن من الممكن نقل قبر النبي ﷺ لحرمته، ولأن الحجرة معزولة، هذا فضلا عن أفضلية الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، فالأمر كما علمت مما لا يقاس عليه غيره أبدًا، والله أعلم.



---

(١) سبق تخريجه.

"هل هناك علم لدنى؟"

٢- (الموضع الثانى من سورة الكهف) يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً (٦٤) فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٢) قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (٧٩) وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ

يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً (٨٢) ﴾ [الكهف : ٦٠ ، ٨٢] .

فهذه الآيات الكريمات التي يحكي الله تعالى فيها قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح "الخضر عليه السلام" .

- كما صح فى السنة التصريح باسمه - قد فُهمت فهمًا خاطئًا على النحو التالى:

١- زعم قوم أن الآيات تدل على أفضلية الأولياء على الأنبياء، لأن الخضر كان وليًا، وموسى كان نبيًا، وفى الآيات ما يدل على أفضلية الخضر على موسى عليه السلام.

٢- زعموا أن هناك ما يسمى "بالعلم اللدُنى" مرتبط بالحقيقة يختلف عن العلم الشرعى، وهذا العلم اللدنى للأولياء كالوحى للأنبياء!!، مستدلين بقوله **﴿وعَلمناهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾**.

وكثيرا ما خالف المتصوفة شرع الله باسم الحقيقة، وقالو: هذا علم لدنى! لم يكتب فى قرطاس، ولم يسجل فى كراس! على طريقة "حدثنى قلبى عن ربي"!

فالحقيقة تختلف عن الشريعة عندهم، وكما قال قائلهم:

وإن كنت فى علم الشريعة عاصيًا فأنا فى علم الحقيقـــة طائعُ!!

مستدلين بأن الخضر خرق السفينة، وقتل النفس، وبنى الجدار لأهل القرية

اللئام، فهذه حقيقة خالفت شريعة موسى، واعترض موسى صاحب الشريعة!!

٣- استنبطوا من الآيات أنها تأمر بالتوسل بالأموات، فى قوله **﴿وكَانَ أبوهما صالحاً﴾** فقالوا: فيها ما يدل على أن بركة الأموات تتعدى إلى الأحياء!!.

٤- زعم الصوفية أن الآيات فيها إشارة تدل على أنه يجب على المريد أن يطيع الشيخ طاعة عمياء، كما كان موسى مع الخضر، ولذا قال قائلهم.

كن بين يديّ شيخك كالميت بين يدى المغسل يقلبه كيف يشاء وهو مطاوع!!

فهذه أربعة مواضع قد فُهمت من الآيات فهما خاطئًا على غير وجهها.

والحق يقال : إن هذه الآيات الكريمة لا تدل على شيء مما ذهبوا إليه البتة، وإنما جاءت الآيات لتبين لنا فضل العلم والعلماء، والصبر على طلب العلم، وأدب المتعلم مع المعلم، وتأديب الله لأصفيائه، مهما تحملوا من المشاق فى سبيل طلب العلم وكذلك بيان أن الله يمن على من يشاء من عباده.

وبداية الأمر كما بينه النبى ﷺ فقال « **إن موسى قام خطيبًا فى بني إسرائيل ، فسُئل أى الناس أعلم ؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، فقال موسى: يا رب وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوته فجعله بمكتل ثم انطلق ، وانطلق معه**

فتاه "يوشع بن نون" عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربًا، وأمسك الله عن الحوت جريه فى الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتها حتى إذا كان من الغداة، قال موسى لفتاه ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ – ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به – قال له فتاه ﴿ أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا﴾ – قال : فكان للحوت سربا، ولموسى وفتاه عجبا.

﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا﴾ فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مُسجى بثوب ، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وإنى بأرضك السلام فقال : أنا موسى، فقال موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، ثم قال: أتيتك لتعلمني مما عُلمت رشدا، ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ يا موسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى ﴿ قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا﴾ قال له الخضر: ﴿قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول (أجر)، فلما ركبا السفينة لم يفجأ إلاَّ والخضر قد قلع لوح من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى:

قد حملونا بغير نول، فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟! ﴿لقد جئت شيئا إمرا (٧١) قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا (٧٢) قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا﴾ قال: قال رسول الله ﷺ، فكانت الأولى من موسى نسيانًا، قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة. فنقر فى البحر نقرة أو نقرتين، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك فى علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فأقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى ﴿أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرًا﴾ قال: ﴿قال ألم أقل إنك لن تستيطع معي صبرا﴾ قال وهذه أشد من الأولى، ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدني عذرا﴾. ﴿فأنطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض﴾ - أي مائلاً فقام الخضر بيده "فأقامه" فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا (٧١) قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا﴾ فقال رسول الله ﷺ: "وددنا أن موسى كان صَبَرَ حتى يقص الله علينا من خبرهما» قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقرأ «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين»[1].

وهنا لنا وقفة نبين فيها بعض الدروس الواردة فى القصة.

(١) أخرجه البخاري فى العلم (١٢٢) ومسلم فى الفضائل (٢٣٨٠) واللفظ له.

ففي قوله تعالى: ﴿**فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾ ما يدل على نبوة الخضر عليه السلام، فقوله ﴿**عبدا من عبادنا**﴾ جاءت فى القرآن على الأنبياء والرسل.

فى مثل قوله سبحانه: ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾ [ص : ٤١].

وقوله سبحانه: ﴿ **وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ** ﴾ [ص : ٤٥].

قوله سبحانه وتعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الزخرف : ٥٩].

وقوله جل وعلا: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص : ٧١].
وهكذا ما جاء عن نبينا محمد ﷺ فى مواضع منها ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ..**﴾ [الإسراء : ١]. ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ..**﴾ [الكهف : ١].

﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ [الفرقان : ١]
فهذه واحدة، وقوله سبحانه فى الآية عن الخضر: ﴿**آتيناه رحمة من عندنا**﴾ أليست كقوله تعالى فى قصة نبى الله "نوح": ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ..**﴾ [هود : ٢٨] ؟!!

وكقوله تعالى فى قصة نبى الله "صالح": ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً** ﴾ [هود : ٣٦] ؟! وهذه الثانية.

ثم قول الله **﴿وعلمناه من لدنا علما﴾** أليس هو الوحى الذى هو للأنبياء؟

وقوله **﴿من لدنا﴾** أى من عندنا، اقتضت البلاغة القرآنية المغايرة فى اللفظ فى الآية الواحدة، وهي كقوله سبحانه **﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾**[الكهف : ١٠]وكقوله **﴿وإنك لتلقي القرآن من لدن حكيم عليم﴾** [النمل : ٦].

وكقوله أيضا: **﴿قد بلغت من لدني عذرا﴾** أى قد عذرتك فى شأني ، أو أعذرت إلى مرة بعد مرة، فهذا العلم هو من عند الله تعالى، وليس من عند غيره، وهذه الثالثة.

فالله تعالى قد خص الخضر بعلم لم يطلع عليه موسى، كما أنه أعطى موسى من العلم مالم يعطه الخضر، ولذا قال له موسى **﴿هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا﴾** قال الخضر لموسى: **﴿إنك لن تستيطع معى صبرا﴾** أى إنك لا تقدر على مصاحبتي لما ترى منى من الأفعال التى تخالف شريعتك، لأني على علم من علم الله ما علمكه الله، وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله، فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه، وأنت لا تقدر على صحبتي **﴿وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا﴾** فأنا أعرف أنك ستنكر عليَّ ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلعت على حكمته ومصلحته الباطنة التى أطلعت أنا عليها دونك، أى وذلك من حكمة الله تعالى التي اقتضت تأديب وتهذيب موسى فيما قال من قبل "أنا أعلم" و لم يرد العلم إلى الله، فعتب الله عليه، وأراد أن يعلمه.

ومعنى هذا أن الخضر عليه السلام كان صاحب شريعة بوحي من الله

تعالى علمًا واذنًا، وأن شريعته كانت تخالف شريعة موسى عليه السلام، كما قال تعالى: **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾** [المائدة : ٤٨] هذه الرابعة. فاين الحقيقة التى زعمها المتصوفة؟ والعلم اللدنى الذى طالما تغنوا به ، مخالفين بذلك شرع الله؟ ثم نجد فى نهاية القصة **﴿وما فعلته عن أمري﴾** أى من هذا الذى فعلته فى هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح، وما فعلته عن أمرى، أى لكنى أمرت به ووقفت عليه، فمن الذى أمره؟ ومن الذى أوقفه عليه وأعلمه به؟ ففى الآيات دلالة واضحة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام، بل قال بعضهم: كان رسولا وقيل: بل كان ملكا وذهب آخرون إلى أنه لم يكن نبيًا، بل كان وليًا، والله أعلم.

وهو – على أى الأحوال – لا يعنى أنه أفضل من موسى، وليس معناه تفضيل الأولياء على الأنبياء – كما زعموا – وليس فيه ما زعموه من تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة، والعلم إلى ظاهر وباطن!!

حتى زعم الصوفية – فى بعض كتبهم – مستدلين بهذه الآيات: أن الدين حقيقة وشريعة، وأن الشريعة نزلت أولاً، ثم نزلت الحقيقة بعد ذلك، وأن النبى ﷺ علم الناس علم الشريعة، ولكنه كتم عنهم علم الحقيقة، فلم يعلمه إلاَّ لعلي بن أبي طالب ﵁ – مع أن عليًا ﵁ هو الذى صرح بأن الرسول ﷺ ما خصه بشيء.

ثم زعموا أن الحقيقة انتقلت بعد ذلك إلى الحسن البصرى، وظلت تنتقل بين الأقطاب والأنجاب والأوتاد والأحباب!!

وهذا اتهام شنيع وكذب ذريع فى حق الرسول ﷺ، كما عرفت.

ولذلك فرق الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وجعلوا الشريعة لعامة الناس، أما الحقيقة فلا يعرفها إلا الكُمل الخُلص، الذين تذوقوا حلاوة الإيمان، ولذا يقولون "من ذاق عرف" .

وهذا الكلام لا يصح فى دين الله الواضح الصريح، والذى لا تختلف أحكامه حسب الأذواق والمواجيد، والذى يعرف البعض جانبا منه، والبعض الآخر يعرف أشياء لا يستطيع الآخرون التوصل إليها، كما لا نعرف الديوان الصوفى الذى يحكم قطب الأقطاب، ومعه القطاب ومن دونهم، وهم يتصرفون فى الكون، فهذه أساطير تشبه أساطير اليونان والإغريق، والصوفية مولعون بالأساطير!!.

وأعود فأقول إن الآيات الكريمة لم تحدثنا عن شريعة تبناها موسى، حقيقة تبناها الخضر، وإنما هما شريعتان اختلفتا فى المنهاج، وقد أُذن للخضر أن يفعل ما فعل بأمر من الله، لم يؤذن لموسى به، ولم يعلمه كذلك، ومن هنا كان اعتراضه، بسبب عدم علمه، الذى أريد من قبل الله ليكون تأديبًا لموسى وتعليما.

وفعل الخضر بمقياس الشريعة بالنسبة لخرقة السفينة ارتكاب لأخف الضريين وأهون الشرين، فهو ينـــزع لوحا منها إلى حين أن يمر الملك الظالم الذى يجد السفينة معيبة، فيتركها لعيبها، فإذا ابتعد الملك الظالم عنهم، قام فوضع الخشبة فى مكانها، وبذلك تسلم السفينة للمساكين.

وهذا الغلام على الرغم من أنه موصوف فى هيئته بأنه "نفس ذكيـــة" إلا أنه مطبوع على الكفر ولو عاش لأرهق والديه طغيانا وكفرا، فمن الخير لهما أن يموت هذا الكافر، وعسى الله أن يبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رحمـــا، وهذا الذى فعله الخضر بإذن من الله وإرادته سبحانه وهو يتفق كذلك مع ما جاء فى الشرائع من قتل الكفار، وقطع عضو فاسد لصلاح بقيـــة الأعضـــاء جائز شرعًا، وقتل فئة باغية - بعد الدعوة إلى الصلح - لجمع كلمة المسلمين جائز شرعا، وفى كتاب الله **﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـوا فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَـى أَمْـرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِـبُّ الْمُقْسِـطِينَ ﴾** [الحجرات : ٩].

وأما أمر الغلامين أو شأن الجدار، فواضح حيث إن أهل القرية لئام لا يستحقون الكنــز، وقد بخلوا بما عندهم من فضل الله، فحرمهم الله فضله، ولكن الغلامين ليتمهما وصلاح أبيهما، أكرمهما الله تعالى بأن سخر لهما من يحافظ لهما على هذا الكنــز، ويبنى عليه الجدار حتى يبلغا أشدهما، فينتفعا ويستطيعا الحفاظ عليه، وهو كقوله تعالى: **﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾** [النساء : ٩] .

وكما أنه ليس فى الآية ما يدل على أن بركة الأموات تتعدى للأحياء، مما يخول التوسل بهم، على نحو ما زعموا !! بل هو صلاح الآباء الذى قد ينفع الأبناء.

إذًا هذا الذي فعله الخضر هو من صلب الدين، ويتفق مع الشريعة تمامًا، وعندنا في الشريعة الخاتمة ما يؤيد هذا ويدل عليه، على الرغم أنه تقع بين الشرائع اختلافات.

ولعل قائلاً يقول: فلماذا اعترض موسى إذن؟

والجواب معلوم فى أن موسى لم يعلم شريعة الخضر، إذ قال له الخضر من قبل « **يا موسى إني على علم علمنيه الله لم يعلمك إياه، وأنت على علم علمكه الله لم يعلمنى إياه** » وكذلك أذن للخضر فيما فعل، ولم يؤذن لموسى، للحكمة المرادة من تأديب موسى وتعليمه.

فكان مثلهما كمثل رجلين زارا رجلا آخر، فلم يجداه، وقد علم أحدهما بالأذن المسبق والآخر لم يعلم، فكان إذا رآه دخل الدار بدون إذن اعترض عليه، وإذا جلس فى البيت اعترض عليه، وإذا تناول طعاما اعترض عليه كذلك، حتى بين له فى نهاية الأمر أنه مأذون له فيما فعل.

فكذا كان الأمر بالنسبة لموسى مع الخضر عليهما السلام.

كما ذكر فى كتب التفسير أن الخضر عليه السلام قال لموسى: لم تعترض على؟!.

أليس خرق السفينة كحال الصندوق الذى أمر الله أمك أن تلقيه فى اليم.

وقتل الغلام الذى أمرت بقتله، كقتلك الرجل المصرى وأنت تريد الصلح. وإقامة الجدار بدون أجر، كما سقيت للفتاتين بدون أجر، وأنت أحوج ما تكون إليه.

إذًا هذا الدين واضح، وليس فيه طلاسم ولا ألغاز، وليس هو بالأساطير، ولا بالأذواق.

وزعم الصوفية أنه يجب على المريد أن يطيع شيخه طاعة عمياء بلا جدال ولا تردد ولا اعتراض.

وقالوا: كن بين يدي شيخك كالميت بين يدى المغسل يقلبه كيف يشاء وهو مطاوع، مستدلين بقصة موسى والخضر عليهما السلام.

فإما نقول: ليس فى القصة ما يدل على ذلك، بل على العكس منه، لأن موسى كان يعترض ويسأل ويريد التعرف على الحكمة فيما خفي عليه، ولكن الصوفية يصرون على مبدأ من اعترض طرد أو "انطرد"!!

ومع ذلك فيجب احترام أهل العلم، وإذا رأينا خطئًا من عالم فإنه يبين له بأدب جم مع التوقير المطلوب للعلماء.

"فاللهم إهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك"



"من هما يأجوج ومأجوج؟"

٣- قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَداً (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴾ [الكهف : ٩٢ ، ٩٩] .

والفهم الخاطئ ارتبط بالإسرائيليات التى حدثتنا عن "يأجوج ومأجوج"

فتزعم الإسرائيليات أن يأجوج من ولد نوح أو آدم، وحدث أن آدم احتلم واختلط منيه بالتراب فخلق الله منه يأجوج ومأجوج!!

وزعمت أن لهم من عظم الخلق ما الله به عليم ، تُهول فى ذلك تهويلاً لا يقبله عقل ، ولا يدل عليه نقل، فطول أحدهم مائة وعشرون ذراعا، وعرض قريبا من ذلك، وأنهم وهم يمشون فى الأرض إذا لقى أحدهم فيلاً أو أسدًا أو حيوانًا مفترسًا يقبض عليه بيده ثم يأكله!!

وأنهم لهم آذان طويلة جدا، فأحدهم يفترش واحدة ويلتحف بالأخرى!

وإنهما أمتان عظيمتان، فى كل أمة مائة ألف أمة، والواحد منهم ما يموت حتى يرى من نسله ألف رجل، كلهم يكون فارسًا يقاتل! ونحو ذلك من

المبالغات التى يكثر منها المفسرون!!

والحق فى ذلك: أن يأجوج ومأجوج حقيقة، وأهما من علامات الساعة الكبرى عند خروجهما من كل حدب ينسلون، وأهما قبيلتان من ولد نوح عليه السلام، وطبيعتهما من طبيعة ما خلق الله عز وجل، كالأمم السابقة، وفيهم قوة وكثرة، ولذلك أفسدوا فى الأرض، كما أفسدت عاد وثمود مثلا، ولما شكى قوم حالهم لذي القرنين ، قام فبنى عليهم سدًا بين جبلين ، على نحو ما وصف القرآن: ﴿ **آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً** ﴾ ظل يأجوج ومأجوج داخل السور بين الجبلين فى حالة هرج ومرج، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً**﴾ فإذا جاء وعد الله أهدم السور، وانطلقوا من كل حدب وصوب يأكلون الأخضر واليابس .

هذا ولكوهم كفار، وأهم من الكثرة بمكان،لذلك فهم حطب النار وأهلها، يملأ الله بهم جهنم ، مع سائر الكفار والمشركين من بقية بنى آدم والجن كذلك.

وهذا بخلاف ما ذُكر من إسرائيليات حول ذى القرنين فى الإسم والوصف، ومدينته التى بناها، وكيف بلغ المشارق والمغارب؟!.

مما لم يصح منه شيء ، ولا يجوز أن يلتفت إليه، ويبقى أخذ العظة والعبرة من القصة فحسب، والله أعلم..

۞۞۞

آيات مظلومة فى سورة (مريم)

"ما المراد بالتقى؟"

١- قال تعالى فى قصة مريم: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِياًّ﴾ [مريم : ١٨].

جاءت فى الإسرائيليات، واشتهر على ألسنة الناس أن ﴿تقيًا﴾كان رجلاً فاجرًا اشتهر بالفاحشة، فمريم استعاذت منه على هذا الأساس.

وهو أمر منكور، وفهو مقلوب.

والصحيح: أنه لما تبدى لها الملك فى صورة بشر، وهى فى مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافتة وظنت أن سيراودها عن نفسها، فقالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا أى إن كنت تخاف الله - تذكير له بالله، وهذا هو المشروع فى الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أولا بالله عز وجل، ولأنها علمت أن التقي إذا ذُكر بالله تذكر، وإذا أراد المعصية انزجر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الإعراف : ١٠٢].

فأجاب الملك مزيلاً لما حصل عندها من الخوف على نفسها مما تظن ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِياًّ﴾ [مريم: ١٩].

❁❁❁

"من هو هارون؟"

قال تعالى أيضا: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِياً (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِياً (٢٨)**﴾ [مريم :٢٧ ، ٢٨].

فتسأل قوم: كيف تكون مريم أختًا لهارون ؟ وبينهما قرون؟ .

أقول : إنما جاء هذا التساؤل بناء على أنهم اعتقدوا أنه هارون أخو موسى عليهما السلام، وليس الأمر كذلك، وإنما تخريجه على النحو التالى:

أ- ﴿**يا أخت هارون**﴾ أى شبيهة هارون فى العبادة، والفضل والشرف، كما يقال: فلان أخو فلان أى يشبه. يعنى أنت من بيت طيب طاهر ومعروف بالصلاح والعبادة والزهادة، فكيف صدر هذا منك؟

ب- ﴿**يا أخت هارون**﴾ لأنها كانت من نسله، كما يقال للتميمى: يا أخا تميم، وللمضري يا أخا مضر.

جـ- وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تتأسى به فى الزهادة والعبادة.

د- كان لها أخ يسمى هارون، كما صح فى الحديث عن المغيرة بن شعبة قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: أرأيت ما تقرأون : ﴿**يا أخت هارون**﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال « **ألا أخبرهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم** »[1].

---

(١) أخرجه مسلم فى الآداب (٢١٣٥) والترمذي فى التفسير (٣١٥٥) وأحمد (٢٥٢/٤) .

"ما معنى ورود جهنم؟"

٣- قال تعالى: **﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِياً (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِياً﴾** [مريم : ٧١ ، ٧٢] .

والفهم الخاطئ : ظن كثير من المسلمين أن الورود المذكور فى الآية هو دخول جهنم، وأن الناس جميعا سيدخلونها!!.

ومن ثم كثر التساؤل حول هذه الآية، ما معناها وما المراد منها.

فنقول : لا ننكر فى البداية أن بعض السلف فهموا هذا المعنى السابق وذكروه . فهذا - مثلا - "عبد الله بن رواحة رضي الله عنه" - وكان واضعًا رأسه فى حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله عز وجل **﴿وإن منكم إلا واردها..﴾** فلا أدري ، أأنجو منها أم لا - وفى رواية - وكان مريضًا[(١)]

وهذا "أبو ميسرة" إذا آوى إلى فراشه، قال يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي فقيل له ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أُخبرنا أنَّا واردوها و لم نُخْبر أنَّا صادرون عنها[(٢)].

وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصرى، قال : قال رجل لأخيه : هل أتاك أنك وارد النار، قال: نعم، قال: هل أتاك أنك صادر عنها؟ قال:

---

(١) أورده الطبرى فى التفسير (٨٢/١٦) .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١١٩/١١٨/٠١) والحاكم فى المستدرك (٥٥٨/٤) وصححه وأخرجه عبد الرازق فى مصنفه بإسناد صحيح رجاله ثقات، وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (٨١٣/٤) .

لا، قال ففيم الضحك؟ قال: فما رُئى ضاحكًا حتى لحق بالله.

وأمثال هذا مما ورد على سبيل الخوف من الله، والرهبة من عذابه، من قلوب ملئت بالإيمان، ويمكن التذكير به فى جانب الترغيب والترهيب.

ولكن الحق الذى نراه فى تفسير هذه الآية، أن الوردود بمعنى المرور على الصراط الذى مد على متن جهنم ، فالكل يتردى فيها عدا أهل التقوى الذين كتب لهم النجاة.

والذي يجعلنا نرجع هذا هو الجمع بين النصوص التى جزمت بأن كثيرًا من المؤمنين قد حرم الله أجسادهم على النار، وأنهم يدخلون الجنة بدون حساب أو سابقة عقاب.

وقد ورد عن ابن مسعود - مرفوعا - قال:" **يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير. ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى إن آخرهم مرًا رجل نوره على موضع إبهامى قدميه يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة، عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من النار يختطفون بها الناس..**

وذكر تمام الحديث "[١].

وعنه قال: قوله تعالى: **﴿وإن منكم إلا واردها﴾** قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون - والملائكة يقولون : «**اللهم سلم سلم**»[٢]

وعن حفصة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**إنى لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله - أحد شهد بدرًا والحديبية، قالت: فقلت: أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قالت: فسمعته يقول ﴿ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾** »[٣].

وعن قتادة فى تفسير **﴿وإن منكم إلا واردها﴾** «قال هو الممر عليها»

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها ، وورود المشركين أن يدخلوها، وقد قال النبى ﷺ « **الزالون والزالات يومئذ كثير، وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة دعاؤهم: يا الله سلم سلم**»[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما فى تفسير ابن كثير (١٣٢/٣) وأخرجه الترمذي فى التفسير (٣١٥٨) والدرامى فى الرقاق (٢٨١٠)، وأحمد (٤٣٥/١) مختصرا، وهو بعض حديث طويل اخرجه البخاري فى التوحيد (٧٤٣٩) ومسلم فى الإيمان (١٨٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبرى فى التفسير (١٦ / ٨٣).

(٣) أخرجه مسلم فى فضائل اصحابة (٢٤٩٦) وابن ماجة فى الزهد (٤٢٨١) واللفظ له، واحمد (٢٨٥/٦)

(٤) رواه ابن جرير فى التفسير (٨٣/١٦).

وقوله سبحانه **﴿ثم ننجى الذين اتقوا﴾** أي إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التى كانت فى الدنيا ثم يشفعون فى أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهى مواضع السجود، وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما فى قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولا من كان فى قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذى يليه، حتى يخرجون من كان فى قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر: لا إله إلا الله، وإن لم يعمل خيرا قط، ولا يبقى فى النار إلا من وجب عليه الخلود، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ولهذا قال تعالى **﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾** ا.هـ [١].

❁❁❁

(١) أورده ابن كثير فى التفسير (١٣/١٣١/١٣٤) بتصرف .

آيات مظلومة فى سورة "طه"

"ما معنى (طه)؟"

(١) ونبدأ بقوله تعالى :﴿ **طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾[طه : ١، ٢]

والفهم الخاطئ فى معنى ﴿**طه**﴾ فزعم قوم أنها اسم من أسماء النبى ﷺ.

وفى أوراد الصوفية: صلى الله على طه خير الخلق وأحلاها.

وجاء فى التفسير: طه بمعنى رجل، أو طأ أى طأ الأرض برجلك!!

والحق أنها من جنس الحروف المقطعة التى فى أوائل السور، وهى تسع وعشرون سورة فى القرآن الكريم، ويقال فيها ما يقال فى تلك الحروف، وأفضل ما ذكر فى ذلك: الله أعلم بمراده فيها.

وأما من زعم أنها من أسماء النبى ﷺ، فهذا ما لا يصح من قريب أو بعيد.

وقد صح فى الحديث أنه ﷺ قال:« **إن لى أسماء: أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذى يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي** »[1] وفى رواية «**وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد** » واللفظ لمسلم.

ولم يقل ﷺ فى حديث صحيح ولا ضعيف أن من أسمائه ﴿**طه**﴾ ولا ناداه به أحد من أصحابه، ولا عرف ذلك عنه.

---

(١) أخرجه البخاري فى التفسير (٤٨٩٦) ومسلم في الفضائل (٢٣٥٤) .

"هل كان موسى بلسان علة؟"

(٢) قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾** [طه ٢٥ ، ٢٨].

والفهم الخاطئ بالنسبة للآية **﴿واحلل عقدة من لسانى﴾** إذا زعم قوم أن موسى عليه السلام، كان لا يستطيع الكلام، ولا يكاد يبين، ثم قالوا: كيف يكون هذا وهو نبى معصوم منـــزه عن المرض الذى يحول دون البلاغ والتبيين لرسالته، وأداء دعوته، أو أنه كان بلسانه علة أو لثغة، وفى الإسرائيليات - وقد ذكر فى حديث الفتون لابن عباس - أن موسى لما دخل على فرعون وهو صغير جذبه من لحيته فمدها إلى الأرض، فخشى فرعون منه أن يكون هو الفتى الذى يصرعه ويذهب ملكه على يديه، ومن أجل ذلك يقتل أبناء بنى إسرائيل، فلما رأت امرأة فرعون ذلك وقد خشيت على موسى منه، وكانت تحبه حبا جما، قالت له: ما بدا لك فى هذا الغلام الذى وهبته لى؟ فقال: ألا ترينه يزعم أنه يصرعنى ويعلونى، فقالت: اجعل بينى وبينك أمرا يعرف الحق به، نعرض عليه تمرة وجمرة، فإن تناول الجمرة فهو لا يعقل، وإن تناول التمرة عرفت أنه يعقل، فتناول الجمرة فوضعها على لسانه، أو نحو من هذا فى كلام ابن عباس .

وابن عباس إذا يحدث بمثل هذا من باب ما أبيح نقله من الإسرائيليات، التى يُستأنس بها ولا يُستشهد بها، وفى الحديث « **حدثوا عن بنى إسرائيل**

ولا حرج»[١].

ولكن فى رواية حديث الفتون لابن عباس لم يذكر التمرة، بل جاء فيه ".. فقالت - أى امراة فرعون: اجعل بينى وبينك أمرًا يعرف الحق به، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن إليه، فإن بطش باللؤلئتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلئتين علمت أن أحدًا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين، فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به، وكان الله بالغا فيه امره.."[٢].

وهذه الرواية كما ترى ليس فيها تمره، ولا أن تناولها ولم يصب منها بلثغة ولا غيرها.

وبناء على ذلك فإننا نرى أن المعنى القريب لهذه الآية ﴿ **واحلل عقدة من لساني** ﴾ إنما هو زوال العي منه حتى يحصل لهم فهم ما يريد منه، أو هو اللحن فى الكلام نتيجة غربته عن أهل مصر عشر سنوات، التى ظل يتكلم فيها بلهجة أهل مدين ولغتهم، حتى استعجمت على لسانه لغة المصريين ولهجتهم، فصارت كالعقدة فى لسانه، وهذا أمر مشاهد فى الناس، على الرغم من وحدة اللغة بين العرب. إلا أنه مع اختلاف اللهجات، يصعب

---

(١) رواه أبو داود فى العلم (٣٦٦٢) والترمذي فى العلم (٢٦٦٩) وأحمد (١٥٩/٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٣١١٠).

(٢) أخرجه أبو ليلى فى مسند (٢٦١٨) وابن جرير الطبرى فى التفسير (١٦ / ١٢٠، ١٢١) وأورده السيوطى فى الدور المنثور (٥٣٠/٤) والهيثمى فى مجمع الزوائد (٥٨/٧) وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير إصبغ بن زيد والقاسم بن ابى أيوب وهما ثقتان.

على المصري أن يفهم الشامي ، أو العكس منه، وكذا قل مع اختلاف اللهجات واللغات.

إننا نعلم أن الأنبياء معصومون من كل مرض منفر، وواجب لهم كل كمال بشري إجمالاً ، وأما تفضيلاً: فالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة.

وهذا التبليغ يحتاج إلى فصاحة فى القول، وصحة فى التعبير، وبيان للمراد،

وهذا هو الذى سأل موسى ربه أن يزوده إياه، وأن يمنحه تلك المؤهلات. فالذى نعتقده أن المسألة ليست مرضًا، ولا عيبًا خلقيًا، ولا لثغة أو غير ذلك. إنما هو مجرد اختلاف اللهجات بين مصر ومدين، ولذلك قال **﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾** [القصص : ٣٤] فهارون عاش بمصر ويعرف لغتهم جيدا، لأنه لم يفارقهم ولم يتأثر بلهجة غيرهم، أو بلغة أحد سواهم.



"هل كان محمد ﷺ يعلم القرآن قبل نزوله؟"

٢- قال تعالى: ﴿ وكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه: ١١٣، ١١٤].

٣- والفهم الخاطئ فى قوله: ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ .

إذا زعم فيها بعض المتصوفة زعمًا لم يسبقوا إليه، و لم يقل به أحد غيرهم

فزعم ابن عربي- ومن وافقه - أن هذه الآية تدل على أن النبي محمدا ﷺ كان يعلم القرآن، قبل نزوله، وأنه كان يقرأه قبل جبريل، فنهى عن ذلك ﴿ولا تعجل بالقرآن..﴾ وجاء فيما اشتهر على ألسنة الصوفية أن النبي محمدًا ﷺ سأل جبريل: عمن تأخذ القرآن؟ .

فقال: أتلقاه من وراء حجاب، فقال: لو كشفت الحجاب يوما! ففعل، فإذا به يجد النبى ﷺ فصاح قائلاً: منك وإليك يا محمد !!، ولا تعجب فهذه ضلالة هينة من ضلالات ابن عربي وأمثاله من أصحاب الإتحاد والحلول.

والفهم الصحيح للآية هو الذى تدركه بمجرد قراءة الآية وهو من الوضوح بمكان .

فهذه الآية التى بين أيدينا كقوله تعالى فى سورة القيامة: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٦ ، ١٩] .

وثبت فى الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كــان يعالج من الوحى شدة [(١)]، فكان مما يحرك به لسانه، فأنزل الله هذه الآيــة، يعنى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلمــا قــال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف فى حقه لئلا يشق عليه، فقال **﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾** أى أن نجمعه فى صدرك ثم تقــرؤه على الناس من غير أن تنسى منه شيئا **﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)ثُــمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾** .

٤- وقال فى هذه الآية : **﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾** أى بل أنصت فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده[(٢)].

إذًا فهل الأمر كما زعم ابن عربى ومن وافقه، وهو يفسر تلك الآية، فيقول: إعلم أن رسول الله أعطى القرآن مجملا قبل جبريل، من غير تفصيل الآيات والسور، فقيل له، لا تعجل بالقرآن الذى عندك قبل جبريل، فتلقيه على الأمة مجملا. فلا يفهم أحد عنك لعدم تفصيله"[(٣)].

ومازال يهذي بهذه الأسطورة أناس من الصوفية، تلقوها صوفي عن صوفي فى كل حانة صوفية؟!!.

إن بطلان هذه الفرية بدهي يحكم به من فى قلبه بارقة من إيمان، يبدو أن

---

(١) أخرجه البخاري فى بدء الوحى (٥) ومسلم فى الصلاة (٤٤٨) .

(٢) تفسير ابن كثير جــ٣ صــ ١٦٧.

(٣) الكبريت الأحمر للشعرانى على هامش اليواقيت والجواهر ٦ طــ١٣٠٧هــ.

غشاوة الصوفية على بصائر معتنقيها حالت بينها وبين إدراك الحقيقة الإيمانية الأولى وهى أن رب الوجود هو الله وحده لا شريك له، فلم لا تحول بينها وبين إدراك بطلان تلك الفرية؟!.

لهذا نُذكر بهدى الله سبحانه و تعالى فى قوله عز من قائل﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى** ﴾ [النجم : ٥ ، ٧].

آيات بينات تهديك إلى أن الذى علم رسول الله «القرآن» هو جبريل عليه السلام ، و إلى أنه صلى الله عليه و سلم لم يكن على علم بشيء منه قبل أن ينــزل جبريل به عليه .

و قال تعالى ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً** ﴾ [الفرقان : ٣٢ ، ٣٣] ، و يقول ابن عربى : أنه نزل عليه جملة واحدة ،فقوله هذا هو قول الكافرين .

و قوله سبحانه ﴿ **إنا أنزلناه فى ليله القدر** ﴾ [القدر : ١] نؤمن بأن محمدا صلى الله عليه و سلم لم يعلم بآيه من كتاب ربه إلاَّ فى ليلة القدر فمتى علم الرسول القرآن مجملا ؟أقبل ليلة القدر أم بعدها ؟ و من علمه إياه مجملا؟ أجبريل أم غيره ؟ و يهب الله للحق برهانا تنجاب به كل ريبة ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ**﴾ [الشورى : ٥٢] أيفهم الصوفية ، أم هى اللجاجة فى العناد ؟ .

و قال سبحانه :﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا**

يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَاءَ اللَّــهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِــهِ أَفَــلاَ تَعْقِلُــونَ ﴾ [يونس : ١٥، ١٦] .

وفرية الصوفية تناقض هذه الحجج الإلهية على صدق محمد صلى الله عليه و سلم . أولاً يذكر الصوفية أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين فاجأه الوحي، كان يقول - وجبريل يغطه : ما أنا بقارئ؟؟ .

وأنه عاد إلى زوجه الطيبة الطهور فى خوف وقلق، وأن هذه المؤمنة العظيمة قالت له قولها التي طيبها الإيمان بروحانيته « **والله لايخزيك الله أبدا** »[1] .

أفكان يحدث هذا أو بعضه، لو أنه ﷺ كان على بينة من القرآن قبل نزوله عليه؟ .

لِما قال : ما أنا بقارئ ؟ يكررها ثلاثا ؟ لِما عاد خائفًا حتى زملوه ودثروه؟ لِما بث نفسه إلى زوجه خديجه رضي الله عنها ، ولِما ذهب معها إلى ورقة بن نوفل ؟؟.

كل هذا حدث منه ﷺ حتى بعد نزول الوحي عليه أهذه دلائل علم سابق بالقرآن ، ويقين جازم به قبل نزول جبريل عليه به فى ليلة القدر ، أم دلائل مشاعر نفس مؤمنة تقية فاجائها من الله سبحانه وتعالى مالم تكن تدريه من قبل ؟؟ .

---

(١) أخرجه البخاري فى بدء الوحى (٣) ومسلم فى الإيمان (١٦٠) .

ولقد كان أعداء الرسول ﷺ يسألونه محرجين معنيتين ، يبغون تكذيبه والتجديف عليه، فلم يكن يجيبهم بشئ - لأنه لايعرف الجواب - عما سألوه عنه ، إلا بعد أن ينــزل جبريل عليه السلام به، سألوه عن الروح، وعن فتية الكهف، وعن ذى القرنين، فقال ﷺ : « **فقال غدًا أجيبكم** ».

وأنساه حرصه النبيل على إقامة الحجة عليهم وعلى هدايتهم ، فلم يقل: إن شاء الله ، ففتر عنه الوحى حتى حز به الأمر وبلغت به الشدة مبلغها ، ولم لا؟ وعدوه متربص به حريص على تكذيبه ، وعلى أن يثير الشبهات حول رسالته ، ورغم هذا يفتر عنه الوحى، ثم منَّ الله عليه به ، فعلم عن الله جواب ما سألوه عنه ، فقال الرسول ﷺ لجبريل « **لقد رئت عليَّ حتى ظن المشركون كل ظن** » فنــزل قوله تعالى : ﴿ **وما نَتنــزلُ إلاَّ بأمرِ ربكَ** ﴾ [مريم:٦٤] ، أفكان يحدث هذا ، لو أن رسول الله ﷺ كان على بينة من القرآن قبل نزوله؟ لماذا لم يجب من سألوه ؟ لأنه لم يكن يعرف الجواب ، ولكن "ابن عربى " يكفر بكل تلك الدلائل ويفتري اسطورتة ، ولو كان الرسول ﷺ يعلم القرآن قبل نزوله ، فلِمَ سكت شهرًا كاملاً ، بلغت فيه القلوب الحناجر. إذ الناس يتهمون النبى ﷺ فى عرضة ، وفى أحب الزوجات إلى قلبه بتهمة الفاحشة ، ويخرج إليهم النبى صلى الله عليه و سلم يقول «**من يعذرني فى أهلي ؟** » و تحدث فتنة عظيمة فى المسجد ، و يذهب بعدها إلى عائشة و يقول لها : « **إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله تعالى** » حتى نزلت آيات البراءة و هو فى مجلسه صلى الله عليه و سلم ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرَاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ....** ﴾ [1] الآيات.

---

(١) سورة النور ١١-١٦، انظر تفسير ابن كثير للآيات جـ٣ صـ٢٦٨ ٢٧٨

"ما هى معصية آدم ؟"

(٤) قال تعالى : ﴿ **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** ﴾ [طه :١٢١، ١٢٢].

فظاهر هذه الآية أن آدم عصى ربه و غوى بمخالفته أمـــر الله و اســـتجابته لدعوة الشيطان و استدل بها على عدم عصمة الأنبياء ، و اتهم فيها نـــبى الله آدم عليه السلام .

و لكن إذا أمعنا النظر رأينا أن هذه المعصية إنما وقعت منه ﷺ آدم نسيانًا منه لعهد الله ، و الله سبحانه لا يؤاخذ على الخطأ ولا على النسيان ، لأن ذلك تكليف بما لا يطاق ، و الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، و الأصل فى هذه القاعدة قول الله سبحانه: ﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ [الأحزاب : ٥] وقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦].

و الدليل على أن ما وقع من آدم كان نسيانًا و عن غير عمد ، قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً** ﴾ [طه : ١١٥] أى أن آدم نسيَّ عهد الله الذى وصاه به حين ارتكب ما نهاه عنه من الأكل من الشجرة ، و لم يوجد له عزم على فعل ما نهي عنه ، و حيث لم يوجد العزم على المعصية ، فلا توجد المؤاخذة.

وإنما اعتبر القرآن ذلك النسيان عصيانًا، نظرًا لمقام آدم الذى خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وعلمه الأسماء كلها، والذى شأنه هكذا يجب أن يكون يقظًا كأقوى ما تكون اليقظة حتى

لا ينسى وصاية الله له وعهده إليه، فهذا - كما يقال - من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

هذا فضلاً عن أنها كانت صغيرة وقعت منه قبل أن يجتبيه الله للنبوة.

والذى نعلمه يقينا أن الله تعالى تاب عليه وهداه، واجتباه نبيًا مصطفى.

وهبوط آدم من الجنة إلى الأرض بقدر سابق، إذ خلق الله آدم ليكون فى الأرض، لا فى الجنة.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة : ٣٠] وليس فى الجنة، وإنما فترة مقامه فى الجنة كانت تشريفًا، وتعليمًا، وقدرًا مبرمًا. والله أعلم.

❁❁❁

آيات مظلومة فى سورة الأنبياء

جاء فى قصص بعض الأنبياء ذكر إسرائيليات تعتبر اتهاما للأنبياء، وفيها نفى لعصمتهم.

وتكررت هذه الشبهات على ألسنة الناس من المغرضين والجاهلين والمتكلمين والمستشرقين، ومن ذلك:

ما معنى ﴿بل فعله كبيرهم﴾؟

(١) قال تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام: **﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾** [الأنبياء : ٥٩، ٦٣] .

والشاهد: هو قوله سبحانه: **﴿بل فعله كبيرهم﴾** وما ترتب عليه من فهم وأحكام .

والزعم: أن هذا الكذب يتنافى مع عصمة إبراهيم وخلته، وكيف يليق به مثل هذا؟

والحق أن هذا ليس من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله – حاشا وكلا – وإنما يطلق الكذب على هذا تجوزا، وإنما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعي ديني ، كما جاء فى الحديث « **إن فى المعاريض لمندوحة عن**

الكذب »[١]وكما جاء فى الحديث أيضا «**كلمات إبراهيم عليه السلام الثلاث التى قال، وما منها من كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى** ».. الحديث[٢] أى دافع بها عن دين الله.

فقول إبراهيم عليه السلام ﴿**بل فعله كبيرهم**﴾ إنما عرض لهم فى القول حتى يقول ﴿**فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ وإنما أراد بقوله هذا أن يبادروا إلى القول بأن هذه لا تنطق ، فيعترفوا أنها جماد كسائر الجمادات فيقيم عليهم الحجة ﴿ **فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَيَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾ إن إبراهيم عليه السلام لما سأله قومه ﴿ **أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾ شعر بأن الفرصة قد سنحت له ليبلغ مأربه وليصل إلى الحقيقة التى أراد أن يقروا بها، فبأسلوبٍ حكيمٍ يجيبهم على سؤالهم بأن محطم الأصنام هو كبيرهم، وأن الشاهد على فعله هو بقية الأصنام، وتابع قوله ﴿**فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ فقد غضب الصنم الكبير أن تعبدوا هذه الأصنام الصغيرة، وهو أكبر منها فكسرها، وبلا وعي ولا تفكير ينزلق القوم فى هذا المنزلق الذى دفعهم إليه إبراهيم ، فيقول بعضهم لبعض: أنتم الظالمون بعبادة معبودات لا تستطيع النطق ، وأنتم الظالمون باتهام إبراهيم، ولكن الحقيقة تصدمهم بعد ذلك فإذا هم يطرقون برؤوسهم من الخجل ثم يعودون

---

(١) أخرجه البهقى فى السنن الكبرى (١٠/١٩٩) والقضاعي فى مسند الشهاب (١٠١١) وابن عدي في الكامل (٣/٩٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد.

إلى مجادلة إبراهيم قائلين : إنك تعلم أن هذه الأصنام لا تقــدر أن تنطــق فكيف تطلب منا أن نسألها؟ حينئذ برزت حجة إبراهيم مدوية مجلجة تقرع آذاهم، وتفحمهم بهذا الجواب البليغ ﴿ **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِــن دُونِ اللَّــهِ مَــا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلايَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾ هذا والكذب هو الأخبار عن شيء على غير ما هو عليه فى الواقع مع اعتقاد المخبر أن ما قاله غير مطابق للواقع قاصدًا بذلك خديعة السامع، ولم يكــن كلام إبراهيم بهذا المعنى بل فيه من التهكم والسخرية ما فيه.

أقول: وحتى لو كان كذبًا، فهو على الأعداء، وهذا جائز كما أنه لصالح الدين والدفاع عنه، وقد شهد له بذلك رسول الله ﷺ، كما فى الحديث الذى سبق ذكره.

أقول أيضا: أرأيت لو أنى كتبت لوحة بخط جميل، فسألنى أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب، هل أنت الذى كتبت هذه اللوحة الجميلة بذلك الخط الجميل؟ فقلت؟ لا، أنت!!.

ترى هل هذا يكون كذبًا أم يكون تهكمًا؟! .

❁❁❁

"ما هو ضر أيوب؟"

٢- قال تعالى: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾.

الفهم الخاطئ: هو ما زعمه المفسرون حول ضر أيوب ومرضه، الذى استقوه من الإسرائيليات.

فزعموا - ما لا يليق فى حق الأنبياء أصلاً - من أنه مرض مرضا منفرا، وقالوا أصيب بالجذام فى سائر بدنه، ولم يبق منه شيء سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافه الجليس ، وأفراد فى ناحية من البلد، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته التى كانت تقوم بأمره، وقالوا: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله حتى باعت شعرها، وأنه مكث فى البلاء مدة طويلة، ثم ألقى على كناسة بنى إسرائيل تختلف الدواب فى جسده حتى فرج الله عنه بل قالوا: تساقط لحم أيوب حتى لم يبقى إلا العصب والعظام، فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالرماد يكون فيه، فقالت له امرأته لما طال وجعه يا أيوب لو دعوت ربك يفرج عنك.!!.

والحق أن هذا وأمثاله - وهو مطول فى كتب التفسير - إنما هو من جنس الإسرائيليات المرفوضة، لأنها ذم لأنبياء الله، وفيها ما يتنافى مع عصمتهم من الأمراض المنفرة، والعقول السليمة تستبعد ذلك، وتقبل ما يكون من باب البلاء، ولا يحمل معنى الجزع، ولا يكون من جنس الأمراض المنفرة.

فالذي أشار إليه القرآن أن أيوب عليه السلام أصابه من البلاء - فى ماله

وولده وجسده - الشيء الكثير، بحيث كانت له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاده كثيرة، ومنازل مرضية فابتلي فى ذلك كله، امتحانًا واختبارًا، فصبر عليه السلام صبرًا صار مضرب المثل «**صبر أيوب**».

وقد حدثنا النبى ﷺ فقال: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه**»(١).

وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام كذلك ، غاية فى الصبر ثم دعا ربه ، بعد ما أصابه الضر، وصبر عليه، ثم رأى أو سمع ما آذاه، فجعل يدعو - والدعاء مشروع، لكنه أبطأ به، ليعبد الله بالصبر على البلاء، كما عبده من قبل بالشكر على الآلاء - فقال : ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ فاستجاب الله دعاءه، وكشف ضره، وعفا عنه، وأوحى إليه ﴿ **ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ [ص : ٤٢] وفى نفس الوقت رد عليه أهله وماله ومثلهم معهم تفضلاً وتكرمًا، وفى الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال «**لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادًا من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويجعله فى ثوبه ، قال : فقيل له : يا أيوب أما تشبع ؟ قال : يا رب ومن يشبع من رحمتك؟**»(٢).

وهو الذى قاله الله : ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ**

---

(١) أخرجه الترمذي فى الزهد (٢٣٩٨) وابن ماجة وفى الفتن (٤٠٢٣) وأحمد (١٧٢/١) واللفظ له وقال الشيخ شاكر فى تحقيق المسند (١٤٨١) اسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري فى الغسل (٢٧٩) والنسائى فى الغسل (٤٠٧) وأحمد (٢٤٣/٢) .

وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٤] أى ما فعلناه رحمة من الله به، وجعلناه في ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء أنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به فى الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة فى ذلك[1].

ما معنى ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾؟

٣- قال تعالى: ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٧]. قال قوم: كيف يظن يونس عليه السلام - وهو نبي - أن الله لا يقدر عليه؟!.

والجواب: أخطأ من زعم أن قوله ﴿**لن نقدر عليه**﴾ من القدرة، وإنما هنا بمعنى أن لن نضيق عليه، ويقال: قَدَر، وقَدَّر بالتخفيف والتشديد، وكلاهما بمعنى واحد .

وذلك فى مثل قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ ...**﴾ فقدر عليه رزقه أى ضيق عليه، وهنا ﴿**فظن أن لن نقدر عليه**﴾ بمعنى: أن لن نضيق عليه، إذ ترك قومه وخرج يبحث عن آخرين، ظانًا أن الله لا يعاقبه على ذلك، فكان من أمره ما حكاه الله تعالى مجملاً فى تلك السورة، ومفصلا فى سورة الصافات والقلم.[2].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ١٨٨ ١٩٠ بتصرف .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ١٩٣ بتصرف.

آيات مظلومات من صورة الحج

"ما معنى التمنى؟"

١- قال تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾ [الحج : ٥٢ ، ٥٥] .

والفهم الخاطئ يتمثل فيما ذكره المفسرون عن تفسير هذه الآيات من أنها تعني أن الشيطان يوحي إلى الأنبياء والرسل ويلبس عليهم ، ويدخل كلامًا مما يلقيه في قراءة الأنبياء حتى ينسخ الله ذلك ويحكم الآيات .

وتجد المفسرين يذكرون عندها قصة الغرانيق - المزعومة - وسنذكرها في حينها إن شاء الله .

والفهم الصحيح ، أننا نقول : هذا كذب محض ، وافتراء على الله وعلى رسله .

فإن الآية تقرر أنه ما من نبي ولا رسول تمنى هداية قومه ، واستجابتهم لدعوته إلاَّ جاء الشيطان واضعًا أمامه العقبات ومسيئًا له من الوصول إلى الهدف الذي يستهدفه ، إلاَّ أن الله سبحانه وتعالى يعجل بإزالة ما يلقى الشيطان من وسوسة تيئسه ويحيي في نفسه الأمل والرجاء .

وفى ذلك تمحيص لأهل الحق، وفتنة لضعاف الإيمان، فالذين أوتوا العلم يعلمون أنه الحق من ربهم، وتخبت له قلوبهم.

كما يقال: كيف يجوز أن يُلقي الشيطان هذه الكلمات التى فيها مدح للأوثان؟ وكيف يكون للشيطان على الرسول سبيل أو سلطان، وهو مخالف لقوله تعالى **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾** [الحجر : ٤٣] وأى شخص أحق بهذه العبودية من الأنبياء، وكما قال تعالى **﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾**[النحل : ٩٩] فكيف بالنبى ﷺ؟ فأى بشر أصدق إيمانًا وأقوى توكلاً من رسول الله؟ وقد صدق الشيطان ذلك كما حكاه الله تعالى عنه بقوله **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾** [ص : ٨٢، ٨٣] .

ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء أو من أشد إخلاصا منهم؟ وكيف، وقد كان للرسول ﷺ شيطان فأسلم فصار لا يأمر إلا بخير؟!!.

وكيف يصح أن يزيد الرسول ﷺ فى القرآن عمدًا ما ليس منه، وكذا سهوًا إن كان مغايرًا؟ وأين هذا من العصمة؟ .

ولو صح ذلك لذهبت الثقة بالأنبياء، ولوجد المارقون سبيلاً للتشكيك فى الدين!!.

ومن ثم فما ذكر حول القصة المزعومة لم يصح عقلاً ولا نقلاً بوجه من الوجوه.

وقد وجب من قبل الإيمان بعصمة الأنبياء والرسل.

آيات مظلومة فى سورة المؤمنون

"ما المراد بملك اليمين؟"

١- قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ** ﴾ [المؤمنون : ٥ ، ٦] .

والشاهد ﴿ **أو ما ملكت إيمانهم** ﴾ **والفهم الخاطئ** تمثل فى الشبهة التى قالها المستشرقون، ورددها المستغربون، لماذا أباح الإسلام الرق، وأباح ملك اليمين والتسرى بالجوارى والاستمتاع بهن، حتى جعلوا ذلك من صور البغاء، قالوا ولكن هى بطريقة تختلف عن البغاء الموجود فى الجاهليات المختلفة.

وهذه الشبهة من أخبث ما يلعب به أعداء الإسلام لزلزلة عقائد الشباب، فتوافق جهل كثير من المسلمين بمعرفة الفهم الصحيح لذلك فتساورهم بعض الشكوك، كيف أباح الإسلام الرق؟ وهو دين قام على المساواة الكاملة، وهو الذى رد الناس جميعا إلى أصل واحد، وعاملهم على هذا الأساس، كيف جعل الرق جزءا من نظامه وشرع له؟ هل يريد الله للناس أن ينقسموا إلى سادة وعبيد؟.

والإجابة: إن الإسلام لم يشرع الرق، وإنما شرع العتق، إن الإسلام صنع للرقيق مالم يصنع غيره، ولو سارت الأمور إلى وجهتها وفق ما رسم، ما تعرضت أجيال غفيرة لهذا البلاء المبين.

فما أقر الإسلام الخطف الذى انتشر فى العصور القديمة والحديثة، والتى وسعت دائرة الاسترقاق على نحو رهيب.

وأما لماذا لم يغلق الإسلام باب الرق تمامًا واستخدم معه التدريج فذلك لأسباب منها: أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى كانت تكتنف العالم الذى ظهر فيه الإسلام كانت تحتم على كل شارعٍ حكيم ، يقر الرق فى صورة ما، وتجعل كل محاولة لإلغائه إلغاءً سريعًا مقضيًا عليه بالفشل والاخفاق.

٢- أن الإسلام لم يقر الرق إلا فى صورة تؤدى هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج.

والوسيلة التى ارتضاها للوصول إلى هذه الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثرًا وأصدقها نتيجة وهى تتلخص فى مسلكين: أحدهما: تضييق الروافد التى كانت تمد الرق وتغذيه وتكفل بقاءه، بل العمل على تخفيفها تخفيفًا كاملاً. والآخر: توسيع المنافذ التي تؤدى إلى العتق والتحرير، وبذلك أصبح الرق أشبه شيء بجدول كثرت مصباته وانقطعت عنه منابعه التي يستمد منها الماء وخليق بجدول هذا شأن أن يكون مصيره إلى الجفاف، وبذلك كفل الإسلام القضاء على الرق فى صورة سليمة هادئة، وأتاح للعالم فترة للإنتقال يتخلص منها شيئا فشيئا من هذا النظام، ونختصر القول على هذين المسلكين اختصارًا فيما يلى:

أولاً: تضييق الإسلام لروافد الرق التى كانت قائمة متمثلة فى الآتي:

١- إنتماء الفرد إلى شعب معين ، أو طبقة معينة .

٢- الحرب بجميع أنواعها.

٣- ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتال والسرقة والزنا

٤- القرصنة والخطف والسبي .

٥- عجز المدين عن سداد الدين.

٦- سلطة الوالد على أولاده.

٧- سلطة الشخص على نفسه فيبيع نفسه لقاء ثمن معين.

٨- تناسل الرقيق، فكان ولد الأمة يولد رقيقًا، ولو كان أبوه حرًا، ولو كان أبوه السيد نفسه.

وكانت هذه الروافد تقذف كل يوم فى تيار الرق بالآلاف مؤلفة من الأنفس، حتى إن عدد الرقيق كان يزيد عن عدد الأحرار زيادة كبيرة فى شعوب كثيرة من بينها العبريون والرومان وعرب الجاهلية.

جاء الإسلام ورواوفد الرق بهذه الكثرة والغزارة والقوة، فحرَّمها جميعًا ما عدا رافدين اثنين وهما:

١- رق الوراثة وهو الذى يفرض على من تلده الجارية، ثم قيده بقيود، فاستثنى من أولاد الجواري مواليهن، فيكون حرا، وهذا هو الغالب فى أولاد الجواري، وهذا كفيل بالعمل على جفاف هذا الرافد ونضوبه بعد أمد غير طويل.

٢- رق الحرب الذى يفرض على الأسرى، وقيده بأنه لا يكون بين طائفتين من المسلمين، وكذلك بالنسبة للحروب الأخرى بين المسلمين وغيرهم لابد وأن تكون الحرب مشروعة أى يجيزها الإسلام، وتنفذ وفق قوانينه، ويعلنها خليفة المسلمين، فإذا لم تكن كذلك فإنها لا تؤدى إلى رق من يؤسرون فيها، وحتى مع توافر هذه الشروط فإن الإسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة

للأسر ، بل يبيح للإمام أن يمن على الأسرى بدون مقابل، أو يطلق سراحهم فى نظير فدية أو عمل يؤدونه، أو فى نظير أسرى من المسلمين عند العدو. أو فى نظير جزية تفرض على رؤوسهم، وفضل الإسلام المن والفداء على غيره من قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** ﴾ [محمد : ٤].

ثانيًا: توسيع الإسلام لمنافذ العتق: فبينما لم يكن قبل الإسلام إلا منفذًا واحدًا وهو رغبة المولي فى تحرير عبده،جاء الإسلام فحطم جميع القيود، وفتح للعبيد أبواب الحرية على مصارعها، وأتاح لتحرير العبيد آلاف من الفرص، وتلمس للعتق من الأسباب ما يكفى بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل، ومثاله:

١- عتق السيد لعبده بأية صورة أو لفظ يدل على العتق ولو لم يقصد.

٢- وبالتدبير ما يدل على تحرير العبد بوصية بعد موت سيده.

٣- أن يأتى السيد من جاريته بولد.

٤- المكاتبة بأن يكاتب السيد عبده بالاتفاق معه على مبلغ من المال.

٥- عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطار التى يكثر حدوثها فجعل كفارتها تحرير الرقيق، وجعله قربة كبيرة يتقرب بها العبد إلى ربه ويكفر بها خطاياه ، ومن ذلك : القتل الخطأ - والإفطار المتعمد فى رمضان - والحنث فى اليمن، وكفارة الظهار - ومن لم يملك عبدا لكفارته وجب عليه أن يشتريه ثم يعتقه، وهذا فى الكفارات فضلاً عن القربات.

وأما عن الجزئية الثانية: ماذا عن التسرى بملك اليمن الذى أباحه الإسلام، كما هو فى الاية: **﴿أوما ملكت أيمانهم﴾** فكما قال بعض الذين فى قلوبهم مرض من مستشرقين أو مستغربين أو ملحدين، يقولون كيف يبيح الإسلام نظام الجواري؟ وكيف يترك المجال للسيد أن يقضى وطره بعدد من النساء رغبة فى لذة الجنس وإشباع الشهوة؟ وقبل أن أجيب على هذه الشبهة التى يثيرها أعداء الإسلام حول نظام الجواري أريد أن أبين هذه الحقائق:

١- لا يجوز للمسلم أن يقضى وطره مع أية أسيرة من أسرى الحرب إلا بعد أن يقضي الحاكم باسترقاقهن.

٢- ولا يجوز للمسلم أن يقضي وطره بعد أن تصبح ملك يمين له.

٣- ولا تصبح الأسيرة بعد استرقاقها ملك يمين المسلم إلا فى حالتين:

الأولى: أن تصبح الجارية نصيبه من الغنيمة. والثانية: أن يشتريها من الغير إذا كانت مملوكة، وبعد أن تصبح ملكًا له، لا يجوز أن يمسها إلاّ بعد أن يستبرئها بحيضة على الأقل للتأكد من عدم الحمل، ثم يأتيها إن شاء، كما يأتى زوجته.

وبعد تبيان هذه الحقائق أجيب على هذه الشبة التي يثيرها أعداء الإسلام حول التسري بملك اليمين، فقد سبق أن ذكرنا أن الأَمَة حينما تكون مملوكة للمسلم يجوز لمالكها أن يعاشرها معاشرة الأزواج، فإذا ولدت له ولد أصبحت فى نظر الشرع "أم الولد"، وفى هذه الحالة يحرم على السيد أن يبيعها، وإذا مات ولم يعتقها فى حياته فإنها تصبح حرة بعد مماته مباشرة وكذلك يحق لها أن

تطالب بحريتها بنظام المكاتبة، وتصبح على مقتضاه حرة طليقة.

إذًا فالإسلام حين أباح للسيد نظام الجواري أراد من وراء ذلك الإحسان إليهن بالمعاملة، وتحريرهن من الاسترقاق، وأراد أيضا تخليصهن من التشرد والبغاء بينما كانت أسيرات الحرب فى الأنظمة الاجتماعية غير الإسلامية، يهوين إلى حمأة الرزيلة، ومستنقع الفاحشة بحكم أنه لا عائل لهن، ولأن سادهن لا يشعرون نحوهن بنخوة العرض، وحمية الشرف. بل كانوا يشغلون الأسيرات بعد استرقاقهن بمهنة الخنا والزنا ويتكسبون من ورائهن بهذه التجارة القذرة، تجارة الأعراض وانتهاك الحرمات!!.

لكن الإسلام العظيم المتحضر لم يقبل البغاء، ولم يسلك مع الإمام هذا المسلك القذر، بل حرص على سمعتهن وأخلاقهن، كما حرص على نظافة المجتمع من دنس الزنا، وتفشى الفاحشة والإباحة، فما وجد بدًا سوى أن يقصر هؤلاء الجواري على سيدهن فقط، عليه إطعامهن وكسوتهن وحفظهن من الجريمة وإرضاء حاجاتهن الجنسية وهو بالتالى يقضى منهن حاجته، وهذا عدا عن حسن المعاملة التى يلقينها حتى إذا أحسس من الداخل بحاجتهن إلى الحرية طالبن أسيادهن بمقتضى نظام المكاتبة الذى شرعه الإسلام، وإذا بقيت عنده وحملت أصبحت " أم الولد" وهى فى طريقها إلى التحرر، بل أصبحت بمثابة الزوجة بما تلقاه من حقوق وتكريم. فالإسلام إذن أباح للموالي أن يعاشروا من ملكت أيمانهم ليكون ذلك وسيلة إلى تحرير العبيد وعتق الرقاب، وقد استغل الإسلام فى ذلك ميول الغريزة للقضاء على روافد الرق وإشاعة الحرية بين الناس ولكى يتحقق هذا الغرض الإنسانى النبيل، على أتم صورة وأكمل وجه، أجاز الإسلام أن يتسرى السيد بجواريه بدون تقيد بعقد ولا

عدد، فلم يقيده بتعاقد ولا إيجاب ولا قبول، لأنه وسيلة تؤدي إلى حرية الجارية، وحرية جميع نسلها إلى يوم القيامة، ولا يصح أن تتوقف على رأيها ولا على قبولها. بل ينبغى أن تذلل سبلها أو تنتهز بمجرد إقدام السيد عليها.

وعدم تقيده بعدد كذلك لما هو واضح ومعلوم ، أنه وسيلة تؤدى إلى حرية الجوارى واتصال نسبهن بالسيد وحرية جميع نسلهن إلى يوم القيامة، لا يصح أن تقيد بعدد، لأن تقييدها بذلك معناه تقييد منافذ الحرية، والإبقاء على روافد الرق، بل إنه مما يتسق مع الغرض النبيل الذي يرمي إليه الإسلام ألاَّ تدخر وسيلة لإغراء الموالى باتخاذ السراري وللإكثار من عددهن لتشمل نعمة الحرية أكبر عدد ممكن، وليقضى على الرق فى أقصر وقت مستطاع.

ومن هذا يتبين فساد ما وجهه الفرنجة ونحوهم إلى نظام التسرى فى الإسلام من مآخذ، وتظهر لنا الأغراض الإنسانية السامية النبيلة التى قصد إليها الإسلام إذا أباح هذا النظام وإذ توسع فى إباحته، فلم يقيده بعقد ولا عدد.

وإن الذين يعترضون على هذه الأحكام بكل جراءة ظنا منهم أنها من مخترعات المشايخ المحترفين، كاذبون، لأن هذا أحكام رب العالمين، فى قرآنه المبين، لحكمة يعلمها الحكيم العليم ، وكل الذى نفعله أننا نبحث عن المقصود من وراء هذه الإباحة، وما هى الصورة المقررة فى الشريعة للانتفاع بها ؟[1].

---

(١) راجع هذه القضية بتوسع فى كتابنا "سماحة الإسلام".

"من أصحاب هذه الصفات"

قال تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٥٧ ، ٦١].

والفهم الخاطئ يتمثل فى أن فهمت هذه الآيات فى أناس من العصاه والمجرمين، ممن يأتون الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ثم يخافون الله عز وجل بسبب ذلك، وليس هذا هو حال المؤمن !!.

والفهم الصحيح أن الآيات تحدثنا عن صنف راقي من أهل الإيمان أو أهل الإحسان، فهم مع إحساهم وإيماهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكره هم، كما قال الحسن البصرى: إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإن الكافر جمع إساءة وأمنًا.

وهم أيضا يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية، فما كان منها أمرًا فهو مما يحبونه ويرضونه، وإن كان هميًا فهو مما يكرهونه ويأبونه، وإن كان خيرًا فهو حق ، ثم هم برهم لا يشركون ، ولا يعبدون معه غيره ، بل يوحدونه بكل صور التوحيد، ويعلمون أنه لا إله إلا الله، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأنه لا نظير له ولا كفء له، ولا شبيه ولا مثيل.

ثم هم يعملون الأعمال الصالحة وهم على وجل من الله، وخوف من عدم قبولها، ويعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم

أن يكونوا قصروا فى القيام بشرط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، ومصداق ذلك، ما رواه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « **يا رسول الله: ﴿الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة..﴾ هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو يخاف الله عز وجل** »[١].

وفى رواية الترمذى وابن أبى حاتم بنحوه، وقال « **لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألاَّ يُتقبل منهم** »[٢]،وهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات الإيمانية ﴿ **أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ فجعلهم من السابقين[٣]، فاللهم اجعلنا منهم، وأرزقنا الخوف والوجل منك، والذل لك، والعزة بك.

❖❖❖

(١) أخرجه الترمذي فى التفسير (٣١٧٥) وابن ماجة فى الزهد (٤١٩٨) وأحمد (١٥٩/٦) وصححه الألباني فى صحيح ابن ماجة برقم (٣٣٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي فى التفسير (٣١٧٥) وصححه الألباني فى السلسة الصحيحة برقم (١٦٢) وأخرجه أحمد (٢٠٥/٦).

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٢٤٨ بصرف.

آيات مظلومة من سورة النور

"هل حدود الله قاسية؟"

١- قال تعالى ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢ ، ٥].

والفهم الخاطئ فى شبهة أعداء الإسلام حول الحدود، وهنا جاء الحديث عن حد الزنا وحد القذف فقالوا: لماذا هذه القسوة فى الحدود، وربما بالغوا فى الإساءة فقالوا: ما هذه الوحشية والهمجية؟

والشبهة الأخرى فى فهم الآية الثانية أو عدم فهمها على وجهها الصحيح، حتى ظنوا أنه يحرم نكاح الزانية مطلقا؟ ومنهم من يسأل عن معناها وكيف لا ينكح الزاني إلا زانية أو مشركة، والعكس!!.

ثم نشرع فى الرد على تلك الشبهة فنقول - بادئ ذى بدء - إن الذى شرع هذه الحدود إنما هو الله تعالى، والذى يعترض على الحدود إنما يعترض على الله الذى حدها وفرضها، ويرفض حكمه، ويرد قوله، وأى كفر أبلغ من هذا؟ وأى أساءة أدب أبعد من ذلك؟ .

وأى قسوة فى الحدود؟ والذى حدها هو الذى خلق فعلم، فحد وحكم

فهو يعلم سبحانه ما يصلح الخلق **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** [الملك : ١٤] .

وهؤلاء الذين أنكروا تلك الحدود وعطلوا الشريعة، هل وجدوا الرحمة والرأفة والراحة فى غيرها، أم أن الأمور ازدادت همجية وقسوة ووحشية، وصار الناس كأنهم فى عالم الغابات، أو كأنهم انقلبوا إلى حيوانات، فترى الناس فى شهوانية حيوانية بغيضة، وقد كثر الزنا وانتشر الوباء وعم البلاء، فى ظل تعطيل شرع رب الأرض والسماء.

وكأن الذى يعترض على حدود الله التى سطرها فى قرآنه الكريم يقول: إن هذا القرآن ليس من عند الله، وإذا كان من عنده فهو لا يدري ما هي مصلحتنا، ولا يشرع ما يتفق مع أحوالنا..!!

وإن شرع الله ليس بالحدود وحدها، بل الحدود تأتى فى آخرها، حفاظًا على بنيان الإسلام المتكامل، وحارسة لشرع الله القويم، وقد طبقت فى مجتمع هذبه الإيمان واستيقظت فيه الضمائر، وصار يراقب الله تعالى وينفذ أحكامه ولا يتعدى حدوده، ففرضت الحدود فلم تجد أحد تقام عليه إلا ما ندر، لأن الله تعالى ما فرض الحدود فى الإسلام إلا بعد أن كان المجتمع طاهرًا نقيًا، ربته العقيدة وهذبته العبادة، وقد تربى على مراقبة الله، ومعرفة حدوده فجاءت الحدود و لم تجد من تقام عليه إلا فى حالاتٍ نادرة، إن حدثت تندر بها الناس لندرتها، وتفكه بها الناس لقلتها، لأن المجتمع صار مجتمعًا إيمانيًا، أما الذين يعترضون على الحدود الآن فلأنهم نظروا إلى واقعية المجتمع وما فيه من همجية وانحطاط وما انتشر فيه من وباء يوجب الحدود.

وكأهم نظروا إلى الكم الهائل الذى يمارس الزنا مثلاً، أو يقع فى القذف، وغير ذلك فرأوا أن المجتمع سيصير مجتمعًا مشوهًا عاطلاً ما بين مرجوم أو مجلود، أو مقطوع أو غير ذلك.

وعدوا ذلك بالمئات والآلاف ،فاستعظموا الحدود واسترهبوها واستفظعوها ، ولو أدركوا أن شريعة الله جل وعلا ربت مجتمعًا أحيت فيه الضمائر بحيث لا يؤتى بالناس لإقامة الحدود، يدفعون إليها دفعًا، وإنما كان الواحد يذهب لإقامة الحد عليه بكامل رغبته وتمام إرادته، وهذه نقطة جوهرية، وفارق كبير.

إنها الضمائر الحية التى جعلت الرجل منهم أو المرأة يتقدم بُخطى ثابتة يريد إقامة الحد عليه، لأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، ورضيَّ الله عن ماعز، والغامدية، وقد زنيا، وما اعترف عليهما أحد وإنما جاءا طوع إرادهما ، مراقبةً لله عز وجل ، واستهانةً بعذاب الدنيا ، وكل منهما يذهب إلى النبي ﷺ ويعرض عنه، ويرده، ويأبى كل منهما إلا أن يطهره رسول الله ﷺ بإقامة الحد عليه.

وفى السنة المطهرة: جاء ماعز إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله طهرنى، فإنى قد زنيت، فأعرض عنه النبى ﷺ فجاءه من قبله، وقال يا رسول الله طهرنى فإني قد زنيت، حتى فعل ذلك أربع مرات، فقال النبى ﷺ: لعلك لمست أو قبلت أو فخذت؟ قال: بل زنيت، فقال: أتدرى ما الزنا؟ قال. نعم أن يأتي الرجل امرأة فى الحرام كما يأتيها زوجها فى الحلال، فقال النبى ﷺ: أبه جنون؟ قالوا: لا، قال: هل شرب مسكرًا ؟ فقاموا واشتموا فمه، فقالوا:

لا، فأمر به ﷺ فرجم"[١]

وهذه الغامدية قد جاءت النبي ﷺ، وقالت يا رسول الله طهرنى، فأعرض عنها النبي ﷺ فقالت يا رسول الله : لعلك تردني كما رددت ماعزًا، يا رسول الله طهرني من الزنا، فلما علم النبى أنها حامل ردها حتى تضع، فلما وضعت جاءت فقالت يا رسول الله : إنى وضعت فطهرنى، فأمرها ﷺ فقال عودي حتى تفطميه، فعادت وقد جاءت به وفى يده كسر خبز، فأقام النبى ﷺ عليها الحد، ولما سبها أحد الصحابة، قال ﷺ : لا تسبها، فو الله لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين أو على أهل المدينة لوسعتهم"[٢].

فهكذا الإسلام بنى أمة، وربى ضمائر، وأيقظ نفوسًا، وأحيى مجتمعًا يرضى بحكم الله ، ويستسلم لأمره ، ويُقبل طواعية على حكم ربه، راضيةً نفسه ، مطمئنًا قلبه.

إن الإسلام ليس مشتاقا للدماء، وليس حريصًا على إقامة الحدود، أيا كانت تلك الحدود، والنبى ﷺ قد وضع قاعدة عريضة "أدرءوا الحدود بالشبهات" فأى شبهة تمنع إقامة الحد وأيضا قاعدة أخرى فى التثبت يقول ﷺ : "لأن يخطئ الإمام فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة"

والحديث يقول : « **إدرءوا الحدود بالشبهات، فإذا وجدتم له مخرجا فخلوا سبيله، ولأن الإمام أن يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة** »[٣].

---

(١) أخرجه مسلم فى الحدود (١٦٩٥) والبيهقي فى السنن الكبرى (٨٣/٦) وعبد الرازق فى المصنف (١٢٣٤٢) والدار قطنى (٩٢/٣).

(٢) أخرجه مسلم فى الحدود (١٦٩٦) والبيهقى فى السنن الكبرى (٢٢١/٨) وأحمد (٣٤٨/٥).

(٣) أخرجه الترمذي فى الحدود (١٤٢٤) والبيهقى فى السنن الكبرى (٢٣٨/٨) والدار قطنى (٨٤/٣).

إن الإسلام الذى أوجب الحد على الزاني جلدًا أو رجمًا لابد فيه من واحد من إثنين إما الاعتراف على نحو ما ذكر عن "ماعز والغامدية"، وأما شهادة أربعة شهود عدول ، ويشهدون الواقعة رأى العين، على نحو ما ذكر فى كتب الفقه، الرجل مع المرأة وهو يمارس الفاحشة، وقد شاهدوه كما يكون القلم فى المحبرة أو المرود فى المكحلة، ثم يتطابق كلام الأربعة، لا يختلف منهم أحد ، ومثل هذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا افترش رجل امرأة فى حديقة عامة أمام الناس حتى تتوفر كل هذه الشروط، والتى يندر – إن لم نقل – لا يمكن أن تتحقق!.

حتى قال البعض: إنما شرع الإسلام حد الزنا إرهابًا، لأنه لا يمكن وقوعه بمثل هذه الشروط أى ما لم يكن الإعتراف، فشهادة الشهود بعيدة، وإنما أراد الإسلام الستر، والذي يستقرئ التاريخ يجد أن كل ما أقيم من الحدود كان اعترافًا، ويندر ما كان بشهادة الشهود، وإقامة الحد لطهارة المجتمع، وهو آخر العلاج، وإلا فالإسلام حارب الزنا وحرم كل مقدماته وأغلق كل نوافذه، ومنع كل ما يؤدى إليه، وفتح باب الحلال من الزواج ونكاح ملك اليمين، قال تعالى: **﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾** [الإسراء: ٣٢].

وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾** [المؤمنون : ٥ ، ٧].

وقد حرص الإسلام على ألاَّ يقام حد إلا بحق، ولما قرر الإسلام حد القذف فى الآية الكريمة **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [النور : ٤ ،٥]. فكون الإسلام يجعل حد القاذف ثمانين جلدة، ويبطل شهادته، ولا يجعل له مكانة فى المجتمع، محكومًا عليه بالفسق ، فهذا الحد يبدو فيه صعوبة، ولكن تخيل لو لم يشرع الإسلام حد القذف ، فكيف يكون حال المجتمع ، وقد سلطت الألسنة على الأعراض ، واقهم كل واحد الآخر وليس ثمة شيء يردعه، فمن يأمن على عرضه فى المجتمع؟!.

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [النور : ١٩ ، ٢٠] كما شرع الله اللعان لمن قذف زوجته.

إن الذى ينظر إلى الحدود ويعلم حكم الله فيها يرى جمال أحكام الله عز وجل، ولكن الذين يعترضون إنما يبغون أحكاما جاهلية، وهم المعنيون بقول الله تعالى: **﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾** [المائدة : ٥٠] لا أحد.

فهذه لمحات وإرشادات سريعة عن الحكمة فى حدين من حدود الله (الزنا والقذف)

وهذا حكم الله الذى علم فحكم، وما أسعد الدنيا إذا عادت إلى شرع الله، وطبقت أحكام الله، فياليت قومي يعلمون.

"هل يحرم نكاح الزانية"؟

وأما قوله تعالى: ﴿ **الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور : ٣] فليس على نحو ما ذهبوا إليه من تحريم نكاح الزانية مطلقًا، أو إباحة أن يتزوجها مشرك، وهى مسلمة لكنها زانية، وكذا يقال بالنسبة للزاني ، معناه لا يتزوج إلا زانية وتحرم عليه العفيفة، ولا ينكح إلا مشركة مع أنها محرمة ﴿**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن**﴾ [البقرة : ٢٢١] وإنما الآية الكريمة فيها إخبار من الله تعالى بأن الزانى لا يطأ إلا زانية أو مشركة أى لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية او مشركة لا ترى حرمة ذلك، وكذلك الزانية لا ينكحها إلا زان أى عاص بزناه، أو مشرك لا يعتقد تحريمه.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال فى الاية: ليس هذا بنكاح، إنما هو الجماع لا يزنى بها إلا زان أو مشرك، وهذا بإسناد صحيح عنه، وقد روى عنه من غير وجه أيضا، ونحو ذلك عن مجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعروة بن الزبير والضحاك ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد.

وقول تعالى ﴿**وحُرم ذلك على المؤمنين**﴾ أى تعاطيه والتزوج بالبغايا، أو تزويج العفائف بالرجال الفجار، أو هو أن الله حرم الزنا على المؤمنين، وأما بالنسبة للتزويج، فقد ذهب الإمام أحمد بن جنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب، وإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا، وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة، لقوله تعالى ﴿**وحرم ذلك على المؤمنين**﴾ [1] ا.هـ.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ، صـ ٢٦٢ بتصرف .

"ما معنى فعل الشرط؟"

٢- قال تعالى: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٣٣].

والفهم الخاطئ يتمثل فى سؤال عن الحكمة فى قوله تعالى: **﴿إن اردن تحصنا﴾** فهل يفهم منه أهن إن لم يردن تحصنا، فإنه يجوز ذلك لهن، ويحق لمولاها أن يكرهها على البغاء؟!.

فنقول: إنما يؤتى الإنسان من قبل فهمه البليد، وجهله بأساليب لغة العرب، فهذه الجملة **﴿إن أردن تحصنا﴾** وقالوا: خرجت مخرج الغالب فلا مفهوم له، ونقول بل خرجت مخرج التشنيع على أصحاب ذلك، فالأمة تريد التحصن وتأبى الزنا وسيدها يجبرها عليه، بغية عرض من الدنيا حقير، لأنه لو وافق أمره رضاها فالأمر فى ظاهره يسير، أما وأنها تبغض ذلك وترفضه، ويصر المولى عليه، ويضربها لترضى، فتلك شناعة مابعدها شناعة، وجرم فاق حدود الإنسانية، وليس الزنا كالاغتصاب مثلاً، والآية الكريمة تبين صورة من صور الجاهلية المتكررة، أن السيد إذا كان له أمة أرسلها تزنى وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، فلما جاء الإسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك.

وكان سبب نزول الآية الكريمة، فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف، فى شأن "عبد الله بن أبي بن سلول" فإنه كان له إماء فكان يكرهن على البغاء طلبًا فى خراجهن ورغبةً فى أولادهن ورياسة منه فيما

يزعم، ولقد كان يضربهن على ذلك ، وإن جارية منهن أقبلت على أبي بكر فشكت إليه ذلك فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فأمره بقبضها، فصاح "عبد الله بن أبي"، من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا، فأنزل الله فيهم هذا، وإن كانت الآية أعم لتكرار مثل ذلك من أمثال ابن سلول[١].

❖❖❖

(١) أنظر تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ١١٨، ٢٨٩ .

آيات مظلومات فى سورة الفرقان

"كيف يحشر الكفار على وجوههم؟"

قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [الفرقان :٣٤] .

قالوا: كيف يحشرون على وجوههم؟!.

والجواب: إن الله سبحانه وتعالى يخبر عن سوء حالة الكفار فى معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم فى أسوأ الحالات وأقبح الصفات بحيث يحشرون على وجوههم بدلا من أقدامهم، ولكن كيف؟.

جاء فى الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟.

فقال « **إن الذى أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة** »[1].

وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين[2].

وفى الحديث أيضًا الذى رواه الإمام أحمد عن حذيفة بن أسيد قال: قام أبو ذر فقال يا بنى غفار، قولوا ولا تحلفوا، فإن الصادق المصدوق حدثنى أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج، فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج

---

(١) أخرجه البخاري فى التفسير (٤٧٦٠) ومسلم فى المنافقين (٢٨٠٦) وأحمد (٢/٣٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٣١٨ بتصرف.

يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى الناس، فقال قائل منهم: هذان فقد عرفناهما، فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال: "يلقى الله عز وجل الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهره، حتى إن الرجل لتكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها"(١).

وهو كقوله تعالى: **﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُماً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾** [الإسراء : ٩٧] .

أى عميان لا يبصرون، وبكمًا لا ينطقون، وصمًا لا يسمعون، وهذا يكون فى حال دون حال، جزاء لهم كما كانوا فى الدنيا بكمًا وصمًا عن الحق فجوزا فى محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه(٢).

﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ (٣) .

❖❖❖

(١) أخرجه النسائى فى الجنائز (٢٠٨٥) وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (٧٣٩/٤) والهندي فى الكنز (٣٨٩٣٢) .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٦٥ بتصرف.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٦٥ بتصرف.

آيات مظلومة فى سورة الشعراء

"ما هى خطيئة إبراهيم؟"

قال تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام ودعائه: ﴿ **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** ﴾ [الشعراء : ٨٢].

والفهم الخاطئ حول معنى خطيئة إبراهيم عليه السلام، ما هى؟ وكيف تقع من إبراهيم عليه السلام وهو المعصوم؟!.

والحق أننا لا نعرف لإبراهيم خطيئة، والذى نعلمه أن الله قد اتخذه خليلاً، وأضفى عليه من صفات الكمال ما هو خليق به، كما قال: ﴿ **وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [البقرة : ١٣٠].

كذلك قال عنه: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٠ ، ١٢٢].

إذًا فطلبه من الله أن يغفر له خطيئته ليست خطيئة بالمعنى الذى يتبادر إلى الذهن، وإنما هى ما يستشعره فى نفسه من قصور فى تفانيه فى الله، وأداء رسالته، نظرا لمكانته السامية، ومنزلته الرفيعة.

وأما ما ورد بشأن ما سمى بكذبات إبراهيم عليه السلام، فقد علمت أنها ليست من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله، حاشا وكلا، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزًا، وإنما هو من المعارض فى الكلام لمقصد شرعي دينى،

كما جاء فى الحديث «**إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب**»[(١)] وكما جاء فى الحديث أيضا: «**كلمات إبراهيم عليه السلام الثلاث التى قال ، ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى**»[(٢)] أى دافع بها عن دين الله.

فقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ قد سبق الكلام عنه فى تفسير الآيات المفهومة خطأً فى سورة الأنبياء ، وسنشير إلى قوله ﴿**إنى سقيم**﴾ وقوله لسارة «إنها أختى » فى موضعه إن شاء الله تعالى.

❁❁❁

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (١٠/١٩٩) والقضاعى فى مسند الشهاب (١٠١١) وابن عدى فى الكامل (٣/٩٦) .

(٢) رواه ابن حاتم عن أبى سعيد، وقد سبق تخريجه .

آيات مظلومة من سورة النمل

"ما هى هدية (بلقيس) ملكة سبأ"؟

١- قال تعالى: على لسان ملكة سبأ - ﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [النمل : ٣٥].

هذا ومن الفهم الخاطئ فى هذه القصة ما ذكر فيها من إسرائيليات، لا تليق بنبي الله سليمان عليه السلام، حيث ذكر كلام عن هدية بلقيس ملكة سبأ لسليمان كله عجائب وغرائب، وقد استغرق صفحات مطولة فى كتب التفسير، وأتعب المفسرون فيه أنفسهم، فمن قائل أنها كانت مائة وصيف ومائة وصيفة أى بالغوا الحسن والجمال، ومن قائل بل كانوا أربعمائة، ويقول آخر : لا بل كانوا ألفًا من الجواري ، وألفًا من الغلمان، وألف وصيف وألف وصيفة، وقد ألبست الغلمان لباس الجواري، وألبست الجواري لباس الغلمان، وقالت لسليمان: إن كنت نبيًا كما تقول، ففرق بين الذكور والإناث أو بين الجواري والغلمان! .

وذكروا أنه كان معهم لبنة من ذهب أو علبة، واشترط على سليمان أن يقول ما بداخلها قبل فتحها .. الخ ما ذكروه من التخريف والظن.

وذكروا فى قصة بناء الصرح العجائب، حيث قالوا مما قالوه: بناه لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل أمامه حوالى تسعين فرسخا من ذهب وفضة، وجمع الإنس فى فرسخ، والجن فى فرسخ، والطير والحشرات كلهم صفوفًا صفوفًا، وجلس فى مقدمة الصرح إلى أن قَدِمَ الرسل من قبل "بلقيس"

يحملون الهدية، فلما رأوا هذا الملك والعظمة ألقوا بهديتهم، وعادوا يحدثون بلقيس عما رأوا.

وجاءت بلقيس و ﴿ **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا** ﴾ [النمل : ٤٤] وهنا ذكروا بقية خرافاتهم ، قالوا لما كشفت بلقيس عن ساقيها ورأى جمال ساقيها غير أنها كانت مشعرة، لها شعر كشعر الجديان، فحزن سليمان واهتم لذلك فأشاروا عليه بحلقه بالموسي، فقالت بلقيس : لا والله ما يجرى عليه الموسي، ثم استدعى الجن الذين حلوا له المشكلة بأن صنعوا له النورة التي أزالوا بها شعر بلقيس ، ليتزوجها سليمان ويتمتع بها وبجمالها!![1].

أنها حكايات تشبه أفلام اليهود فى عصرنا الحاضر، وخرافات تحاكي أساطير اليونان فى العصر الغابر، ويكفي فى فضح الباطل عرضه! ولقد أردنا الإشارة إلى أن هذا من الإسرائيليات التي لا يجوز نشرها، ولا ذكرها إلاَّ مع التنبيه عليه، ولها بقية أخرى تأتي فى مكانها إن شاء الله.



(١) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير د/ محمد بن محمد شبهة صـ ٣٠٠ (بتصرف).

"من الذى عنده علم من الكتاب"؟

٢- قال تعالى: **﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾** [النمل : ٤٠].

والفهم الخاطئ يتمثل فيما ذهب إليه جمهرة من المتصوفة ومن على شاكلتهم مذاهب حول معنى **﴿الذي عنده علم من الكتاب﴾** فراحوا يقولون: هو "الخضر" صاحب الحقيقة، والعلم اللدنى، والذي هو - عندهم- حى يرزق.

وقالوا: هو آصف بن برخياء، وكان صدِّيقًا يعلم الإسم الأعظم، وقالوا: كان مؤمنًا من الإنس، واسمه "آصف" أو هو آصف كاتب سليمان، كما قيل كان اسمه أسطوم، أو بلخيا، أو ذو النور، وغير ذلك. وهذا المعنى الذى ذهبوا إليه أرادوا به الإنتصار لما يعتقدونه فى الحقيقة التى تخالف الشريعة وما توارثوه من خرافات لمشايخهم ظنوها من قبيل الكرامات للأولياء.

ولماذا ندهب بعيدًا ونحن مع نبي من أنبياء الله أيده الله بالمعجزات الباهرة، وأعطاه من الملك ما لم يعطه لأحد قبله، ولا يكون لأحد بعده، وسخر له جنودًا من الجن والإنس والطير فهم يوزعون، أفغريب على من كان هذا شأنه أن تكون له معجزة يسيرة مثل نقل عرش ملكة سبأ "بلقيس" إليه فى لمح البصر، وهو الذى سخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين فى الأصفاد، وهو الذى يأتيه

الملك من السماء إلى الأرض فيما لا زمن، فما الغرابة فى ذلك؟

وقد ثبت أن سليمان عليه السلام دعا ربه أن يأتيه بعرش بلقيس، وكان فى اليمن، وسليمان عليه السلام ببيت المقدس، فإذا به لم يشعر إلا وعرشها يحمل بين يديه .

وأغلب الظن - والله أعلم - أن الذى حمله هو جبريل عليه السلام الذى عنده علم من الكتاب، وقد منحه الله القوة فهو ﴿**شديد القوى**﴾ [النجم : ٥].

وهو المشار إليه فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[الرعد : ٤٣].

✿✿✿

آيات مظلومة من سورة القصص

"هل قتل موسى نفسًا بغير حق؟"

١- قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥، ١٦].

والفهم الخاطئ تمثل فى شبهة حول موسى عليه السلام أنه قتل نفسا بغير حق، مما يتنافى مع العصمة.

والجواب على ذلك. أن موسى عليه السلام لم يقتل، وإنما أراد أن يفض النزاع، فوكز المعتدى وكزة كانت القاضية عليه، فندم على فعلته وعدها من عمل الشيطان واستغفر ربه عما ارتكب وتضرع إليه أن يتوب عليه، وألاَّ يجعله مساعدًا للمجرمين، فغفر له وتاب عليه.

والوكز فى اللغة هو الضرب بجمع الكف، فقد وكزه موسى ولم يرد قتله.

هذا مع العلم بأن موسى لم يكن نبيًا ولا رسولاً حين وكز خصمه، ثم هو من جنس القتل الخطأ، كما أن الذى قتله موسى لم يكن مؤمنًا بل كان كافرًا مشركًا بالله العظيم، ولكفره كان مستحقًا للقتل، فماذا فى هذا مما يتنافى مع العصمة؟!

"ما معنى (ولا تنس نصيبك من الدنيا)؟"

٢- قال تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ** ﴾ [القصص : ٧٧].

والفهم الخاطئ تمثل فى قوم استشهدوا بجزء من الآية وهو ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ وتركوا بقيتها، فنسوا نصيبهم من الآخرة، وكلما وعظت أحدهم أو ذكرت الآخر وقد ترك طاعة أو وقع في معصية - قال لك: ﴿**ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾!.

وقد نسي نصيبه من الآخرة تمامًا، أو قال لك "ساعة لقلبك وساعة لربك"!.

فى الوقت الذى جعل كل الساعات لقلبه، وجعلها في حرام لا فى طاعة الله ولا مباح أو حلال!!.

والفهم الصحيح للآية ببساطة - هو تلاوة الآية كاملة، مع تدبرها، دون أن يكون فى النفس غرض، أو فى القلب مرض، يتضح لك أنه مطلوب من المسلم أن تكون الآخرة أكبر همه، ومبلغ علمه ومراده، وأن كل ما آتاه الله وأنعم عليه به يجب أن يقدمه أمامه فى آخرته، ويدخره فهو الباقي ، وفى ظل انهماكه بالآخرة وبأعمالها والاجتهاد فى ذلك بكل ما يستطيع، لا ينس نصيبه من الدنيا فى صورة لقيمات يأكلها، أو تمرات يتناولها، أو شربة ماء بارد يشربها، وكذا زوجة يداعبها، وأولادًا يلاعبها، ونحو قوس يرميها،

وفرس يركبها، وأمثال ذلك من المباحات فهذا نصيبه فى الدنيا، والذى يجب أن يحسن فيه، وأن يتجنب كل صور الفساد، فقوله سبحانه وتعالى **﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** تُقال لمن زهد فى الدنيا فأراد ترك ما فيها، وحرم على نفسه طيباتها، أو كان على شاكلة النفر الذين سألوا عن عبادة النبى ﷺ فلما أُخبروا عنه كأنهم تقالوها ، ثم قالوا: ولم لا ؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ثم قال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثانى: وأما أنا فأقوم الليل ولا أنام أبدًا، وقال الثالث: وأما أنا فلا أتزوج النساء أبدًا، فلما سمع النبى ﷺ بما قالوا، جمع لذلك الناس وعلمهم درسا فى وسطية الإسلام، وعدم تحريم الطيبات، والاعتدال فى كل شيء فقال ﷺ: « **أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم لله، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى** »[(١)].

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ تقال لأبي الدرداء رضيَّ الله عنه وأمثاله، وقد زاره أخوه سلمان فرأى زوجته وهى بثياب رثة - تحاكي حال أرملة فى عدة وفاة زوجها - وسألها عن حالها، ولماذا هى بتلك الحالة؟ فقالت: أخوك أبو الدرداء لا يريد من الدنيا شيئا!.

فلما خرج أبو الدرداء إلى سلمان ورحب به،وقد جاءه بطبق تمر فقال له: كل، فقال سلمان: وأنت؟ قال: أصبحت صائما، فقال سلمان: لا آكل حتى تأكل معي ، فأفطر معه، فلما كان الليل، وافترش أبو الدرداء فراشًا لسلمان لينام، وقام أبو الدرداء يقوم الليل، فقال له سلمان: نم يا أبا الدرداء

---

(١) أخرجه البخاري فى النكاح (٥٠٦٣) ومسلم فى النكاح (١٤,١) والنسائى فى النكاح (٣٢١٧).

فنام ، ثم قام بعدها فأراد أن يصلى، فقال له سلمان: نم يا أبا الدرداء، حتى كان الثلث الأخير من الليل، وأراد أبو الدرداء أن يقوم، فقال له سلمان: الآن قم وأقوم معك، ثم قال سلمان: يا أبا الدرداء:« **إن لربك عليك حقًا، وإن لبدنك عليك حقًا،وإن لأهلك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه**» فلما صلى أبو الدرداء مع رسول الله ﷺ الفجر، أخبره بما فعل سلمان وبما قال فقال النبى ﷺ: «**صدق سلمان..**»[١].

إن قوله ﴿**ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ تقال لهؤلاء وأمثالهم، ولا تقال لرجل أخذ يجمع الدنيا من حلالها وحرامها، ولا تقال لرجل قصَّرَ فى طاعة الله، وترك الصلاة، فيقال له: قم للصلاة ، فيأبى أن يترك عمله أو يغلق حانوته ، أو نحوه وهو يقول : ولا تنس نصيبك من الدنيا. فهذا نقول له: فلِمَ نسيت نصيبك من الآخرة؟

وهذا وأمثاله الذين نسوا الآخرة يُذكرون بأول الآية ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة**﴾ إن الإسلام جمع لنا بين الدنيا والآخرة ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [البقرة : ٢٠١] فهى ليست على النقيض من الآخرة على نحو ما صورها اليهود والنصارى بل من رحمة الله أنه جمع لنا بينهما، على نحو ما فى هذه الآية وغيرها، والدعاء القرآنى السابق، ولكن نعلم أن الدنيا لها قدرها، والآخرة لها قدرها، فنعمل لكل منهما على قدرها، وكما قيل: لئن كانت الدنيا ذهبًا فانيًا،والآخرة خزفًا باقيًا، لآثر الناس الخزف الباقى عل الذهب الفاني، فكيف والدنيا هى الخزف

---

(١) رواه البخاري برقم ١٩٦٨، ورقم ٦١٣٩.

الفاني، والآخرة هى الذهب الباقي، بل الدنيا أقل من أن تكون خزفًا، والآخرة أجل من أن تكون ذهبًا، ولكنه ضرب المثل. ولذلك فالدنيا لا تحتاج منا أكثر من المشى وأخذ الأسباب لتحصيل الرزق، مع النجاة والبعد عن الهلكة، قال تعالى: **﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾** [الملك : ١٥].

وأما الآخرة فهى على قدرها - تحتاج إلى سعي وسرعة وسبق واستباق وتنافس وفرار أيضًا.

أما السعى، فقد قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾** [الجمعة : ٩] .

والسرعة: **﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾** [آل عمران : ١٣٣].

والسبق: **﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾** [الحديد : ٢١].

والاستباق: **﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾** [المائدة : ٤٨].

والتنافس: **﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾** [المطففين : ٢٦].

ويصل الأمر إلى أوج عظمته: **﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾** [الذاريات: ٥٠].

قال ابن كثير - رحمه الله - إذ قال له قومه - والكلام عن قارون كما

هو معلوم - لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين، أى وعظه فيما هو فيه صالحو قومه فقالوا على سبيل النصح والارشاد لا تفرح بما أنت فيه، يعنون لا تبطر بما أنت فيه من المال، إن الله لا يحب الفرحين، قال ابن عباس: يعني المرحين، وقال مجاهد: يعنى الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، وقوله ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ أى استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة فى طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التى يحصل لك بها الثواب فى الدنيا والآخرة ﴿**ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ أى مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فآت كل ذي حق حقه، ﴿**وأحسن كما أحسن الله إليك**﴾ أى أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك، ﴿**ولا تبغ الفساد فى الأرض**﴾ أى لا تكن همتك بما أنت فيه تفسد به فى الأرض وتسيء إلى خلق الله ﴿**إن الله لا يحب المفسدين**﴾ [١].

❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٣٩٩ .

من سورة العنكبوت

"هل فى القرآن تناقض؟"

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٢ ، ١٣].

والفهم الخاطئ هو السؤال عن قوله تعالى: ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ﴾ .

مع قوله تعالى ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ فكيف يحملون، وفى الوقت نفسه: وما هم بحاملين؟.

ثم كيف يتفق قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ مع قوله ﴿ولا تزر وازة وزر أخرى﴾؟!

والجواب ، نقول: ليس هناك ثمة تعارض فى الحالتين. فبالنسبة للجزئية الأولى: يخبر الله تعالى عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى: ارجعوا عن دينكم إلى ديننا، واتبعوا سبيلنا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ أى وآثامكم إن كانت لكم آثام فى ذلك علينا، وفى رقابنا، كما يقول القائل: افعل هذا وخطيئتك فى رقبتي ، فقال الله تعالى تكذيبًا لهم ﴿ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي فيما قالوه إنهم يحتملون عن أولئك خطاياهم، فإنه لا يحمل أحد وزر أحد، كما قال تعالى ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾

[فاطر : ١٨] وقال تعالى: **﴿وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾** [المعارج : ١٠ ، ١٨].

إذًا فهم على الحقيقة لا يحملون شيئًا من أوزار الضالين أو من حاولوا إضلالهم، ولا يخفون عنهم.

وفى نفس الوقت - وهنا يأتى الكلام عن الجزئية الثانية – لمـَّا كانوا هم ضلوا في أنفسهم، وقاموا بإضلال غيرهم، فلم يستووا فى ميزان الله بمن ضل فقط، فالذى يضل فقط عليه وزره، وأما الذى ضل وأضل، فهذا يحمل وزره أى وزر ضلاله، ثم يحمل كفلاً من إضلال غيره، وهو الذى قال الله: **﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾** فهو إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة إنهم يحملون يوم القيامة أوزار أنفسهم وأوزار أُخر، بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئًا، على نحو ما بيناه عند قوله تعالى **﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾** [النحل : ٢٥].

وفى الصحيح قال رسول الله ﷺ: « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئا** »[١].

---

(١) رواه مسلم : كتاب العلم . باب من سن سنة حسنة أو سيئة (٢٦٧٤).

وفى الصحيح أيضا «**لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل**»[١].

ثم قال تعالى: ﴿**وليُسألُن يوم القيامة عما كانوا يفترون**﴾ أى يكذبون ويختلفون من البهتان.

هذا ومن صور ومشاهد يوم القيامة لحمل أثقال الغير مع أثقال النفس ما جاء فى الحديث عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغ ما أرسل به، ثم قال« **إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول: وعزتى وجلالى لا يجوزني اليوم ظالم، ثم يناد مناد فيقول: أين فلان ابن فلان؟ فيأتى يتبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الرحمن عز وجل: ثم يأمر المنادي فينادي من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان، فهلم فيقبلون حتى يجتمعوا قيامًا بين يدى الرحمن، فيقول الرحمن: اقضوا عن عبدي ، فيقولون: :كيف نقضي عنه؟ فيقول: خذوا لهم من حسناته، فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة، وقد بقى من أصحاب الظلامات، فيقول: اقضوا عن عبدي، فيقولون: لم يبقى له حسنة، فيقول: خذوا من سيئاهم فاحملوها عليه، ثم فزع النبى ﷺ بهذه الآية الكريمة** : ﴿**وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم**

---

(١) رواه البخاري (٣٠٧٧) .

القيامة عما كانوا يفترون﴾ »[١] .

وهذا الحديث له شاهد فى الصحيح من غير هذا الوجه « **إن الرجل ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا، وأخذ من عرض هذا، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإذا لم تبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه** ».

❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٤٠٦ بتصرف، والحديث صحيح بطرقه . أخرجه ابن كثير من طريق أبى حاتم (٥٣٤/٣) من حديث أبى أمامة بسند حسن ، وللحديث شاهد صحيح فى صحيح مسلم فى كتاب البر والصلة والأدب باب تحريم الظلمة برقم (٣٥٨١).

من سورة الروم

"هل الموتى يسمعون؟"

قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [الروم : ٥٢]

والشبهة : كيف يقول الله تعالى فإنك ﴿**لا تسمع الموتى ..**﴾ والنبي ﷺ يقول عنهم « **ما أنتم بأسمع منهم** » .

ففى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ وقف على قليب بدر - بئر - فنادى عليهم بعد أن قُتل المشركون، فقال « **يا عتبة ويا شيبة ويا فلان ويا فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فقالوا يا رسول الله: أيسمعون؟ قال: ما أنتم بأسمع منهم، وفى رواية إنهم ليسمعون كما تسمعون**»[1] قالوا: فكيف يتفق هذا مع ذاك، ومع قول الله تعالى أيضا ﴿ **وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي القُبُورِ** ﴾ [فاطر : ٢٢] والإجابة على هذا الفهم الخاطئ: بأن الآية قد جاءت على سبيل التشبيه والكناية، فقد شبهت الكافرين أو المشركين بالموتى أهل القبور، فكما لا يرجى من الموتى شيء فلا يرجى من الكفار شيء، وإن كنت - يا محمد - إنما تريد هدايتهم، ولكنهم صموا آذانهم عن الحق، وأغمضوا أعينهم عن الهدى، فلا يريدون رؤية هدى، ولا سماع حق، ولا معرفة السبيل، فهم كالأموات، تحدثهم فلا يسمعون، لذلك شبههم بالأموات فى عدم استجابتهم، وكأنهم صاروا من أهل القبور.

---

(١) رواه البخاري كتاب الجنائز. باب ما جاء فى عذاب القبر برقم (١٣٧٠ ، ١٣٧١). ومسلم كتاب الجنائز. باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه برقم (٩٣٢).

إذًا فالحديث صحيح، ولا تعارض بينه وبين الآية، لأنه بيَّن أن الموتى يسمعون، لكنهم لا يستطيعون جوابًا، أو لا نسمع نحن الأحياء جوابهم.

وأما الأية فقد جاءت على سبيل التشبيه وهذا فى القرآن الكريم ، كقوله تعالى: **﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾** - أى لا يستوى الكافر والمؤمن - **﴿ولا الظلمات ولا النور﴾** - أى الكفر والإيمان - **﴿ولا الظل ولا الحرور﴾** - أى الجنة والنار - **﴿وما يستوى الأحياء والأموات﴾** - أى أهل الإيمان وأهل الكفر، ثم عقب ذلك بقوله: **﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾** [فاطر : ٢٢].

وأما أهل القبور - على الحقيقة - فإنهم يسمعون ويحسون، ويتنعمون ويعذبون، وذلك أمر قطعى متواتر، فأهل الإيمان ينعمون ومثالهم الشهداء **﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾** [آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠] وأهل الكفر يعذبون، ومثالهم قوم فرعون: **﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾** فأناس هذا حالهم يسمعون، وأما الكفار فقد صموا آذانهم فهم لا يسمعون .

❁❁❁

من سورة لقمان

"هل فى القرآن هفوات؟"

قال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ [لقمان : ١٤] .

الفهم الخاطئ تمثل فى شبهة زج بها المستشرقون فقالوا: كيف أوصى الله ببر الوالدين، ثم خصص الحديث عن الأم دون الأب، فلماذا؟ وقد تحدثت الآية عن حمل ورضاعة وفطام، فلمن توجه الحديث، الجنين لا يعقل ، أم تخاطب طفلاً لا يفهم، أم تخاطب إنسانًا بعد أن يكبر وهو لا يذكر عن حمله وولادته ورضاعته شيئا، فما الحكمة إذًا؟! .

والإجابة على ذلك، نقول : إن الله عز وجل أمر ببر الوالدين، وذلك متكرر فى القرآن، وهنا خص الأم وحدها بالتفصيل فذكر أمورًا غير مرئية وغير منظورة فى حياة الإنسان، إذ الواحد منا لا يذكر مدة حمله، ولا يذكر تعب أمه عند ولادته، ولا يذكر فترة رضاعته، ولكنه إذا تجاوز هذه المرحلة وبدأ يمشى ويتكلم واحتاج إلى هديه ومصروف ونحو ذلك، وجد الأب يلبي له رغباته، وإذا احتاج إلى مطعم أو مشروب أو ملبس، فالأب هو الذى يشترى له، ويريد سفرًا وفسحة، ونفقة، فيجد الأب هو صاحب كل ذلك، فضلاً عن تعهده وتربيته، فهذه جوانب منظورة ومرئية فى حياة الأولاد، وهذا قد يترتب عليه أن الأبناء سيذكرون كل فضل للأب، ويعظم تعلقهم بالأب دون الأم، ويزيد حبهم لأبيهم عن أمهم، وهذا معناه أن الأب سيصير

كل شيءٍ فى حياة الأبناء ، وأما دور الأم فقد صار نسيًا منسيًا فى حياة الأولاد، وما يذكرون حملاً ولا وضعًا ولا رضاعة، وهذه الثلاثة اختصت بها الأم دون الأب، فضلاً عن مشاركة الأب فى تربية الأبناء، وقد تعبت وسهرت، لكن الأبناء لا يذكرون ذلك. فيجعلون للأب حق أكثر من الأم، فى الوقت الذى يجب أن يكون حق الأم أكبر من حق الأب، ثلاث أضعاف، على نحو ما جاء فى الحديث وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتى، فقال:« **أمك**، قال : ثم من؟ **قال**: **أمك**؟ قال: ثم من؟ **قال** : **أمك** ، قال : ثم من؟ **قال** : **أبوك** »[1] ولذلك أراد الله تعالى أن يذكرهم بذلك، فذكرهم بأهم ما فعلته الأم فقال هنا ﴿**حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين**﴾ وقال فى سورة الأحقاق ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً** ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

فهذا الجانب غير المنظور يجب أن يتذكره الأولاد دائمًا، ولذلك سطره القرآن خاصة، وأما دور الأب الذى ينفق ويربى ، فهذا جانب مرئى فى حياة الأولاد، فإذا ذكر به القرآن كان من باب تحصيل الحاصل وكان التكرار الذي يجوز الاستغناء عنه ، وربما يتنافى هذا مع بلاغة القرآن ، لأن تفصيل القول فيما تكفي الدلالة عليه أو الإشارة إليه ، لا يتفق مع البلاغة ، والبلاغة الإيجاز ، وتحصيل الحاصل تركه أولى.

---

(١) رواه البخاري. كتاب الأدب، باب ن أحق الناس بحسن الصحبة (٥٩٧١)، ومسلم كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وإنها أحق به (٢٥٤٨)، والترمذي بنحوه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى بر الوالدين.

فلذلك ذكره القرآن بالجانب غير المرئى بالنسبة للأم، ولم يذكره بالجانب المرئى الذى يدركه ويراه، فإن قيل: فكيف يذكره به، وهو لا يذكره ولا يعيه، طفلاً كان أو كبيرًا؟ .

نقول: من أجل أن يراه على الغير، فيشاهده فى حياة الناس. فيرى كيف تتعب الأم إذا حملت وتعانى إذا وضعت، وتسهر إذا أرضعت ، فيدرك مدى هذا التعب الذى كان لحق أمه يوم أن حملته ووضعته وأرضعته، فيدرك حقها، ويحسن إليها ، ويقوم بواجبها ، ويقدرها حق قدرها ، ويعلم أن حقها مضاعف على حق أبيه، وهذا ما أراده الله جل وعلا من خلال هذا السياق وبهذا الأسلوب الذى اقتضته الحكمة الإلهية، فما أعظم القرآن[1].

❁❁❁

(١) هذا كلام مقتبس من كلام الشيخ الشعراوى فى هذه الجزئية.

من سورة السجدة

"ما مقدار اليوم عند الله؟"

قال تعالى: ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [السجدة : ٥]

وقد قال أيضا: ﴿ **تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ [المعارج : ٤]

قال المستشرقون: أليس هذا من التناقض فى القرآن؟!

والجواب بأنه ليس هناك ثمة تعارض أو تناقض، فإن الآية الأولى تحدثنا عن نزول الأمر من السماء إلى الأرض عن طريق الملك أنه يستغرق مسيرة خمسمائة عام أى فى نزوله، وخمسمائة عام فى صعوده، وذلك مما تعدون، ومع ذلك فهو يقطعها فى طرفة عين، ولهذا قال تعالى ﴿**فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ فهو المدبر لهذه الأمور، الذى هو شهيد على أعمال عباده يرفع إليه جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها، وهو العزيز الذى قد عز كل شيء فقهره وغلبه ودانت له العباد والرقاب، الرحيم بعباده المؤمنين، فهو عزيز فى رحمته، رحيم فى عزته، وهذا هو الكمال[1].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [الحج : ٤٧]. أى فإن مقدار ألف

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٤٥٧ بتصرف .

سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حلمه لعلمه بأن على الإنتقام قادر وأن لا يفوته شيء وإن أجل وأنظر وأملى.."[١].

وأما قوله تعالى: **﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾** قال ابن كثير رحمه الله : فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة، هذا ارتفاع العرض عن المركز الذى فى وسط الأرض السابعة، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة، وأنه من ياقوته حمراء. كما ذكره ابن أبي شيبة فى كتابه صفة العرش.

والقول الثانى: أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة. حكاه عن مجاهد.

وعن عكرمة قال: الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة، لا يدرى أحدٌ كم مضى ولا كم بقى إلا الله عز وجل.

والقول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة، وهو قول غريب جدًا، حكاه محمد بن كعب.

والقول الرابع: أن المراد بذلك يوم القيامة، مذكور عن ابن عباس بإسناد صحيح، وكذا الضحاك وابن زيد فقال ابن عباس: هذا يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة" وقد وردت أحاديث فى معنى

---

[١] تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٢٢٨ بتصرف

ذلك، ومنها حديث منع الزكاة «**حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**» وهو متفق عليه[١]، وفيما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ "فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة" ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله ﷺ «**والذى نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا**» إلاَّ أنه ضعيف لضعف دراج وشيخة أبى الهيثم، والله اعلم"[٢].

❖❖❖

(١) رواه البخاري. كتاب الزكاة. باب إثم مانع الزكاة (١٤٠٢)، ومسلم. كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (٩٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٤١٩،٤١٨.

من سورة الأحزاب

"هل أخفى النبى ﷺ شيئاً؟"

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب : ٣٧ ، ٣٨] .

والفهم الخاطئ هو ما ذكرته الإسرائيليات، وما لم يصح من الآثار حول هذه الآيات، وما ذكر فى قصة زواج النبى ﷺ "بزينب بنت جحش" رضي الله عنها - بعد زواجها من "زيد بن حارثة" رضي الله عنه، لقد شرقت الإسرائيليات فى ذلك وغربت، واستغلها المستشرقون أسوأ استغلال، ونسجوا منها ما يشبه الأساطير القديمة، أو الأفلام الحديثة.

فزعموا أن النبى ﷺ أراد أن يزور زيدًا بن حارثة - الذى كان مولاه وصار ابنه المتبنى، فلما ذهب لزيارته فلم يجده، وقد كشفت الريح ستار البيت عن زينب، فرآها النبى ﷺ بثياب نومها أو زينتها !! فسر بها فوقع حبها فى قلبه، فرجع يقول سبحان الله العظيم ، سبحان مقلب القلوب!! فأخبرت زينت زيدًا بما حدث، وما قاله النبى ﷺ، فذهب زيد لرسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله، لقد زُرتنى، ولعلك رأيت زينب فأعجبتك، أفتتزوجها يا رسول الله؟.

فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله!!.

فزعموا أن حب النبى ﷺ لها كان واضحًا عليه وأراد أن يخفيه بقوله لزيد : أمسك عليك زوجك واتق الله، فى الوقت الذى أحب زينب وتمنى لو طلقها زيد ليتزوجها!! فسبحان الله العظيم، هكذا تقول الإسرائيليات، وهكذا يسطر المستشرقون هذا الكلام، وقد أبعدوا أكثر من هذا الهراء، بما لا يتفق مع نبي ولا صديق ولا صالح من الصالحين !! .

وهى قصة ملففة، مليئة بالكذب، مهلهلة فى سياقها، يبدو فيها التزوير واضحًا.

وسؤالنا: هل كان النبى ﷺ يذهب لزيارة أحد أصحابه بمفرده، أو دون وجود المزور؟ وهل كان يتجسس على العورات، أو كان يقف أمام الباب بحيث إذا انكشف الستار رأى ما فى البيت؟

أم أنه هو ﷺ الذى علمنا كيف نستأذن، ونقف ناحية من الباب يمينًا أوشمالاً؟ وعلمنا أن الاستئذان من أجل النظر، أفيعلمنا ذلك ثم يخالفه ﷺ وينظر؟!!

نقول: وهل كان النبى ﷺ لم ير زينب من قبل، حتى لما رآها وقع حبها فى قلبه؟

ألم تكن ابنة عمته، وكان يراها قبل نزول آية الحجاب؟ أليس هو الذى زوجها لمولاه زيد بن حارثة، وقد رفضت، فألح عليها النبى ﷺ فى ذلك، حتى نزلت الآية الكريمة ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً**

أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً ﴾ [الأحزاب: ٣٦] فخضعت وانقادت، وسمعت وأطاعت؟!!

وما الذى يمنع النبى ﷺ من زواجها قبل مولاه، لو أرادها لنفسه، حتى ينتظر بعد أن تزوجها زيد، فإذا بها تحلو فى عينيه، ويرغب أن يتزوجها بعد طلاق زيد لها؟!!.

وفى أى حديث أو رواية صح أن النبى ﷺ رآها - عند زيارته - وهى نائمة شبه عارية؟ فهل كانت ستسمع نداء النبى ﷺ وهى لا تزال نائمة، أو لا تجيبه بعدم وجود زوجها وهى عارية، أم هو الكذب على الله والافتراء على رسوله ﷺ ؟!!.

ثم نتساءل مرة أخرى: من الذى أمر بتزويج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة، ليبطل عادة من عادات الجاهلية، إذ كانوا يفرقون بين الأحرار والعبيد، ولا ترضى الشريفة القرشية أن تتزوج من عبد من العبيد، وهكذا فعلت زينب حتى نزلت الآية المشار إليها آنفا؟!.

ومن الذى أمر النبى ﷺ بأن يتزوج زينب بعد طلاق زيد لها، وانقضاء عدتها؟ من أجل أن يبطل عادة أخرى وهى عادة التبنى، بجعل الابن المتبني، كالإبن فى النسب، يحرم زواج امرأته، وهو يرث أباه بعد وفاته، وسائر الأحكام!!.

هذا زيد يُكثر من شكوى زينب التى تعالت عليه بعد الزواج، عند رسول الله ﷺ، والنبى ﷺ يقول له: أمسك عليك زوجك واتق الله، واصبر عليها،

حتى أعلمه الله تعالى بأن زيدًا سيطلق زينب، وأنك ستتزوجها من أجل ابطال عادة التبني المنتشرة بين الناس، وأنك أنت - لا غيرك - الذى ستبطلها عمليًا بتنفيذك لأمر الله فى ذلك، فاستحيَّ النبى ﷺ أن يخبر زيدًا بذلك، وخشي التصريح به، لما سيترتب عليه،وبما سيقوله المشركون، ويردده الناس من أن محمدا تزوج زوجة ابنه!!

فلما وقع هذا عاتبه ربه، وتولى البيان عنه، وأظهر أنه لا حرج عليه فيما فرض ربه[1].

قال ابن كثير رحمه الله: قال تعالى: **﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾** وهذا هو المقصود، من القصة كاملة، وقد نزلت فى شأن "زيد بن حارثة رضي الله عنه" مولى النبى ﷺ، وكان النبى ﷺ قد تبناه قبل النبوة، فكان يقال له: زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى **﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾** كما قال تعالى فى أثناء السورة **﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾**[الأحزاب: ٤٠] وقال ههنا **﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾** يعنى تبنيكم لهم قول لا يقضي أن يكون ابنًا حقيقيًا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان.**﴿والله يقول الحق ويهدى السبيل﴾** ولذلك قال تعالى: **﴿أدعهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾** [الأحزاب: ٥] فكان ناسخًا للأمر الأول فى ابتداء الإسلام من جواز أدعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء ، فأمر تبارك

(١) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـــ ٤٥٥ ٤٦٣ بتصرف.

وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم فى الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط والبر.

أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر قال: إن زيدًا بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن **﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾** وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي أيضًا.

وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه فى الخلوة بالمحارم وغير ذلك، فلما نُسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعى، وتزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، مطلقة زيد بن حارثة رضى الله عنه، وقال عز وجل **﴿ لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾** [الأحزاب: ٣٧]، وقال تبارك وتعالى فى آية المحارم **﴿ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ ﴾** [النساء : ٢٣] احترازًا عن زوجة الدعى فإنه ليس من الصلب.

فأما الإبن من الرضاعة فمنـــزل منـــزلة ابن الصلب شرعًا بقوله ﷺ فى الصحيحين: « **يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب** ».

فأما دعوة الغير ابنًا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهى عنه فى هذه الآية وقد ثبت ذلك عنه ﷺ"[1].

ثم قال ابن كثير رحمه الله أيضا: فى قوله تعالى: **﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** [الأحزاب: ٣٦] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٤٦٥ - ٤٦٧ بتصرف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب لفتاة "زيد بن حارثة" رضي الله عنه، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ "بلى فانكحيه، قالت يا رسول الله أؤمر فى نفسى؟ فبينما هما يتحدثان، أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ.. قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحا، قال رسول الله ﷺ: نعم ، قالت: إذًا لا أعصي رسول الله ﷺ، قد أنكحته نفسي وفى رواية: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضي الله عنه، فاستنكفت منه، وقالت أنا خير منه حسبًا، وكانت امرأة فيها حدة، فأنزل الله تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ..**﴾الآية كلها"[1].

ثم قال: فى قول الله تعالى ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ...** ﴾ الآية.

يقول تعالى مخبرًا عن نبيه ﷺ انه قال لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وهو الذي أنعم الله عليه أى بالإسلام، ومتابعة الرسول ﷺ، وأنعمت عليه أى بالعتق من الرق، وكان سيدًا كبيرًا الشأن جليل القدر، حبيبا إلى النبى ﷺ يقال له الحب، ويقال لابنه أسامة: الحب ابن الحب، قالت عائشة رضي الله عنها: ما بعثه رسول الله ﷺ فى سرية إلا أمره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه" رواه الإمام أحمد.

وقد كان رسول الله قد زوجه بابنة عمته "زينب بنت جحش الأسدية"

---

(١) رواه البخاري. كتاب التفسير. باب وتخفى فى نفسك ما الله مبديه (٧٤٢٠)، وابن كثير فى التفسير وعزاه إلى احمد (٦٤٣/٣) .

رضى الله عنها، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وخمسين مدا من الطعام وعشرة أمداد من تمر، فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: ﴿**إمسك عليك زوجك واتق الله**﴾ قال الله تعالى: ﴿**وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾ قال: وقد أورد ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارًا عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها[1]- رحمك الله يا ابن كثير - وأصح ما ذكر: أن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضي الله عنها ليشكوها إليه، قال: ﴿**اتق الله وأمسك عليك زوجك**﴾ .

فقال قد أخبرتك أنى مزوجكها، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه، أو نحو ذلك.

ورضي الله عن عائشة قالت: لو كتم محمد ﷺ شيئا مما أوحي إليه من كتاب الله تعالى ، لكتم ﴿ **وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً** ﴾ حاجته وفرغ منها وفارقها وقضت عدتها ﴿**زوجناكها**﴾ وكان الذى ولى تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر، حتى إنها رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ فتقول : **زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع**

---

(١) تفسير ابن كثر جـ٣ صـ ٤٨٩ - ٤٩١.

سموات" وبعد زواجه من زينت نزل الحجاب، وقوله تعالى: **﴿ لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً﴾** أى إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين فى تزويج مطلقات الأدعياء، **﴿وكان أمر الله مفعولا﴾** .

أي وكان هذا الأمر الذى قد وقع قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة، كانت زينب رضى الله عنها فى علم الله ستصير من أزواج النبى ﷺ، ثم قال الله **﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾** أى فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب رضي الله عنها التى طلقها دعيه "زيد بن حارثة" رضي الله عنه، وقوله تعالى **﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل﴾** أى هذا حكم الله فى الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم فى ذلك حرج **﴿وكان أمر الله قدرًا مقدورا﴾** كائنًا لا محالة، وواقعا لا محيد عنه، فما شاء كان[١].

❖❖❖

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٤٩١ - ٥٩٢ بتصرف.

من سورة سبأ

"هل تجوز صناعة التماثيل؟"

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ : ١٢، ١٣] .

والشاهد : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾

والفهم الخاطئ: زعم قوم أن صناعة التماثيل حلال بهذه الآية الكريمة نقول: أما المحاريب فهى أماكن العبادة، وقيل بمعنى القصور، وأما التماثيل، فقد جاء فى التفسير، إنها الصور، وأنهم كانوا يصنعونها من النحاس، وقيل من الزجاج والطين[1]، وأيًا كانت، فهى كانت مباحة فى عهد سليمان عليه السلام، ولكنها حرمت فى الشريعة الخاتمة، بكل صورة من الصور، فكيف يقول قائل: هى مباحة بالآية؟!

وهذا النبى ﷺ يقول « **لعن الله المصورين** »[2] .

ويوم القيامة تخرج عنق من النار تتكلم فتقول: إنى وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبمن أشرك مع الله إلهـًا آخر، وبالمصورين" .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٥٢٨ بتصرف.

(٢) رواه البخاري كتاب اللباس. باب من لعن المصور (٥٩٦٢)، ومسلم بنحوه. كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٢١٠٨) .

ويؤتى بالمصورين يوم القيامة فيقال لهم: انفخوا الروح فيما صورتموه، وما هم بفاعلين" وها هو النبى ﷺ يرسل "على بن أبى طالب" فى مهمة يقول له **يا على** « **لا تجد تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلاَّ سويته**»[1].

وهذا الحكم ينطبق على كل تمثال منحوت أو مجسم أو له ظل كذا المرسوم.

واختلف فى الصور الحديثة التى يقال عنها "فوتوغرافية" فهي مباحة للضرورة، ومنهى عنها فيما سوى ذلك.

❁❁❁

(١) رواه مسلم كتاب الجنائز. باب اللحد ونصب اللبن (٩٦٩) .

من سورة فاطر

"هل يعذب الإنسان بفعل غيره"

١ – قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى** ﴾ [فاطر : ١٨]

وفى الحديث « **إن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه** »(١) فكيف يتفق هذا مع ذاك.

نقول: صدق الله، وصدق رسوله ﷺ، ولا تنافي بين القولين.

أما قوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ فهى وإن كانت كذلك، إلا أنها ليست قانونا عام، أو حكما شاملا، لأنه جاء فى القرآن ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾ [الأنفال : ٢٥] وفى الحديث: « **يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث**"(٢).

فيهلك الصالحون بهلاك المفسدين، ثم يبعثون على نياتهم، وكل يحاسبه الله بما عمل. ويهلك الأطفال الأبرياء بهلاك الآباء المشركين أو الضالين، وكذلك تهلك الدواب مع هلكة عصاة البشر.

وأما الحديث: « **إن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه** » نعم، ويكون على وجهه إذا كان هذا الميت ممن أوصى بذلك قبل موته، أو رضي بفعل ذلك

---

(١) رواه الإمام مالك فى الموطأ رقم (٤٩٤)، ورواه البخاري برقم (١٢٩٠)، ومسلم (٩٢٧) .

(٢) رواه البخاري. كتاب أحاديث لأنبياء باب قصة ياجوج ومأجوج (٣٣٤٦) ومسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج وماجوج (٢٨٨٠).

عليه، وهناك من الجاهلين وإلى يومنا هذا من الناس من يوصى بأن تقام عليه مناحة إذا مات، وأن يُؤتى بنائحة، وأن يعظم شأنه عند موته بكذا وكذا من الجاهليات، فهذا لا شك أنه ينطبق عليه الحديث، ويكون العذاب حسيًا، يحمل وزر وصيته وأمره، فكلما بكى عليه حى، عذب بذلك.

وإما أن هذا الميت المسلم لم يأمر بذلك و لم يرتضه - بل حذر منه، ونهى عنه وكتب فى وصيته بالبعد عن هذه الجاهليات، ولكن القوم خالفوه، وفعلوا ما نهاهم عنه، فهذا لا يعذب أى عذابا حسيًا، وإنما يكون عذابه معنويًا بمعنى أنه يتأذى ببكاء الحي عليه، وهو كقول الواحد منه لابنه مثلاً: بكاؤك يؤذينى، أو مرضك هذا يعذبنى، ويقطع نياط قلبي! فيكون بهذا المعنى على غير وجهه، وإنما أريد به الإيذاء والحزن، ولاسيما والميت يفرح بفرح أهله، ويحزن لحزنهم، كما جاء فى الآثار.

وقيل أيضًا: إن الميت هنا بمعنى الكافر، كقوله تعالى **﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾** أى لا يستوي أهل الإيمان وأهل الكفر، وعلى ذلك فالميت هنا بمعنى الكافر، وهذا معذب على كل حال، وقد يزاد له فى العذاب ببكاء أهله الأحياء، الذين لا يردعهم إيمان عن إتيان ما حرم الله من نياحة على الميت وشق جيوب، ولطم خدود، ودعوى الجاهلية.

ولذلك لمّا سمعت عائشة أم المؤمنين - أن عبد الله بن عمر يقول: " **إن الميت ليعذب ببكاء الحى** " - فقالت: " **يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله ﷺ بيهودية يبكى عليها أهلها فقال: إنكم لتبكون عليها وإنها لتعذب فى قبرها** " هذا والله أعلم.

"من يخشى من؟"

٢- قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر : ٢٨].

والفهم الخاطئ: هو قلب معناها، إذ زعم قوم بجهلهم أن الله يخشى عباده العلماء، ولذلك فهم أهل سطوة وسلطان، وترتبت عليه خشية الله منهم ﴿**سبحانه وتعالى عما يصفون**﴾ وإنما الذي حدا بهم إلى ذلك هو عدم فهمهم للغة، واسلوب التقديم والتأخير، أى تقديم المفعول، وتأخير الفاعل، ويتضح ذلك من نصب لفظ الجلالة ﴿**الله**﴾ لأنها مفعول به، وضم كلمة ﴿**العلماء**﴾ لأنها فاعل، فالآية فى غير السياق القرآنى "إنما يخشى العلماء - من العباد - الله، فالعلماء هم الذين يخشون الله تعالى، بما أوتوا من علم، وكذا فهمها السلف والعلماء، وإنما ضل من ضل من قب لجهله بأساليب اللغة العربية!

قال ابن عباس رضي الله عنهما: العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئا، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله. وقال سعيد بن جبير: الخشية هى التى تحول بينك وبين معصية الله عز وجل، وقال الحسن البصرى: العالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه، ثم تلا الحسن ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور**﴾ .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " **ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية**".

وعن مالك قال: " **إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب** ".

ومعناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وإنما العلم الذى فرضه الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا لا يدرك إلا بالرواية، ويكون تأويل قوله: نور يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه.

وعن أبي حيان التيمي عن رجل قال: كان يقال العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذى يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذى يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل"[١]



(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٥٥٣، ٥٥٤ بتصرف.

من سورة يس

"هل اسم الرسول ﷺ "يس"؟

قال تعالى: ﴿ **يس (١) وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [يس: ١، ٤].

الفهم الخاطئ: زعم قوم أن ﴿**يس**﴾ من أسماء النبى ﷺ، فراح الناس يتسمون بهذا الاسم، حتى أن بعضهم يكتبه مرة (يس) ومرة (ياسين).

ومنهم من قال هو بمعنى يا إنسان، ومن قال هو اسم من أسماء الله تعالى.

والصواب أنه من جنس الحروف المقطعة التى أسلم شيء نقوله فيها: الله أعلم بمراده فيها، أو هى حروف نزلت للتحدى والتعجيز، ومجموعها مع حذف المتكرر نستخرج من قولهم: "نص حكيم قاطع له سر".

والكلام بطوله مذكور فى موضعه من كتب التفاسير، والأسلم هو الله أعلم بمراده.

٢- قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾ الآيات [يس: ٧٨].

الفهم الخاطئ يتمثل فى عودة الضمير على الله عز وجل فى قوله ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ** ﴾ .

فلما أخطأ فى عود الضمير على الله عز وجل، راح يسأل: كيف نسى - أى الله - خلقه؟.

والجواب أن هذا فهم خاطئ، ومن زعمه فقد أبعد النـــزع، وإنما أُتى من قبل جهله بالسياق.

فالآيات الكريمة تحدثنا عن كافر نصب نفسه خصمًا لله تعالى ، يقال هو (أبي بن خلف) ، أو هو (العاص بن وائل) وقد أخذ عظمًا من البطحاء، ففته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيى الله هذا بعدما أرى؟ أو قال: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال ﷺ : « **نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم** »، وفى رواية: « **نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار**».

قال : ونزلت هذه الآيات في آخر يس ﴿**أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾[١].

فالذي ضرب المثل هنا هو الإنسان بهذا العظم الذي فته، ونسي خلقـــه أى نسي نفسه، وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده، ولهذا قال عز وجل ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّـــذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ أى يعلم العظام فى سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت، وسبحان من لا يعجزه شيء .

﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَـيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [يس : ٨٠ ، ٨٣]

---

(١) صحيح: رواه ابن كثير، وعزاه إلى ابى حاتم ٧٦١٩/٠٣ من طريق هشيم عن أبى مبشر عن سعد بن جبير عن ابن عباس به، ورواه ابن جرير فى التفسير من طريق ابن كثير مرسلا بسند صحيح.

من سورة الصافات

"هل سيحشر كل زوج مع زوجه"؟

١- قال تعالى: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾ [الصافات : ٢٢، ٢٣]

والفهم الخاطئ: إذا كان الزوج كافرًا فاجرًا، وجزاؤه جهنم، فما ذنب زوجتة الصالحة المؤمنة أو العكس من ذلك؟!

والفهم الصحيح: أن قوله تعالى ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ**﴾ بمعنى أشباههم وأمثالهم ومن على شاكلتهم وليس بمعنى الأزواج بمعناها الشرعى أو المعروف، لأن فى كتاب الله تعالى ، إذا كانت الزوجة صالحة والذرية كذلك كانوا مع الزوج والأب ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ [الطور:٢١]

وأما إذا كان الزوج مؤمنًا والزوجة كافرة، فلا يحشر الزوج المؤمن مع زوجته الكافرة، ولا الزوجة الكافرة مع زوجها المؤمن، وقد قال تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾ [التحريم : ١٠] .

وأما إذا كانت الزوجة هى المؤمنة، والزوج هو الكافر فإنه يفرق بينهما فى الدنيا والآخرة قال تعالى:﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ**

القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم : ١١] .

وبناء عليه لا تؤخذ الآية بحرفيتها، ولا بالمعنى الذى يتبادر إلى الذهن بسبب المعنى الشائع، ولو فهم الإنسان أساليب اللغة، وأن كلمة الزوج تطلق على الأشباه والنظائر ما ظن هذا الظن الذى هو محل الشبهة والتساؤل، وظنه البعض تعارضًا في كتاب الله ، ورضي الله عن عمر بن الخطاب قال فى معنى الآية: اخوانهم وأشباههم، وقال: يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر.

﴿**وما كانوا يعبدون**﴾ أى من الأصنام والأنداد تحشر معهم فى أماكنهم.

﴿**من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾ أى أرشدوهم إلى طريق جهنم(١).

❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٤ بتصرف.

"هل كذب إبراهيم فى قوله: (إنى سقيم)؟"

٢- قال تعالى فى قصة إبراهيم: **﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾** [الصافات : ٨٨ ، ٨٩] .

والفهم الخاطئ: كيف يقول إبراهيم **﴿إنى سقيم﴾** بعد نظره فى النجوم، ولم يكن كذلك؟!

والجواب: بأن إبراهيم عليه السلام بما أوتي من حكمة فى الدعوة، وتنوع فى أسلوبها، أراد أن يوهم قومه بعد نظرة عابرة فى النجوم – على عادتهم – أنه سقيم، ليؤدى دوره الذى أراد أن يقوم به ومهمته الدعوية، فى تحطيم الأوثان.

فاحتال على القوم بقوله **﴿إنى سقيم﴾** وهذا أسلوب من أساليب اللغة، فيمكن أن يقول **﴿إنى سقيم﴾** على الحقيقة، فهو حق فى نفس الأمر وقد أحس بشيء من التعب والارهاق، ويمكن أن يكون على سبيل المجاز، أى أنا سقيم من معتقداتكم، ومن أفعالكم، أو كان سقيم الباطن والضمير، قلق الخاطر، وهو كقول الرجل لآخر بعد طول جدال: لقد أتعبتنى، وكلام إبراهيم عليه السلام من هذا النوع أو ذاك، ومن ثم لا يكون فيه شيء من الكذب الحقيقي الذى يذم فاعله، حاشا وكلا، وإنما هو من باب التعريض والتمويه، و"إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب، وقد فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه **﴿فتولوا عنه مدبرين﴾** وصدق الله العظيم إذا يقول: **﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً ﴾** [مريم :٤١] وذكر فى الحديث على أنه من الكذب تجوزا، وإنما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعي ديني ، يريد بها أن يدافع عن دين الله تعالى[1].

---

(١) قصص الأنبياء لأبى كثير صـ ١٣٠ – ١٣٤ ومع الأنبياء فى القرآن الكريم / عفيفي عبد الفتاح طبارة صـ ١١٢ – ١١٥ بتصرف .

"من الذبيح؟"

٣- قال تعالى: ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾ [الصافات : ١٠١ ، ١٠٢]

فزعم قوم أن الذبيح هو "إسحاق" وسطروا فى ذلك الإسرائيليات، ووافقوا التوراة المحرفة! وذكروا روايات حاولوا رفعها للنبى ﷺ -لم يصح منها شيء - تحدث بأن الذبيح اسحاق !! بل هى موضوعة.

وجوابنا أن الآيات فى غاية الوضوح، وتكاد تصرح بأن الذبيح هو إسماعيل، الابن البكر الوحيد، قبل أن يأتى اسحق، فقد وصفته الآيات بأنه غلام حليم، وأما اسحاق ففى قصة بشارة سارة وإبراهيم به - بعد أن بلغا من الكبر عتيا، وكانت سارة عقيما لا تلد - وصفته الآيات فى سورة الذاريات بأنه عليم، قال تعالى: ﴿**وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**﴾ [الذاريات ٢٨ ، ٣٠] فالآيات وإن لم تصرح باسمه، لكن يتضح من خلال الوصف بأنه إسماعيل، فإسماعيل موصوف بالحلم، لأنه صبر على أمر الله و لم يعترض وأعان أباه على تنفيذ أمر الله، صابرًا محتسبًا يقول: ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ .

وكذلك نجد فى القرآن الكريم البشارة لسارة بإسحاق ومعها البشارة بابنه يعقوب من ورائه ﴿ **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾ [هود : ٧١] فالبشارة بالابن والحفيد معًا، فكيف يتناسب البشارة بالولد وولد الولد، مع أمر إبراهيم بذبح الولد، وقد بشر بأنه سيكون له حفيد منه؟!

وقد صح فى المرويات بأنه جلس بعض الصحابة فى مجلس معاوية – وهو أمير للمؤمنين – فاختلفوا : من الذبيح؟

فقال بعضهم اسحق، وقال بعضهم إسماعيل، فقال معاوية: على الخبير سقطتم، بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا جاء رجل من الأعراب، وقال يا رسول الله هلك المال وهلك الرجال، وقد تركت الأرض يابسًا والوجه عابسًا، وقد جئتك يا ابن الذبيحين لتدعو لي أو تدعو لنا، فلما قال يا ابن الذبيحين ، تبسم النبى ﷺ ؟.

فقالوا: يا معاوية ومن الذبيحان؟ فقال : لما أُمر عبد المطلب في المنام بحفر بئر زمزم نذر إن يسر الله حفرها أن يذبح ولدًا من أولاده العشرة، فلما يسر الله حفرها وأراد أن يوفي بنذره ، واقترع فكانت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب – والد النبى ﷺ – فقال له أوفِ بنذرك ولا تذبح ولدك، واجعل بدلاً من ذبح ولدك مائة ناقة، فذبح مائة ناقة، وفدى ولده عبد الله، فكان هذا هو الذبيح الأول، وأما الذبيح الآخر فهو إسماعيل عليه السلام، الأب الأول.

فلما كانت خلافة (عمر بن عبد العزيز) ذكر ذلك له فقال: ما كنت أنظر لهذا – يعني أنه لا يعتبر المسألة فيها خلاف فى أن الذبيح اسماعيل – فلما قيل له، استدعى رجلاً كان يهوديًا فأسلم ، فسأله عن الذبيح، فقال: والله إنه (لإسماعيل) يا أمير المؤمنين، ولكن اليهود يحسدونكم معشر العرب

على أن يكون هذا الشرف لكم وليس لهم ، فمن ثم حرفوا التوراة[1].

ولذلك تجد التوراة تقول "يا إبراهيم خذ ابنك الوحيد، وتقول: خذ ابنك بكرك، ثم تضيف (اسحق) بين قوسين، فكيف يكون الابن البكر الوحيد هو اسحاق، مع أنه كان الثانى وليس البكر كما قالت التوراة، ورزق إبرام "إبراهيم" باسحق وهو ابن مائة سنة، ورزق بإسماعيل هو ابن ست وثمانين سنة، فيكون بينهما أربع عشرة سنة، فاسماعيل مولود قبل إسحاق بأربع عشر سنة، فكيف يكون اسحاق هو البكر وهو الوحيد؟! وهذا ما يدل على تحريف التوراة وإقحام كلمة اسحاق لما ذكر من الحسد وإنكار رسالة النبي محمد ﷺ، وحتى لا تكون النبوة فى ولد إسماعيل!! .



(١) رواه ابن جرير وابن اسحاق والأموى فى مغازيه .

"من هو نبي الله (إلياس)؟"

٤- قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الصافات :١٢٣ ، ١٣٢]

والفهم الخاطئ تمثل فى الإسرائيليات حول قصة نبى الله "إلياس" عليه السلام، بما لا يؤيده شرع، ولا يقبله عقل، ومن ذلك الزعم بأن إلياس عليه السلام هو الخضر، صاحب موسى والذي وردت قصته فى سورة الكهف، والزعم بأنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى ابن مريم، وأنه طلب من الله أن يجعله كالملائكة، وفرغت عنه شهوة الطعام والشراب، فصار لا يأكل ولا يشرب، وأوحى إليه أنه إذا وجد دابة لونها كالذهب أو اللهب فاركبها، فوجدها فركبها فعرج به إلى السماء، وهو فيها لا يزال حيًا!

ومن الإسرائيليات ما حاولوا رفعه إلى النبى ﷺ، فاسندوا إلى أنس ابن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ أنه قال: كنت مع النبى ﷺ فى سفر، وكنا فى الصحراء، وإذ بى أرى رجلا عملاقا طوله ثلاثمائة ذراع أو يزيد، فقال لى: من أنت؟ فقلت: أنا أنس خادم رسول الله ﷺ، فقال: وأين رسول الله ﷺ، اقرئه منى السلام، فقلت: ها هو الآن يسمعك، فاجتمع الرسول عليه الصلاة والسلام بإلياس وسلم عليه، وقال له يا رسول الله. إنى أظل طول العام لا آكل ولا أشرب، أظل صائمًا إلا يومًا واحدًا فى العام،

وهذا يوم فطري ، فاجلس لتتناول طعامًا معي ، فجلس النبى ﷺ، وإذا بمائدة نزلت من السماء فأكل النبي ﷺ مع إلياس، قال: فدعاني فأكلت معهما، وودعني وودعته"

هكذا تذكر الإسرائيليات، وذكرت أيضا: أن القوم الذين أرسل إليهم إلياس لمَّا كذبوه وطردوه، فغضب إلياس عليهم فطلب من الله عز وجل أن يعذب قومه، فأوحى إليه: إنى وكلت أمرهم ورزقهم إليك! فطلب إلياس أن يمنع عنه القطر من السماء ثلاث سنوات، وصعد هو على جبل فأنبع الله له عينًا خاصة يشرب منها ويتطهر بها، وصار الناس فى قحط شديد وجوع وجهد، وقد لجأوا إلى آلهتهم يتقربون إليها ويطلبون منها الرزق والمطر، فلم تسمع ولم تجب، فغضب الملك على سدنة الآلهة، وقال لهم: إله إلياس خير من آلهتكم، وأسرع استجابة، فبدأوا يبحثون عن إلياس حتى وجدوه فسألوه ما الذي يريد، فقال انبذوا آلهتكم وأطردوها من بيوتكم، وألقوها، ففعلوا، فدعا إلياس عليه السلام ربه، فأمطر السماء، وأنبت الأرض!! وهي كما ترى قصة مهلهلة، فأمر الرزق بيد الله، لا يوكله الله لأحد، ولم يحرم منه مسلمًا ولا كافرًا، وهو كلام لا يصح نقلاً ولا عقلاً!! .

وفى قصة إلياس إسرائيليات كثيرة مطولة: يبدو أنها من اختراع القصاصين، الذين رأوا فى قصة إلياس فى القرآن إيجاز، لم يتناسب مع مقام قصصهم، فراحوا يخترعون ويؤلفون، فيذكرون الأعاجيب، لتحسن القصة فى نظر من يسمع أو يدفع!!.

والآيات كما تراها تحدثت عن نبي من الأنبياء ، هو إلياس عليه السلام،

من بين الذين ذُكروا فى القرآن صراحة، وإن كانت القصة مجملة، لم تبين أين بعث إلياس؟ أو متى بعث؟ ومن هم القوم الذى أُرسل إليهم؟ ولكن حرصت الآيات على أنها تُظهِر جانب التوحيد الذى هو لب دعوة الرسل، بشقيه من كفر بالأرباب الزائفة والآلهة الباطلة، ثم الإيمان بالإله الواحد الحق رب الأولين والآخرين، وهو أحسن الخالقين، وأما صنمهم الذى يسمونه "بعلا" ويدعونه، فإنه لا يغني عنهم من الله شيئًا، ولا ينفع ولا يضر، ومن الممكن قبول ما ذكر عن معنى (البعل) من أن القوم الذين أرسل فيهم إلياس عليه السلام، كان لهم ملك جبار، وكانت له زوجة، فمات الملك وبقيت الزوجة فصنعت لزوجها تمثالاً وجعلت له حدقتين من الياقوت، وزينته وألبسته تاجًا وسمته "بعلاً" وصارت كلما دخلت عليه تقبله وتسجد له، ثم تزوجها رجل آخر فكان ملكًا فأمرته أن يعبد صنمها الذى تعبده، وصار له سدنة - أى خدم لهذا الصنم ، وكانوا سبعين وفى هذه الأثناء وتلك الأيام أرسل الله عز وجل إلياس عليه السلام، فأمر الملك ومن معه بعبادة الله وحده ونبذ عبادة هذا الصنم وغيره، لأن الله عز وجل هو الذى خلق وهو الذى رزق، وهو الذى خلق الآباء والأجداد، ويخلق الأبناء والأحفاد، فلماذا يدعون الله عز وجل ويعبدون صنمًا كان تمثالاً لبعل أو زوج؟ ولكن السدنة ضحكوا على الملك وقالوا له: نحن فى رغدة من العيش، والآلهة راضية عنها، فنحن على ما نحن عليه، فمال الملك إلى رأي السدنة ونبذ إلياس وطرده، فعذبهم الله تعالى.

نقول: فهذا كلام محتمل وهو من جنس «**حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج**».

ما لم يتنافى مع شرع، ويتناقص مع عقل، ولذا فهذا القدر فيه كفاية، والله أعلم.

سورة ص

"ماذا فعل نبى الله (داود)؟"

١- قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٢٠، ٢٥]

والفهم الخاطئ يتمثل فى الإسرائيليات فى هذه القصة، والتى جاءت موافقة أو مقاربة لما جاء فى التوراة المحرفة، حتى صورت للناس أن داود ارتكب خطيئة عظيمة لا تكاد تغتفر! ولقد شرقت الإسرائيليات وغربت فى هذه القصة، فاتهمت داود بأنه رأى زوجة قائد جيشه، فأعجبته، فطلبها للزواج وهى على ذمته، واستطاع التخلص من زوجها ليجعلها لنفسه مع أنه كان معه تسع وتسعون من النسوة وأبى إلاَّ أن يجمع هذه الزوجة التى لقائده، وهنا نزل عليه الملكان فى صورة خصمين من البشر، يعاتبانه بما قال القرآن ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ﴾ وفسروا المرأة بالنعجة!

فبعد ذلك أفاق داود لنفسه، وندم وبكى، وخر لله ساجدًا أربعين سنة، وهو يبكى حتى ابتلت الأرض من دموعه فأنبتت نباتًا فوق رأسه، وأكلت

الأرض جبينه، حتى أوحى الله إليه أنه غفر له خطيئته المتمثلة فى زواجه من زوجة قائده بتلك الطريقة الماكرة البشعة لكن كيف إذا جاء قائدك يوم القيامة يقول: أي ربِ خذ حقي من داود، وأين دمي الذى أراقه داود؟ فأخذ داود يبكي ويستغفر، وخرج هائمًا على وجهه في الصحاري والجبال يترنم ويبكي حتى إن الجبال أخذت تبكي معه وتترنم وتسبح معه ..!!

أقول: فهذا مختصر لما جاء فى الإسرائيليات المرتبطة بهذه الآية، وقد وردت بأكثر من طريقة أو رواية عن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه، وهى قصة مهلهلة لا تتفق مع أنبياء الله، بل ولا مع البشر السوى، فكيف تنسب إلى نبي من أنبياء الله، له العصمة، وقد أثنى الله – عز وجل – عليه بقوله ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [ص :١٧] وكذلك ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ [ص :٢٥]

فكل ما ذكر حول هذا المعنى الذى أشرت إليه هو كلام باطل، وهو من الكفر والعياذ بالله، وإن عليًا رضي الله عنه كان يقول: من زعم هذا الزعم على داود عليه السلام، لأجلدنه مائة وستين جلدة، ثمانين منها حد القذف، وثمانين لافترائه وبهتانه على نبي من أنبياء الله.

ومن الخطأ كذلك أن تفسر كلمة النعجة بالمرأة فإذا كانت المرأة نعجة فالرجل خروف!!

وهذا أمر غريب لا يجوز، فالنعجة هى النعجة، والمرأة هى المرأة. والزعم بأن الخصمين كانا ملكين، وقد تسورا المحراب على داود فى يوم عبادته، وليس فى يوم القضاء وأنهما أراد أن يمتحنا داود فنـــزلا عليه ، وأنه فزع

منهما وقد سألاه سؤالهما فأجابهما فضحكا عليه لأنه هو المعنى بالسؤال، وقد شهد على نفسه، وتعجل فى الحكم بسماعه من واحد دون الآخر.

أقول: كل هذا أو جله لا يصح، لأنه أنبنى على الإسرائيليات؟ وإنما فتنة داود التي استغفر منها ﴿ **وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ** ﴾.

قيل إنما هى تعجله فى الحكم بسماعه من واحد، وعدم سماعه من الآخر، وهذا لم تثبت صحته، وإنما المعنى المقبول: أن داود عليه السلام لما جعل يوما لعبادته، وجعل يومًا للقضاء بين العباد، فبينما هو فى محرابه إذ تسور رجلان سور المكان الذى هو فيه، فدخلا بطريقة اللصوص أو القتلة المجرمين، فلما دخلا على داود وهو منهمك فى عبادته - بتلك الطريقة المنكرة التى يفهم منها أنهما أرادا الشر به، ففزع منهما، وظن داود أنهما جاءا لقتله فظن بهما سوءا، فإذا بهما يطمئنانه ويبينان المراد من تسورهما فى ذلك اليوم إذ القضية لا تحتمل تأخيرها إلى يوم القضاء، فظن داود سوءًا بالرجلين وأنهما جاءا لقتله، كان هذا منه بمثابة المعصية وكونه فزع منهما وهو فى رحاب الله، متلبسًا بعبادته، ثم هو يخشى القتل، فهذا ما لا يليق بداود ولا يجب أن يكون، فكونه خشى القتل، أثناء عبادته لله، وظنه بالرجلين، تلك خطيئته التى تاب منها وأناب واستغفر وركع وسجد لربه منيبًا إليه، فغفر الله له ذلك، لِمَا له من زلفى وقرب عند الله مع حسن المئاب[1].

---

(١) العقائد الإسلامية صـ ١٦٥ - ١٦٦، والتفسير الموضوعى للقرآن الكريم صـ ١٤١ - ١٤٦.

"ما هى فتنة سليمان؟"

٢- قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ**﴾ [ص :٣٤ ، ٣٥]

والفهم الخاطئ: ما ارتبط بهذه الآيات خاصة - وقصة سليمان عامة - من إسرائيليات منكرة فقالوا حول هذه الآية حكايات تشبه الأساطير، أو ما يعرفه الناس بحكايات ألف ليلة وليلة!

وحكاية "خاتم سليمان"! فقالوا: كان لسيدنا سليمان خاتم هو خاتم الملك! وقد دخل الخلاء مرة فنـزع الخاتم وأعطاه لاحدى زوجاته فتمثل شيطان بصورة سليمان فأخذ الخاتم من زوجته، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها: أين الخاتم؟ قالت: أخذه سليمان، فقال: أنا سليمان، فقالت: أنت كاذب، لقد أخذه سليمان!!.

والشيطان بعد أن أخذه سلب سليمان ملكه، وأخذ منه كل شيء، حتى أنه كان يأتى نساءه، وما أنكروا من أمره شيئا إلا أنه صار يأتيهن وهن حُيَّض!

وظل الشيطان يستخدم خاتم سليمان وقد أصبح سليمان فقيرًا مسكينًا، يعمل صيادًا فى البحر، وكان من أمر الشيطان أنه خشى أن يفتضح أمره، فألقى الخاتم فى البحر، فابتلعته سمكة، فاصطادها سليمان، فلما أراد أن يشويها وجد فيها الخاتم، فلبسه وعاد ملكه إليه، وصار الأمر إلى ما كان، وأفضل مما كان !!.

فأعجب - يا مسلم - لهذه الحكاية وتلك الرواية، التى أختصرتها لك من عشرات الروايات، سجلت فى عشر صفحات أو أكثر، تُحكى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعن كعب الأحبار!

بل ربما رفعوا بعض ذلك إلى النبى ﷺ!

فهل كان ملك سليمان ، متوقفًا على خاتم، يبقى ببقائه، ويزول بزواله!

وهل يصح للشيطان أن يأتى نساء سليمان، ويكون بصورة سليمان! وهل من الممكن أن يقدر الله شيطانًا ليتمثل فى صورة سليمان، ويتحكم فى ملكه!.

أنه لعجيب أمر هذا الإسرائيليات، وأعجب منها من أوردها، ومن قبلها، ومن كتبها، ومن دافع عنها، وأراد أن يضع لها الأسانيد التى تقول إن هذه الإسرائيليات صحيحة، لكن الذى لم يصح منها هو أن الشيطان جامع نساء سليمان! والحق أن الأمر كله كذب البتة.

وإنما كل ما صح فى ذلك ما ورد عن النبى ﷺ، أنه لما تزوج سليمان بسبعين امرأة وقال: سأطوف عليهن فى ليلة واحدة لتنجب كل واحدة منهن فارسًا يقاتل فى سبيل الله، ونسى أن يقول إن شاء الله، فذكره صاحبه - أى الملك، كما جاء فى التفسير فلم يقل - فأتى نساءه فلم تحمل إلا واحدة فجاءت بولد شقه ساقط، يعنى ولد نزل مريضًا وبه عيوب خلقية، يقول النبى ﷺ: ولو قال: «**إن شاء الله لأنجب سبعين فارسًا، كلهم يقاتل فى**

سبيل الله»[١].

فكانت تلك خطيئة سليمان أنه لم يقل: إن شاء الله فامتحنه الله وأتى له بهذا الولد ساقط الشق، مائل الوجه، لا يستطيع أن يقاتل ويجد مشقة فى أن يأكل، فكانت تلك فتنته، كما قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ**﴾ [ص :٣٤ ، ٣٥] ا.هـ [٢].

❁❁❁

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٦٩) ، ومسلم برقم ١٦٥٤).

(٢) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ ٣٣٧ ٣٨٥ بتصرف.

سورة الزمر

"هل المغفرة بغير أسباب؟"

قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر : ٥٣]

الفهم الخاطئ: إنك تسمع هذه الآية فى موضعها وفى غير موضعها، إما فى باب الرجاء أوفى باب الأمن من مكر الله، يقولها الرجل وهو يظن أنها مغفرة من غير توبة ومن غير الأخذ بأسبابها وكيف تغفر جميعها من غير توبة ومعلوم أن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه.

والفهم الصحيح أن هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه، وكذلك قال الله بعدها ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ** ﴾ [الزمر : ٥٤].

وهذه التوبة مشروطة بالإتباع﴿ **وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ** ﴾ [الزمر : ٥٥].

والآية دعوة ألا يقنط العبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة والتوبة واسع حتى لا ييأس عبد من التوبة، ولا يقنط من رحمة الله.

هذا وإن كثيرًا من الناس يفسر التوبة بالعزم على أن لا يعود إلى الذنب بالإقلاع عنه فى الحال، وبالندم عليه فى الماضى وإن كان فى حق آدمي فلابد من أمر رابع هو التحلل منه.

وهذا الذى ذكروه بعض مسمى (التوبة) بل شرطها، وإلاَّ فالتوبة فى كلام الله ورسوله - ما تتضمن ذلك - تتضمن العزم على فعل المأمور والتزامه فلا يكون بمجرد الإقلاع والعزم والندم تائبا حتى يوجد منه العزم الجازم على فعل المأمور، والإتيان به، هذه حقيقة التوبة وهى إسم لمجموع الأمرين، لكنها إذا قرنت بفعل المأمور كانت عبارة عن ما ذكروه فإذا أفردت تضمنت الأمرين.

فإن حقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يجب وترك ما يكره، فهى رجوع من مكروه إلى محبوب، فالرجوع إلى المحبوب جزء مسماها والرجوع عن المكروه ، الجزء الآخر، ولذلك علق سبحانه الفلاح المطلق على فعل المأمور وترك المحظور بها، فقال **﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** .

فكل تائب يفلح ولا يكون مفلحًا إلاَّ من فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه. قال تعالى **﴿ومن لم يتب فأولئك هو الظالمون﴾** وتارك المأمور ظالم، وزوال اسم "الظالم" عنه، إنما يكون بالتوبة الجامعة للأمرين، فالناس قسمان: تائب وظالم ليس إلاَّ، فالتائبون هم العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، فحفظ حدود الله جزء من التوبة.

وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

وإنما يحب الله من فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه.

سورة غافر

"ما معنى الموتتين والحياتين؟"

قال تعالى: ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ** ﴾ [غافر : ١١].

الفهم الخاطئ: يتمثل فى كثرة السؤال عن الموتتين والحياتين!

أو تحديدها تحديدًا خاطئًا كمن حسب حياة القبر أو الحياة حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام، وحياهم فى الأرحام وهذا يستلزم أكثر من حياتين أو موتتين، بل يلزم ثلاث إحياءات وإماتات على الأقل.

والصحيح أن هذه الآيات كقوله تعالى ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٨].

والمقصود من هذا كله أن الكفار يسألون الرجعة وهو وقوف بين يدي الله عز وجل فى عرصات القيامة، فهم تلطفوا فى السؤال وقدموا بين يدي كلامهم هذه المقدمة وهى قولهم ﴿**ربنا أمتنا إثنتين وأحييتنا إثنتين**﴾ أى قدرتك عظيمة فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا، ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على ما تشاء، فقد اعترفنا بذنوبنا وإننا كنا ظالمين لأنفسنا فى الدار الدنيا ﴿**فهل إلى خروج من سبيل**﴾ أي فهل أنت محيينا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون، فأُجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه

وتنفيه، ولهذا قال تعالى ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر : ١٢] أي أنتم هكذا تكونون وإن رُدِدتم إلى الدار الدنيا كما قال عز وجل : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام : ٢٨].

❁❁❁

من سورة فصلت

"ما عدد أيام الخلق؟"

قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ من فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَاأَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩، ١٢].

الفهم الخاطئ: قال المستشرقون: فى هذه الآيات بين الله تعالى أنه خلق الأرض فى يومين، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام وقضى سبع سموات فى يومين، فمجموع هذه الأيام ثمانية، فى حين أنه بين فى بقية آيات القرآن أن أيام الخلق ستة أيام، على نحو ما جاء فى سورة الإعراف ويونس والفرقان والسجدة و ق.

فقال تعالى فى واحدة منهن ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾ [يونس: ٣] فكيف إذن؟ وزعموا أن هذا من التناقض فى القرآن، ومن هفوات محمد البشرية!!

والجواب على ذلك: نقول لهم مهلاً يا قوم، فهل هذا من عمى البصر أم من عمى البصيرة عندكم؟!.

إذ كل آيات الخلق مجمعة على أنها فى ستة أيام، بما فيها هذه الآيات التى

يجادل فيها الكفار، وسبحان ربى العظيم، إذ يسجل من الإعجاز القرآنى هنا أن تبدأ هذه الآيات بأسلوب يخالف بقية الآيات فى هذا الصدد، فتقول ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** ...﴾ الآيات. إذ فيها دلالة على أنه سيوجد من يكفر بهذه الآيات ويجادل فيها وهم الذين أتخذوا أندادًا من دون الله، ثم بنظرة سريعة حول الآيات نجد أن الله تعالى هنا وهو يُفصِّلُ خلق السموات والأرض، بين أنه خلق الأرض فى يومين، ثم قدر فيها أقواهما ومتاعها، والجبال أرساها، ونحو ذلك فى يومين آخرين، فاستغرق مجموع خلق الأرض بتوابعه أربعة أيام، ثم خلق السموات فى يومين آخرين، فهذه ستة وليست ثمانية . وذلك لأن قوله تعالى ﴿**خلق الأرض فى يومين**﴾ وقد ذكر بعدها ﴿ **وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ** ﴾ ليست غيرها، وإنما هو مجموعها، بمعنى يومين خلق، ويومين تقدير أقوات، فهي أربعة أيام ومثال ذلك فى كلامنا: تقول: بنيت العمارة، فأسستها فى ثلاث أشهر، وأكملت بناءها فى عام، فكم استغرقت مدة البناء؟ المدة عام، وليس عام وثلاثة أشهر، لأن مدة الثلاثة أشهر التى استغرقها الأساس داخلة فى العام، وليست خارجة عنه وهى جزء من كل"[(١)]

قال ابن كثير: خلق الله الأرض في يومين، فخلق الأرض وما فيها من شيء فى أربعة أيام ، وخلق السموات فى يومين، وفي البخاري ﴿**خلق الأرض فى يومين**﴾ يعني يومي الأحد والاثنين ﴿**وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها**﴾ أى جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس وقدَّر فيها

(١) مختصر من حديث للشيخ محمد متولى الشعراوى.

أقواهّا وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التى تزرع وتغرس، يعني يومي الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السابقين أربعة، ولهذا قال **﴿فى أربعة أيام سواء للسائلين﴾** أى لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه.

وقال عكرمة ومجاهد فى قوله عز وجل: **﴿وقدر فيها أقواهّا﴾** وجعل فيها من كل أرض ما لا يصلح فى غيرها.

وقوله تعالى **﴿سواء للسائلين﴾** أى لمن أراد السؤال عن ذلك، أو هو كقوله تعالى: **﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾** [إبراهيم : ٣٤] والله أعلم **﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾** وهى بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض، **﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها﴾** أى استجيبا لأمري وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين، وقال ابن عباس: أى قال الله تبارك وتعالى للسموات أطلعى شمسى وقمرى ونجومى ،وقال للأرض شقي أهارك وأخرجي ثمارك.

﴿قالتا أتينا طائعين﴾ واختاره ابن جرير رحمه الله، قالتا أتينا طائعين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والإنس جميعًا مطيعين لك.

وقوله **﴿فقضاهن سبع سموات فى يومين﴾** أى ففرغ من تسويتهن سبع سموات فى يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة **﴿وأوحى فى كل سماء﴾** أى ورتب مقررًا فى كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التى لا يعلمها إلا هو **﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾** وهى

الكواكب المنيرة المشرفة على أهل الأرض **﴿وحفظا﴾** أى حرسا من الشياطين أن تستمع إلى الملآ الأعلى **﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾** أي العزيز الذى قد عز كل شيء فغلبه وقهره، العليم بجميع حركات المخلوقين وسكناهم"[1]

❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٩٣ بتصرف .

"ما معنى الهداية؟"

٢- قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [فصلت : ١٧] الآية

الفهم الخاطئ فى صورة سؤال: كيف هديناهم، وفى نفس الوقت استحبوا العمى على الهدى؟!

والجواب أن الهداية هدايتان، هداية دلالة وهى قوله ﴿**فهديناهم**﴾ وهداية معونة، من قبل هداية الدلالة والإرشاد، مُنَح هداية المعونة والتوفيق ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾ [محمد :١٧] ومن رفضها كحال ثمود، فإنه لا يُعطي هداية المعونة وهو قوله ﴿**فاستحبوا العمى على الهدى**﴾ وهداية الدلالة والإرشاد قاسم مشترك لكل الناس، يملكها الأنبياء، وورثتهم من العلماء ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ [الشورى :٥٢] وهداية معونة وتوفيق ، لا يملكها إلا الله جل وعلا، وهى قوله: ﴿ **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص : ٥٦]

❁❁❁

من سورة الشورى

" ما معنى المودة فى القربى؟ "

قال تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]**الفهم الخاطئ**: زعم قوم أنها تأمر بالتوسل بآل البيت، فهم قرابة النبى ﷺ المعنيون بالآية .

وقد جاء هذا المعنى فى تفسير الألوسي وغيره :

ويجاب عما ذكر بأن الآية لم تذكر التوسل ولم تأمر به، وإنما قالت "المودة" التى هى المحبة، هذا .. و "القربى" الواردة فى الآية، قد تفسر بقرابة النبى ﷺ من قريش.

ويكون المعنى: قل يا محمد لقريش لماذا كفرتم وصددتم عن سبيل الله، مع أننى لم أطلب منكم أجرًا، ولا أخذت منكم مالاً، ولكن أسألكم بحق القرابة التى بيننا، والمودة التى كانت تربطنا أن دعونى أبلغ دعوة ربى.

وإن كانت القرابة بمعنى آل بيت النبى ﷺ فهى تأمر بمحبتهم، ومحبتهم من الدين لا ينكرها إلا جاهل أو منافق : فحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ولكن المحبة ليست تمسحًا بالأبواب، وتبركًا بالأخشاب، وسجودا على الأعتاب كما أنها ليست طوافًا بالقبور، ولا نذرًا يوضع فى صناديق النذور، ولا حلقًا للرؤوس وتقصيرًا للشعور، ولا سوقًا للذبائح والهدى تذبح عند المقاصير، تقربا بأصحاب القباب والمقامات والتوابيت!!.

وإنما المحبة شيء آخر، ارتبط بالطاعة والاتباع، والسير على المنهج واقتفاء الأثر.

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله عز وجل: ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة .

قال البخارى .. عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سُئل عن قوله تعالى ﴿**إلا المودة فى القربى**﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبى ﷺ لم يكن بطن من قريش إلاَّ كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة: وانفرد به البخارى[1]، ورواه الإمام أحمد عن يحيى القطان عن شعبة، وهكذا روى عامر والشعبى والضحاك وعلى بن أبي طلحة والعوفى ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال لهم رسول الله ﷺ: «**لا أسألكم عليه اجرًا إلاَّ أن تودونى فى نفسى لقرابتي وتحفظوا القرابة التى بينى وبينكم**».

---

(١) رواه البخاري كتاب التفسير. باب إلا المودة فى القربى (٣٤٩٧).

وروى الإمام أحمد .. عن ابن عباس - أيضا - أن النبى ﷺ قال: « **لا اسألكم عليه ما آتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلا أن توادوا الله تعالى وأن تقربوا إليه بطاعتة** »[1] وهكذا روى قتادة عن الحسن البصرى مثله، وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأن يقول: إلاَّ المودة فى القربى أى إلاَّ أن تعملوا بالطاعة التى تقربكم عند الله زلفى.

وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري وغيره: رواية عن سعيد بن جبير ما معناه أنه قال معنى ذلك أن تودونى فى قرابتى أى تحسنوا إليهم وتبروهم. وقال السدى عن أبي الديلم قال: لما جيئ بعلي بن الحسين رضي الله عنهما - أسيرًا فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه. أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت: الــ حم؟ قال: قرأت القرآن و لم أقرأ (الــ حم) قال: ما قرأت **﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلاَّ المودة فى القربى﴾**؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: "نعم" .

وقال أبو اسحاق السبيعى سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى **﴿قل لا أسالكم عليه أجرا إلاَّ المودة فى القربى﴾** فقال: قربى النبى ﷺ رواهما ابن جرير

وقال ابن أبي حاتم .. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية **﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾** قالوا يا رسول الله:

---

(١) صحيح رواه الحافظ ابن كثير فى التفسير وعزاه إلى أحمد (٤/١٤٠).

من هؤلاء الذين أمر الله بمودهم؟ قال: (فاطمة وولدها رضي الله عنهم) وهذا اسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعي مخترق وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره فى هذا المحل.

وذكر نزول الآية فى المدينة بعيد، فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضى الله عنها أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلي رضي الله عنه إلاَّ بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة .

والحق في تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن (عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما كما رواه عنه البخارى. ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وُجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي و أهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين. وقد أوردت فى ذلك آثارا كثيرة"[١].

❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ١١١- ١١٤ بتصرف.

سورة الزخرف

"من هو أول العابدين؟"

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ** ﴾ [الزخرف : ٨١]

والفهم الخاطئ: زعم قوم أن رسول الله ﷺ هو أول خلق الله الذين عبدوه بهذه الآية!!

والصواب: ليس كذلك، ولكنه الافتراض، أى قل يا محمد إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى لو فرض هذا لعبدته على ذلك، لأنى عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرنى به ليس عندى استكبار ولا إباء من عبادته، فلو فرض هذا لكان هذا، ولكن هذا ممتنع فى حقه تعالى ، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضًا، كما قال الله عز وجل: ﴿ **لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ** ﴾ [الزمر : ٤] ولما كان ذلك لا ينبغي ، فأنا أول من يجحد بنوة لله ويشهد على ذلك ، ولا يعبد غير الله ، وقال السدي فى الآية: لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له، وهو اختيار ابن جرير ولذلك قال سبحانه وتعالى بعدها: ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الزخرف : ٨٢] أى تعال وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد أحد صمد لا نظير له ولا كفء له، فلا ولد له. وهذا كقوله تعالى: ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٩١ ، ٩٢]

وكقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٢]

وكقوله جل وعلا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُواً كَبِيراً (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [الإسراء : ٤٢، ٤٤]

فهذا من قبيل الافتراضات التي يخاطب بها عقولنا لندرك توحيد الله تعالى عن بينة وعلى بصيرة.

❁❁❁

من سورة الدخان

"ما هى الليلة المباركة؟"

قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾** [الدخان ٣،٤]

الفهم الخاطئ: زعم قوم أن هذه الليلة هى ليلة النصف من شعبان، وأنها الليلة التى تُقدر فيها أقدار السنة، وتُقسم فيها الأرزاق، ونحو ذلك، ومن ثم خصص المبتدعة لها دعاء يسمى بدعاء ليلة النصف من شعبان، وفيه "اللهم إن كنت كتبتنى عندك شقيًا أو مطرودًا أو محرومًا أو مقترًا على فى الرزق، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وطردي وحرماني وتقتير رزقي ، واكتبني عندك سعيدا موفقا .. الخ"

والفهم الصحيح: أن الله تعالى يخبر عن القرآن العظيم أنه أنزله فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر، كما قال عز وجل **﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾** [القدر : ١] وكان فى شهر رمضان، كما قال تعالى **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾** [البقرة : ١٨٥] ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان - كما رُوى عن عكرمة - فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها فى رمضان.

والحديث الذى رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهرى أخبرنى عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله ﷺ - قال: «**تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل ينكح، ويولد له، وقد أخرج اسمه فى الموتى**» فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص.

وقوله عز وجل ﴿**إنا كنا منذرين**﴾ أى معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعا لتقوم حجة الله على عباده. وقوله ﴿**فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾ أى فى ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخره. وهكذا روى عن ابن عمر ومجاهد وابى مالك والضحاك وغير واحد من السلف. وقوله جل وعلا ﴿**حكيم**﴾ أى محكم لا يُبدل ولا يُغير، ولهذا قال جل جلاله ﴿**أمرًا من عندنا**﴾ أى جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه ..."[1].



(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ١٣٧ ، ١٣٨ .

من سورة الجاثية

"هل الهوى إله؟"

١- قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الجاثية : ٢٣]

يسأل سائل : كيف يُتخذ الهوى إلهاً؟ وكيف يُضله الله على علم؟

والجواب: إنه إذا ائتمر بهواه، ففعل ما رآه حسنا، وترك ما رآه قبيحا، فإنه يكون قد اتخذ هواه إلهاً أي مشرعًا، يحسن له ويقبح له، كما أن فيه ردًا على من قال بالحسن والقبح العقليين، وعن مالك فيما روى عنه من التفسير - لا يهوى شيئا إلا عبده"

وقوله ﴿**وأضله الله على علم**﴾ يحتمل قولين: أحدهما: وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك.

والآخر: وأضله الله بعد بلوغ العلم وقيام الحجة عليه، والثانى يستلزم الأول ولا ينعكس، وقوله ﴿ **وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً** ﴾ أى فلا يسمع ما ينفعه يعنى شيئا يهتدى به، ولا يرى حجة يستضيئ بها، ولهذا قال تعالى: ﴿**فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون**﴾ .

كقوله تعالى: ﴿ **مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ١٥٠ بتصرف، والآية من سورة الأعراف ١٨٦ .

"هل ينسى الله؟"

٢- وهناك من يسأل عن قول الله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾ [الجاثية : ٣٤] ويقول: كيف ينساهم الله تعالى، وقد جل عن السهو والنسيان؟!

والجواب: أي نعاملكم معاملة الناسي لكم فى نار جهنم، كما نسيتم لقاء يومكم هذا، أى فلم تعملوا له، لأنكم لم تصدقوا به ﴿**ومأواكم النار وما لكم من ناصرين**﴾.

وقد ثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة «**ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك تراس وتربع؟ فيقول : بلى يا رب، فيقول: أفظننت أنك مُلاقي؟ فيقول: لا ، فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتنى**»[1].

❁❁❁

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ١٥٣ .

من سورة الأحقاف

"متى نزل القرآن؟"

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الأحقاف : ٢٩ ، ٣٠]

والفهم الخاطئ يتمثل فى الاستفسار كثيرًا، أو الاعتراض أحيانًا على قول الله ﴿**كتابا أنزل من بعد موسى**﴾ يقولون: لماذا من بعد موسى، ولم يقل من بعد عيسى مع أن النبى ﷺ أرسل بعد عيسى، وليس بعد موسى، وقد أنزل الإنجيل من بعد التوراة، فلم ذلك؟!

وأقرب جواب وأوجزه: هل نزل القرآن من بعد موسى أم قبله؟ فإن كان قبله يحق الإعتراض، أما وقد نزل بعده فلا وجه للاعتراض، ويبقى الاستفسار عن ذكر موسى دون عيسى، وإن كان من قبيل العلم الذي لا ينبني عليه تكليف، فهو علم لا ينفع وجهل لا يضر.

ويجاب على ذلك بما يقرب المعنى للذهن، ويسكت الألسنة الطويلة أو المتطاولة فيقال: ذكر موسى ولم يذكر عيسى، لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ ورقائق وقليل من التحليل والتحريم، وهى فى الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فالعمدة هى التوراة، وكما ذكر فى الإنجيل على لسان عيسى «**وما جئت لأنقض الناموس، بل جئت لأكمل، نزول السماوات**

والأرض ولا يزول حرف واحد من الناموس»[١] فالأنجيل بمثابة جزء مكمل للتوراة، ولذلك قالوا "أنزل من بعد موسى" وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبى ﷺ بقصة نزول جبريل (عليه السلام) أول مرة فقال:« **بخ بخ هذا الناموس الذى كان يأتى موسى، ياليتني أكون فيها جزعًا إذ يخرجك قومك ، ولئن يُدركني يومك لأنصرنك نصرًا مؤزرا»**[٢] .

كما يمكن أن يقال: لعل هؤلاء القوم كانوا على دين موسى عليه السلام، وليسوا أتباعًا لعيسى عليه السلام، فتكلموا عن حالهم، لا عن تسلسل الرسالة، ولا مانع من ذلك أبدًا، فيكون حالهم فى ذلك كحال يهود المدينة الذين يتكلمون عن التوراة وعن موسى، دون ذكرهم للإنجيل أو عيسى، وذلك لعدم إيمانهم بذلك ، والله أعلم.



---

(١) إنجيل متى إصحاح ٥ (١٧ – ١٩) .

(٢) صحيح البخاري. كتاب بدء الوحي . باب كيف بدء الوحي على رسول الله ﷺ، برقم (٣) ومسلم . كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم (١٦٠) .

من سورة محمد (القتال)

"ما معنى أقفال القلوب؟"

قال تعالى: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ [محمد : ٢٤].

والفهم الخاطئ يتمثل فى هذا السؤال: وهل للقلوب أقفال؟!

والجواب أن الله تعالى أمر بتدبر القرآن وتفهمه، ونهى عن الاعراض عنه، وعبر عن ذلك الأخير بقوله ﴿**أم على قلوب أقفالها**﴾ أى بل على قلوب أقفالها فهى مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه.

قال ابن جرير عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قائلاً: تلا رسول الله ﷺ يومًا ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ فقال شاب من أهل اليمن، بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب فى نفس عمر رضي الله عنه حتى وليّ فاستعان به".

وما الذي يحول دون ذلك، وهذا الأسلوب من أساليب القرآن البلاغية، وقد عُرف أن القلب يوصف بأشياء ليست محسوسة، ولا من جنس المادة، ومثال ذلك ما وصف الله به القلب فى قوله تعالى ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق : ٣٧] ومعلوم أن كل إنسان يحمل قلبًا فى صدره، لكن الذى دلت عليه الآية هو العقل، والعقل هو العلم، والعلم محله القلب، ولذلك قال تعالى ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها ..**﴾[الأعراف : ١٧٩] وقال أيضا: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي**

الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] و لم يختلف العلماء حول أن القلب هو مكمن المشاعر والأحاسيس، وأنه رأس أعضاء الإنسان ومواطن الإيمان والكفـــر، ولـــذلك وُصف القلب – فى القرآن – بالحياة وهو القلب السليم فى قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩].

والموت وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٢٢].

والمرض فى قوله تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [البقرة : ١٠].

والطبع فى قوله تعالى: ﴿**وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ** ﴾ [التوبة : ٨٧].

كما ذكر القرآن أسباب شفائه من الشبهات أو الشهوات أوغير ذلك. وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[يونس : ٥٧] كما قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء :٨٢].

❁❁❁

من سورة الفتح

"هل أذنب النبى محمد ﷺ؟"

قال تعالى: **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾** [الفتح : ١ ، ٢].

والفهم الخاطئ: أن الآية يوهم ظاهرها أن النبى ﷺ أذنب، وأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وكيف يكون ذلك مع عصمة الأنبياء والرسل؟!

والجواب: ليس الأمر كما هو متوهم من ظاهر الآية، لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقع منه ذنب ، وإنما خلاف الأولى بالنسبة للأنبياء، يمكن إطلاق كلمة **﴿الذنب﴾** عليه، فالعدول عما هو أصوب إلى ما هو صواب. أو ما هو أحسن إلى ما هو حسن، محل عتاب من الله تعالى لأنبيائه ورسله، وذلك على نحوِ ما حدث بالنسبة لأسرى بدر، أو أذن النبى ﷺ لبعض المنافقين قبل أن يتبين حالهم، أو أعراضه عن عبد الله ابن أم مكتوم وهو الأعمى، وقع فيها خلاف الأولى، فعفا الله عنه، وغفر له ذلك[1].

❁❁❁

(١) راجع ذلك بتوسع فى كتابنا "حقيقة الإيمان" جـ٢ صـ ١٢٩ – ١٣٦ .

"علام يرجع الضمير؟"

٢- قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٩)** ﴾[الفتح : ٨ ، ٩].

الفهم الخاطئ: ما سمعته من بعض أدعياء العلم الذين يتصدرون الدعوة من غير بينة، يقول أمر الله تعالى بأن نسبح الرسول ﷺ كما يجب توقيره وتعظيمه، ثم ذكر الآية!!

وهذا الذى قال إنما أُتِىَّ من قبل جهله، وعدم معرفته بأساليب اللغة العربية.

والآيتان يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿**إنا أرسلناك شاهدا**﴾ على الخلق ﴿**ومبشرا**﴾ أي للمؤمنين ﴿**ونذيرا**﴾ أى للكافرين. ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما - وغير : تعظموه ﴿**وتوقروه**﴾ من التوقير وهو الإحترام أو الإجلال والإعظام ﴿**وتسبحوه**﴾ أى تسبحون الله ﴿**بكرة وأصيلا**﴾ أى أول النهار وآخره.

إذًا الضمير فى قوله ﴿**وتسبحوه**﴾ يعود إلى الله عز وجل، لا إلى رسول الله ﷺ، وذلك لأن الآية تحدثت عن الله وعن الرسول، فذكرت التعزير والتوقير، وقد عاد إلى الرسول ﷺ باعتبار الضمير يعود إلى أقرب مذكور، ثم لم تغفل الآية الكلام عن الله عز وجل فذكرت الأمر بالتسبيح وهو عائدٌ إلى الله تعالى قطعًا.

وأما قوله جل وعلا بعد ذلك ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ [النساء : ٨٠] فهو كقوله ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ [الفتح : ١٠ ، ٢].

من سورة الحجرات

"هل رسول الله حى لم يمت؟"

قال تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ** ﴾ [الحجرات : ٧].

زعم قوم أن الرسول ﷺ حى لم يمت، وأنه يعيش بيننا ويعرف كل شيء عنا، ينظر إلى الأمور التى تقع من وراء ستار رقيق، وقد كشفت عنه الحجب، مستدلين بهذه الآية الكريمة.

والفهم الصحيح أن هذه الآية لا تؤخذ وحدها ليستخرج منها هذا الحكم وهو جد خاطئ وخطير، كما لابد من فهم الآية فى سياقها، وهى موجهة إلى الصحابة رضوان الله عليهم توجههم وترشدهم وتقول لهم: اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا مع، وانقادوا لأمره فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم، كما قال تبارك وتعالى، ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ [الأحزاب : ٦] .

وأما الأمر بالنسبة لنا نحن الذين لم ندرك حياة النبى ﷺ فقد وجب علينا ما وجب على الصحابة من التعظيم والتوقير والتأديب والانقياد، وكذا يجب مع سنته المتبقية لنا بعد وفاته ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء : ٨٣] قال العلماء يُرد إلى الرسول ﷺ بشخصه فى حياته، وإلى سنته بعد مماته، هذا ومن

أعجب العجب أن يُستدل بهذه الآية على حياة الرسول ﷺ الآن، حياة كالتي نعهدها، مع أن الله تعالى يقول: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ [الزمر : ٣٠] وكذا قال: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وغيرها ويُقال: إن الرسول ﷺ يعرف كل شيء عنا.

وفى كتاب الله تعالى: ﴿**وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم**﴾ [الأحقاف : ٩]

وفى السنة المطهرة يقال له – عند الحوض – لأُناس منعوا من الشرب «**إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك**»[1] وغير ذلك، ويقال: ينظر إلى الغيب من وراء ستار رقيق أو كشف عنه الحجب أو نحو هذا، وقد قال تعالى ﴿ **وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٨٨].

كما قال تعالى: ﴿ **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأنعام : ٥٠].

❁❁❁

---

(١) رواه البخاري. كتاب الرقاق، باب فى الحوض برقم (٦٥٧٦)، ومسلم فى كتاب الفضائل. باب إثبات حوض نبينا وصفاته برقم (٢٢٩٩).

من سورة ق

"ما معنى (ق)؟"

قال تعالى: ﴿ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ** ﴾ [ق : ١].

الفهم الخاطئ تمثل فى إسرائيليات فى معنى (ق) تثير فيك العجب. ومن ذلك قولهم: (ق) جبل يسمى القاف، وهذا الجبل عبارة عن الآتى: لما خلق الله الأرض، جعل فى نهايتها بحرا، وفى نهاية البحر جبل على قمته السماء الدنيا، ثم خلق أرضًا، وراءها بحر، ثم وراءها جبل اسمه جبل القاف، بنيت السماء الثانية عند قمته، وهكذا أرض وراءها بحر، وراءها جبل حتى تكتمل سبع أراضين،وسبع بحور، وسبع جبال، كل جبل منهم اسمه (جبل القاف) كما تحكى الإسرائيليات أن الأرض محمولة على صخرة والصخرة على قرن ملك، الملك رجلاه معلقة فى الهواء .." حكايات وأساطير!!

والحق أن (ق) حرف من الحروف المقطعة التى افتتحت بها تسع وعشرون سورة فى القرآن الكريم وعلى نحو ما أشرنا إلى ذلك فى قوله تعالى ﴿**طه**﴾ و ﴿**يس**﴾.

وأفضل ما يقال فى ذلك: الله اعلم بمراده.

وكذا نستطيع أن نقول ﴿**ق**﴾ هو أول حرف من كلمة (قرآن) هذا الذى أعجز الله به الثقلين، وكما يقال: حروف من جنس حروفكم، وكلام من جنس كلامكم، فمن يستطيع أن ياتى بمثل هذا القرآن، أو بعشرة سور مثله أو بسورة مثله، ولو أن تكن كأقصر سورة من سور القرآن.

فليس ﴿**ق**﴾ بجبل ولا أرض ولا بحر. ولا الأرض على قرن ملك، ولا الملك معلق فى الهواء، فهذه خرافات.

من سورة الذاريات

"ما معنى العبادة؟"

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٩]

الفهم الخاطئ: لقد جاءت الآية الكريمة بين أداة نفى وأداة استثناء، فأفادت الحصر، فكيف حصر الله عز وجل حياتنا فى أداء العبادة فقط وهل معناها أننا خُلقنا للعبادة فقط، فلا مجال لغير العبادة، فلا طعام ولا شراب، ولا نوم ولا راحة، ولا لعب ولا رياضة ، ولا مداعبة زوجة أو ملاعبة ولد، فأين هذا مع انحصار مهمة الخلق فى العبادة فحسب؟!!

والجواب: أن هذا كله وغيره من العبادة إذا فهمت بمعناها الشامل الصحيح.

فكل الذي ذُكر داخل في نطاق ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ الأكل والشرب والنوم والجماع والتريض ورمى القوس والسباحة والرماية وركوب الخيل، ومداعبة الزوجة وملاعبة الولد، كل هذا من العبادة مع الفهم الصحيح لها، ولا بديل عن ذلك، لأن هذه الأشياء مالم تدخل فى نطاق العبادة، فلا مجال لها ولا مكان، وكذلك كل ما يخدم العبادات من الأمور المباحات هو عبادة الله، وهذا المعنى تؤيده آية الأنعام ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين﴾ [الأنعام : ١٦٢].

فذكرت أهم العبادات "الصلاة والنسك" ثم أجملت بقية العبادات فى حياة الإنسان إلى حين مماته أيضًا، بمنهج يحكمه يجب أن يكون لله.

فالعبادة لها مفهوم أشمل مما نتخيل وأجمع مما نتصور وقد ضرب لها النبى ﷺ أمثلة فى حديثه، فمثلا:« **تبسمك فى وجه أخيك صدقة، حملك لأخيك على دابته صدقة، حملك متاعه على دابته صدقة، حتى قال: وفى بضع أحدكم صدقة، والبضع هو الشهوة والجماع، وهنا استغرب الصحابة وقالوا: يا رسول الله : أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيا أجر؟ فقال: أرأيتم إن وضعها فى حرام، أما كان عليه وزر؟ فقالوا: بلى، فقال: فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر**» .

إذًا ، العبادة وصلت لهذا الحد الذى هو إتيان الشهوة فى الحلال، فكذلك الأكل والشرب والنوم، ومداعبة الزوجة وملاعبة الولد، ورمي القوس، كذلك اللقمة ترفعها إلى فم زوجتك، وكل ما تطعمه لأهلك، فهذا ونحوه متى ما أخلصت النية لله، وصوبت العمل وفق سنة رسول الله ﷺ فهو عبادة وقد قال تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾ [البينة : ٥]كذا قال: ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ [الملك : ٢] وأحسن العمل أصوبه وأخلصه، وإخلاصه لله، وصوابه أن يكون وفق السنة، كما فسرها الفضيل بن عياض رحمه الله.

وقوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ كقوله فى فاتحة الكتاب ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ فى تقديم المفعول على الفعل ليفيد الاختصاص، والاستعاضة عن الضمير المتصل بالمضير المنفصل للسبب ذاته، وذلك حتى لا يحتمل الأسلوب إضافة لغة ولا شرعًا.

وشبيهه بذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [الزمر : ٦٥] ولم يقل "اعبد الله" لإفادة المعنى ذاته، وهو الاختصاص، بتقديم المفعول على الفاعل - ثم نعود فنقول: إن المباحات قد تتحول إلى طاعات أو إلى معاصي، وضابط ذلك هو النية، وصورة العمل، فإذا أخلص المرء النية وصوب صورة العمل وفق ما جاء فى السنة فهى العبادة لله تعالى.

وكذا إذا خرج الإنسان يسعى على رزقه، أو زار أخاً له فى الله، أو عاد مريضاً أو شيع ميتاً، أو قرأ درساً أو حضر علماً، أو تلى قرآناً، فهو من العبادة من باب أولى.

ولذلك فالمسلم إذا التزم بالهدى المحمدى، صار متعبداً دائما، وأصبح من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، ولذلك يجب أن نفهم العبادة بمفهومها الشامل الذى دلت عليه الآيات، ومن خلالها استطاع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أن يضعوا تعريفاً للعبادة ، أخذوه من فهمهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة المطهرة، فقالوا العبادة: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، أو البدنية والقلبية" وهو تعريف جمع فأوعى.

وتفصيل القول قد ذكر فى كتب العقيدة فيراجعه من شاء(١).

❁❁❁

(١) راجع كتابنا: حقيقة الإيمان، وكذا "عقيدة المؤمن" للشيخ أبي بكر الجزائرى.

من سورة الطور

"من يلحق بمن؟"

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ [الطور : ٢١]

والسؤال: إذا كان الوالدان فى درجة عالية تلحق بها الذرية، فكيف إذا كانت الذرية فى الدرجة العليا، فهل يلحق الوالدان بالذرية أم لا؟

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يُقال بعدها ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾وهذا ليس من كسبه وإنما هو شيء آخر؟!!

والجواب على ذلك: أن الله تبارك وتعالى يخبر عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه واحسانه أن المؤمنين إذا تبعتهم ذرياتهم فى الإيمان يلحقهم بآبائهم فى المنـــزلة وإن لم يبلغوا عملهم لتقر عين الآباء بالأبناء، عندهم فى منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنـــزلته للتساوى بينه وبين ذاك، ولهذا قال: ﴿ **أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ** ﴾ قال الثورى عن عمر بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن فى درجة وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ** ﴾ رواه ابن جرير وأبى حاتم، وروى أبن أبى حاتم .. عن ابن عباس فى الآية ، قال : "هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان ، فإذا كانت منازل آبائهم أرفع

من منازلهم ألحقوا بآبائهم و لم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئا"

وروى الطبراني عن ابن عباس – أظنه عن النبي ﷺ – قال : « **إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فقال إنهم لم يبلغوا درجتك، فيقول يارب قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به، وقرأ ابن عباس ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان﴾** »[1].

فهذا فضل الله تعالى على الأبناء ببركة الآباء، وأما فضله علىالآباء ببركة دعاء الأبناء ، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضى الله عه قال : قال رسول الله ﷺ: « **إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك** » إسناده صحيح و لم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد فى صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أوعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له** »

وقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ لمـّا أخبر عن مقام الفضل و هو رفع درجة الذرية إلى منـزلة الآباء من غير عمل يقتضى ذلك، أخبر عن مقام العدل وهو أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، وهو مرهن بعمله، لا يُحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أبًا أو ابنًا[2].

❁❁❁

---

(١) حديث حسن: رواه السيوطى فى الدار المنثور (١١٩/٦) والهيثمى فى المجمع (١١٤/٧) والهندى فى كنـز العمال برقم (٣٩٣٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ صـ ٢٤١، ٢٤٢ بتصرف.

من سورة النجم

"ماهى الغرانيق؟"

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم : ١٩ ، ٢٢].

والفهم الخاطئ مرتبط بما يعرف هنا بقصة الغرانيق التى زعمت أن النبى ﷺ لما قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ قرأ بعدها: "تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهن لتُرتجى"

فقال المشركون: ما رأيناه يمتدح آلهتنا كما امتدحها قبل اليوم!!

ودعموا كلامهم هذا برواية صحيحة فى حديث البخارى «**أن النبى ﷺ لما قرأ سورة النجم فأتمها، سجد النبى ﷺ فسجد معه المسلمون والمشركون**»

فقالوا: ما دام سجد المشركون، فسجودهم لأن عليه الصلاة والسلام امتدح أصنامهم!!.

وقد أخذت قصة الغرانيق مجالاً مطولاً فى التصويب والتخطئة والأخذ والرد، بين المستشرقين والمستغربين، وبين بعض طلبة العلم المتنطعين، مع السجالات والمناظرات!!

والغريب أن المفسرين أوردوا كل الروايات التى ذكرت فى قصة الغرانيق، وحاولوا أن يقووا بعضها ببعض وقد راموا تصحيحها، ومنهم من وضع لها

أسانيد صحيحة!!

نقول: الأمر ليس كذلك البتة، فكل أحاديث قصة الغرانيق التي وردت مرسلة فهي من الضعيف، ويُذكر أنها اخترعها قوم كانوا ينتسبون إلى الخوارج وكثرت فيهم، وأنها منكرة، وما رُفع منها إلى النبى ﷺ فهو موضوع، مكذوب على رسول الله ﷺ.

ثم نقول: هل يصح المدح والذم فى آن واحد، بحيث يقرأ النبى ﷺ: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾** الآيات. مع مدحه لهذه الأصنام فى نفس السياق .

فما هذا التناقض؟ أيعقل هذا أن يقوله عاقل، فضلا عن أن يتفوه به سيد العقلاء والبلغاء، ويسمعه أهل اللغة والبلاغة ولا يمجونه؟! ثم كيف يقع هذا مع نبي من الأنبياء عصمه الله؟ عصمة من همزات الشياطين، وأن يحضروه، فكيف يتكلم الشيطان على لسانه؟!.

وهذا الشيطان يقسم بعزة الله على عدم إغواء المخلصين **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾**

ومحمد ﷺ على رأس المخلصين، كما أنه إمام الموحدين، فكيف يمتدح أصنام المشركين؟!

والشيطان ليس له سلطان على العباد المخلصين من غير المعصومين، فكيف بالأنبياء المعصومين؟!

هذا فضلاً عن أن كلمة الغرانيق، لم تطلق على أصنامهم، وإنما يقال إن الغرنوق اسم لطائر مائي أسود أو أبيض!!

فالقصة اسرائيلية مكذوبة، وفيها اتهام صريح للنبى ﷺ، واعتقادها يورث الكفر والعياذ بالله[1]

❁❁❁

(١) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ ٤٤٢ ٤٥٤ بتصرف.

من سورة القمر

"ما معنى قرب الساعة؟"

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ١ ، ٢]

الفهم الخاطئ لمن يقول: مضى ما يزيد عن أربعة عشر قرناً منذ أن نزلت هذه الآية ، ولم تقم الساعة بعد ، كما قال قوم : لم ينشق القمر، وإنما معناه سينشق مع قيام الساعة، فهو باعتبار ما سيكون !! كما ذكره قوم.

والحق الذى نعلمه: أن الله تبارك وتعالى يخبر عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالى **﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾** [النحل : ١] وقال **﴿اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون﴾** [الأنبياء : ١] وقد وردت الأحاديث بذلك، عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق فيها إلا سف يسير، فقال: « **والذى نفسى بيده ما بقى من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيرا** »(١) وقد قال ﷺ: « **بعثت أنا والساعة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى** » وفى رواية « **بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، إن كادت لتسبقنى ، وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى** »(٢).

---

(١) رواه البزار وابن حبان.

(٢) رواه البخاري (٤٩٣٦) ، (٥٣٠١) ، (٦٥٠٣)، ومسلم برقم (٢٩٥٠)، (٢٩٥١).

فالساعة قد اقتربت - كما بين الله تعالى، وبيَّن رسوله ﷺ - ولكن ليس القرب بمقاييسنا نحن، وإنما ذلك بمقياس الأيام عند الله تعالى **﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾** فمضى ألف وخمسمائة سنة، معناه يوم ونصف، وبقاء أيام معدودة من أيام الله، هى فى علم الله، معناه القرب بالنسبة لما سبق، وذلك واضح.

وأما قول من قال: إن القمر لم ينشق قبل، وإنما سينشق مع الساعة، فهذا تأويل باطل، وقول مردود، فقد ثبت بالتواتر أمر انشقاق القمر، معجزة للنبى ﷺ، ودليله واضح وصريح فى هذه الآية الكريمة ويؤكده ما جاء فى السنة أيضا، ومن ذلك ما رواه مسلم عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما[١].

وقال البخاري عن ابن عباس قال : " **انشق القمر فى زمان النبى ﷺ**"[٢] « **وقال ابن عباس فى قوله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ قال: قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة ، انشق القمر ورأوا شقية** »[٣].

وعن أبي عبد الرحمن السلمى قال: "نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ ، فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه فخطب حذيفة فقال: إلا إن الله يقول **﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾** ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) البخاري : كتاب المناقب . باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية . برقم (٣٦٣٦) ، ومسلم كتاب صفات المنافقين ، وباب انشقاق القمر برقم (٢٨٠٠).

(٣) رواه ابن جرير.

القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار ، وغدا السباق .."[١] هذا وهنا عدد من الأحاديث بلغ مبلغ التواتر. بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أى انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات[٢].

❁❁❁

(١) رواه ابن جرير.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٢٦١ بتصرف.

من سورة الرحمن

"هل نحن مسئولون؟"

قال تعالى: ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ** ﴾ [الرحمن : ٣٩]

فى حين قال تعالى : ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون**﴾ [الصافات : ٢٤] فكيف يتفق هذا مع ذاك؟

قال المستشرقون: إنها تحمل معنى الناقض، فآية تنفى السؤال، والآخرى تثبته.

والجواب: ليس الأمر كما زعموا، فجهل المستشرقين باللغة وبمدلولاتها أوقعهم فى مثل هذه الأخطاء التى قاموا يحاربون القرآن بزعم أنه يحمل تناقضًا فى بعض آياته.

والحق أنه ليس ثمة تناقض ، فهناك فارق بين سؤال وسؤال ، بين سؤال للعلم ، وسؤال للإقرار ، فسؤال العلم يسمى سؤال ، وأما السؤال التقريرى فيحمل معنى السؤال فى حقيقة الأمر ، بمعنى إذا سأل التلميذ الأستاذ فإن التلميذ يريد أن يتعلم من الأستاذ وأما إذا سأل الأستاذ التلميذ ، فهل يسأله ليتعلم؟ الإجابة: لا ، وإنما يسأل ليقرر حقيقة. فالسؤال هنا فى غير بابه ، إذاً هناك سؤال للعلم ، وهذا منفي فى الآية الكريمة ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ** ﴾ أي لا يسألون سؤال علم ، لأن الله عز وجل علم منهم كل شيء ، فلمَ يسئلهم ، وهو أعلم؟ فنفى سؤال العلم. ولكن فى مجال الإنكار والتكذيب. يكون السؤال هو الفيصل ، فمثلاً يقول لك الطالب: لو سألتنى

سأجيبك ، فتسأله لتقرير الحقيقة ، ليتضح صدقه من كذبه.

فوزارة التربية والتعليم عندنا مثلاً ، إذا عملت امتحانات للطلاب، فليس ذلك لأخذ الإجابات والتعلم منها، وإنما لتكون إجابة الطالب حجة له أو عليه، تقريراً للحقيقة ﴿ **كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** ﴾ [الإسراء : ١٤] فهناك من الناس من ينكر الحقائق ويجادل فيها فيسأل ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون**﴾.

كالذى يقول الله له: أى عبدي، أأنت فعلت كذا وكذا، يقـــول: مـــا فعلت، فهذا يتم سؤاله ويتم الاشهاد عليه لتقرير الحقيقة، ومثل هذا السؤال إنما هو لإقامة الحجة ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون**﴾ فهناك فارق بين سؤال عن العلم، وهذا منفي ، لأن الله قد علم. وهو قول الله ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْـأَلُ عَـن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ** ﴾ وبين سؤال لتقرير الحقيقة وإقامة الحجة على الخلـــق، وفيه قال الله ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون**﴾ والله أعلم[١].

فقوله تعالى ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ** ﴾ كقوله ﴿**هَذَا يَـوْمُ لاَ يَنطِقُونَ (٣٥) وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] فهذا فى حـــال وذاك فى حال، ولهذا قال قتادة فى الآية ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الحجر : ٩٢ ، ٩٣] قد كانت مسألة ثم خُتم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

فقال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا، لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا، فهذا قول ثان[٢].

---

(١) تفسير الشيخ الشعراوى.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ، صـ ٢٧٥ بتصرف.

من سورة الواقعة

"من هم الآخرون؟"

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة : ١٠ ، ٢٤]

والفهم الخاطئ فى معنى ﴿وقليلٌ من الآخرين﴾ فكيف تكون أمة محمد ﷺ وهى أكثر الأمم وأقربها إلى الله ، أمة يقل مقربوها أو سابقوها ، مع أنه قد ورد أنهم أكثر أهل الجنة؟!

ثم لماذا يشربون الخمر فى الجنة مع أن الله حرمها فى الدنيا ، ولو كان فيها خير ما حرمها فلما يشربوها؟ ولماذا قال الله ﴿وحور عين﴾ بالرفع بدلاً من عطفها على سابقها بالجر؟ ولماذا جعل للرجال حوراً ، ولم يجعل للنساء من الرجال من هو بتلك الصفات؟!

هكذا يسأل البعض ، ويتشدق آخرون ، ويبحثون عن غوامض العلم ، وما خفي من الحكمة ، ولكن يجاب على ذلك بما يقرب الأمر إلى الأذهان ، حتى لا ندع مجالاً لوسوسة الشيطان فنقول - وبالله التوفيق : إن أصح ما ورد فى معنى الآية ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ أن هذا خاص بهذه الأمة ، وأن الأولين هم النبى محمد ﷺ وأصحابه ، والقرون

المشهود لها بالخير ، وأن الآخرين من جاء بعدهم ، ممن يقل فيهم من يكون من السابقين المقربين.

وحتى لو أريد بالأولين الأمم الماضية ، فلابد من نظرة إلى مجموع هذه الأمم فى أزمانهم المتفاوتة ، وهذه الأمة التى جاءت فى آخر الزمان بين يدى الساعة ، ومع ذلك فقد بشرها النبى ﷺ بأن تكون نصف أهل الجنة أو تزيد.

وأما لماذا يشربون الخمر فى الجنة مع أن الله حرمها فى الدنيا. فلأن هذه ليس من جنس تلك ، وإنما هو الاشتراك فى الاسم فقط ، وكل نعيم الجنة قد ذكر بإسمه المعروف فى الدنيا ، إنما هى الأسماء فقط دون المسميات ، ثم هى خمر **﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾** ليس فيها صداع رأس، ولا ذهاب عقل ، وما كان كذلك لا يكون حراماً حتى فى الدنيا ، وأما خمر الدنيا فكما تعلم ، ولذلك عوقب شاربها فى الدنيا بالحرمان منها فى الآخرة.

وأما لماذا قال الله **﴿حور عين﴾** بالرفع، فنقول: وقرئ بالجر أيضا ، وتوجيه قراءة الرفع تقديره **﴿وهلم فيها حور عين﴾** وقد ذكر من الحكمة أنها رفعت كالمبتدأ الذى له الصدارة لأهميته ، فلم تعطف على الفاكهة واللحم ، لأنها أفضل من ذلك وأعظم.

وأما لماذا جعل الله للرجال حوراً ، وليس كذلك للنساء ، فهو كما يجوز للرجل أن يعدد الزوجات فى الدنيا ، ولا يجوز للمرأة أن تعدد الأزواج ، والحكمة فى ذلك واضحة ، ثم إن الأزواج بالنسبة للزوجات كالحور العين ، والنعيم مكتمل ، والمتعة قائمة ، واللذة قد بلغت حدها ، فما شكوا ذلك إلينا ، ولا يوجد فى الجنة ما يوجد فى الدنيا[1].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٢٨٤ – ٢٨٨ بتصرف.

من سورة الحديد

"كيف أنزل الله الحديد؟"

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحديد : ٢٥]

قال قوم: كيف أنزل الله الحديد؟ ولماذا لم يقل خلقنا الحديد ، بدلا من أنزلنا؟!!

والجواب: أن ذلك من جنس ﴿**وأنزلنا معهم الكتاب والميزان**﴾ فإن كان لنـــزول الكتب وجه تتصوره ، فكيف أنزل الميزان؟وقد قال تعالى أيضا ﴿**والسماء رفعها ووضع الميزان**﴾ [الرحمن : ٧] وكذا يقال: ترد ﴿**أنزل**﴾ بمعنى ﴿**جعل**﴾ وفى مثل قوله تعالى ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً** ﴾[الأعراف : ٢٦] وقوله تعالى ﴿**وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج**﴾[الزمر : ٦] وهنا قوله ﴿**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**﴾ أى وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام الرسول ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السوز المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد وبيانات ودلالات ، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله بعد الهجرة أمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب لمن خالف القرآن وكذب به وعانده[1].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٣١٤ بتصرف.

هذا وإن كان هذا الكلام للمفسرين القدامى ، فإن الآية تحتمل معنى آخر، هو لون من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، وهو أن الحديد تتكون مادته فى العلو ، ثم تتنــزل بالفعل ، ويكون معنى **﴿وأنزلنا الحديد﴾** على حقيقته[1] والله أعلم.

❁❁❁

(١) راجع بتوسع: الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم، للشيخ عبد المجيد الزندانى.

من سورة المجادلة

"هل تجوز مودة الكافرين؟"

قال تعالى: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢].

وقال تعالى فى سورة لقمان: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٤ ، ١٥]

الفهم الخاطئ : قال قوم من المستشرقين ومن لف لفهم : كيف يأمر الله بشيء وينهى عنه؟ ففى آية لقمان أمر الله عز وجل بطاعة الوالدين وإن كانا مشركين ، وأمر ببرهما والإحسان إليهما ، ومصاحبتهما فى الدنيا بالمعروف، وقد نهى عن ذلك فى سورة المجادلة فحرم ودهما ومحبتهما ، وقد نزلت فيمن قتل أباه ، ومن أراد أن يقتل ابنه ، ومن قتلوا إخواهم وعشيرتهم.

وقد ظنوا أن هذا من التناقض فى كتاب الله تعالى!!

والجواب: ليس هذا من التناقض فى كتاب الله تعالى!!

والجواب: ليس هذا من التناقض فى شيء – وحاشا لكتاب الله تعالى – وإنما هو جهل القوم باللغة ، كما جهلوا معالم الدين ، فالمعروف الذى أمر

الله عز وجل به - فى سورة لقمان - شيء ، والود الذى نهى عنه - فى سورة المجادلة - شيء آخر ، مختلف تماماً عن المعروف.

فالمعروف تصنعه مع من تحب ومع من لا تحب ، أما الود فلا يكون إلا لمن تحب.

فقد تخرج من المسجد وتلقى فقيراً ، ولا تربطك به صلة ولا تعرفه من قبل ، فيسألك حسنة فتصنع به معروفاً ، وأنت فى نفس الوقت لا تعرفه ولا تحبه إذاً تصنع المعروف مع من تعرف ومن لا تعرف ومع من تحب ومن لا تحب ، ومع أهله وغير اهله، فهذا المعروف، بخلاف الحب أو الود الذى ينحصر فى أهل الإيمان، ونهى الله عنه مع الكافرين والمشركين ، ولو كانوا الوالدين أو أقرب الأقارب ، وقد ظهرت منهم محادة الله ورسوله.

فضابط الحب فى الإسلام كما قال تعالى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ وكذا قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة : ٢٣ ، ٢٤] كما قال النبى ﷺ

« **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب**

إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر – بعد إذ أنقذه الله منه – كما يكره أن يقذف به فى النار »[١].

إذاً المعروف شيء والود شيء آخر ، والله تعالى قد أمر بالمعروف مع الوالدين بمثابة رد الجميل لوالدين ربياك فى الصغر ، وأعاناك على الحياة حتى كبرت ، فآمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، وأبيا إلاَّ الشرك ، فقمت بنصحهما ودعوتهما ، وحضهما على الإسلام ، فإن أبيا فأنت على دينك ولا تكرههما عليه ، ولكن هذا لا يمنعك بأن ترد الجميل بصنع المعروف ، دونما يكون لهما أدنى حب في قلبك ، أو ود في فؤادك ، ولكن تصنع لهما المعروف الذى أمر الله به **﴿ وصاحبهما فى الدنيا معروفا ﴾** ويبقى الحب لله وفى الله ، على نحو ما بينت الآيات والأحاديث ، لأن قلب المؤمن الذى امتلأ بمحبة الله ، وبمحبة المؤمنين ، لا يحتمل أبداً محبة الكافر ، وإذا كان الله تعالى لم يجعل للإنسان قلبين فى جوفه ، فمعناه إذا أحب كافراً فلم يبق فيه حب الله ولا رسوله ولا المؤمنين ، وهذا ضرب من الكفر والعياذ بالله تعالى ، ولذلك لما تمركز الإيمان فى قلب أصحاب النبى محمد ﷺ وأيدهم الله بروح منه ، فسيطر عليهم حب الله وحب رسوله وحب الجهاد فى سبيله، فلم يبق مكاناً لحب كافر ولو كان من كان ، حتى الوالدين ، فامتدحهم الله على ذلك، بالآية التى بين أيدينا **﴿ لا تجد قوما يؤمنون .. ﴾** الآية وإن كان هذا لا يمنع من صنع المعروف مع آبائهم أو غير آبائهم ، لكن

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان برقم (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان باب بيان خصال الإيمان برقم (٤٣).

إذا جاهداك على أن تشرك بالله ، وحرصا على أن تتبعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ورضيَّ الله عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزلت فيَّ هذه الآية: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا** ﴾ الآية

قال: "كنت رجلاً باراً بأمي ، فما أسلمت ، قالت يا سعد ما هذا الذى أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعير بي ، فيُقال يا قاتل أُمه ، فقلت: لا تفعلي يا أماه ، فإني لا أدع ديني هذا لشيء ، فمكثت يومًا وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يومًا آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك ، قلت يا أماه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا لشيء ، فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي ، فأكلت"[1]

فأين التناقض؟

وإذا أرد الله نشر فضيلـــة　　　طويت ، أتاح لها لسان حسود

❁❁❁

---

(١) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سعد بن أبيوقاص برقم (١٧٤٨).

من سورة الحشر

"ما معنى خشوع الجبل وتصدعه؟"

قال تعالى: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الحشر : ٢١].

والفهم الخاطئ، يتمثل فى عدم فهم هذه الآية بمعناها الحقيقى ، وسؤال الناس عن كنه ذلك ، وكيف يكون ، ويتخيل لو أن وضع مصحفاً على جبل شاهق يتفتت ، ويحاول أن يفعل ذلك فلا يجد خشوعاً ولا تصدعاً ولا تفتتا!!

وجوابنا: أن هذا هو الجهل بعينه ، وعدم معرفة أساليب اللغة وبلاغة القرآن ، وتدبر كلام الرحمن جل وعلا ، ذلك أن الآية ضرب مثل.

وقد أراد الله تعالى أن يقول: إن كان الجبل فى غلظته وقسوته لو فهم هذا القرآن ، فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ، ولهذا قال تعالى ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾

كما قال ابن عباس فى الآية : " لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله من خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع.ثم قال تعالى ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾ وكذا قال قتادة وابن جرير. وقد ثبت فى

الحديث المتواتر "أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد ، فلا وضع المنبر أول ما وضع جاء النبى ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذى يُسَكَّت ، لما كان يسمع من الذكر والوحى عنده" ففى بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصرى بعد إيراده: فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع. وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى..** ﴾ [الرعد : ٣١] الآية أى لكان هذا القرآن وقد قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة : ٧٤] ا.هـ[١].

فهو بيان علو القرآن وتعظيم أمره ، وإنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماع لما فيه من الوعد الوعيد.

❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٣٤٣ بتصرف.

من سورة الممتحنة

"هل تجوز مولاة الكافرين؟"

قال تعال: ﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨]

هذه الآية الكريمة فهمت فهمًا خاطئًا نظريًا وعمليًا فى حياة المسلمين وواقع الناس!!.

فظن قومٌ أن الله تعالى أباح لنا موالاة الكافرين وموادهم، والأُنس بهم مع محبتهم!!.

وليس الأمر كذلك، فإن الله تعالى قد نهى عن موالاة الكافرين بأسلوب صريح فى كتابه، وقد تكرر ذلك فى غير آية، ومنه قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة :٥١] وكذا قوله جل وعلا ﴿ لاَ يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨]

و قد أراد الله تبارك و تعالى فى الآية الكريمة ، التى نحن بصددها – أن يبين لنا : لا ينهاكم الله عن الإحسان إلى الكفرة الذين لم يقاتلوكم فى الدين و لم يخرجوكم و لم يظاهروا أى يعاونوا على إخراجكم كالنساء و الضعفة منهم ﴿ أن تبروهم ﴾ أى تحسنوا إليهم ﴿ و تقسطوا إليهم ﴾ أى تعدلوا .

﴿إن الله يحب المقسطين ﴾ وهذا أمر بخلاف ذاك الولاء و الحب و المودة،

و لذلك قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨].

و هذا سبب النـــزول يبين معنى الآية . و قد روى الإمام أحمد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قال : قدمت أمي ، و هى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدوا ، فأتيت النبى ﷺ فقلت يا رسول الله إن أمى قدمت وهى راغبة ، أفأصلها ؟ قال : **نعم ، صلي أمك**» وقد أخرجاه .

وفى رواية : فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم** ﴾ الآية [1].

فالآية ترخص فى أمور ليست من جنس الموالاة ولا الذلة أو نحو ذلك مما علية الناس .

كما يجوز للرجل أن يحسن الكلام مع من يدعوه من أهل الكتاب ، أو يقدم له هدية ، أو يدعو له بالهداية و نحوها ، وكذا و يهنئه فى نعمة ، و يواسيه فى مصيبة كحق من حقوق الجيران مثلاً .

❁❁❁

(١) رواه البخاري فى كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين برقم (٢٦١٩) ، وفى كتاب الأدب المفــرد بــرقم (٢٥)، ورواه مسلم فى كتاب الزكاة باب فضل النفقة و الصدقة على الأقربين برقم (١٠٠٣) .

من سورة الصف

"من هو أحمد ؟"

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف :٦]

و **الفهم الخاطئ** :أنه قيل للنصارى ، لِمَ لم تؤمنوا بالنبى محمد ﷺ ، وقد بَشَرَ به عيسى عليه السلام ؟

قالوا – حسب القرآن – بُشر بنبى اسمه أحمد ، و لم يُبشر بمحمد ، فنحن ننتظر النبى أحمد!!!

و **الجواب** : أن محمدا ﷺ هو أحمد ، وأحمد هو محمد ﷺ وهو النبي العربي و الأمي المكي ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٥٧].

وهو النبى الذى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :١٤٦]

وهو كما قال ﷺ عن نفسه: « **لى أسماء، أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذى يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب فلا نبي بعدي** ».

وعن أبي موسى قال: « **سمي رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا، فقال: أنا محمد، أنا أحمد، وأنا الحاشر والمقفى، ونبى الرحمة والتوبة والملحمة**»(١).

وعن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ إنهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك فقال: «**نا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصري من أرض الشام**» ٢

❁❁❁

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الفضائل. باب فى أسمائه ﷺ رقم (٢٣٥٩).

(٢) رواه أحمد بسند جيد ورواه أحمد بنحوه.

من سورة الجمعة

"ما معنى الأُمية فى القرآن؟"

قال تعال: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢]

والفهم الخاطئ: ظن قوم أن كلمة ﴿**الأميين**﴾ تعنى المفهوم السائد فى عصرنا الآن، أي الجهال، فراح يُحرم التعليم، بهذا المعنى، وآخرون فهموها بمعنى العرب – وهو صحيح – لكنهم حصروا الرسالة فيهم، وكلاهما فهم خاطئ للآية الكريمة.

والحق أن قول ﴿**فى الأميين**﴾ هم العرب، كما قال تعالى: ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ** ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

ولا يراد بها الجهل، وإنما هي كالعلم عليهم،وتفرقة بينهم وبين غيرهم، لأنهم ليسوا أصحاب كتب سابقة، ولا ثقافات معروفة، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، لكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك**﴾ [الزخرف : ٤٤]

وهو ذكر لغيرهم أيضا. وكقوله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ [الشعراء : ٢١٤] ينفي عالمية الدعوة ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

***

سورة المنافقون

"ما الفرق بين الشهادة والمشهود له؟"

قال تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [المنافقون : ١]

والفهم الخاطئ: قال المستشرقون: إن الله عز وجل بيَّن أن المنافقين شهدوا للرسول عليه الصلاة والسلام بأنه رسول الله،وقد علم الله بأنه رسوله، وفى ذات الوقت شهد الله بأن المنافقين لكاذبون،مع أن الكذب عدم مطابقة الخبر للواقع، فى الوقت الذى علم الله فيه أن محمدًا رسول الله، وقد شهد المنافقون بذلك، ولكن الله أكذبهم، أليس هذا من التناقض؟

كيف يقولون: نشهد إنك لرسول الله، وربنا يعقب على هذه الشهادة بقوله: والله يعلم إنك لرسوله، وفى ذات الوقت يقول: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون؟ كيف ذلك؟ هذه هى الشبهة!!

يعنون أنه كان أولى أن يصدق الله تلك الشهادة، لأن محمدًا رسوله فعلا وحقًا وصدقًا، ومع ذلك قال: ﴿**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾!!

قالوا: هو تناقض عجيب!!

وجوابنا: نقول: هذا قولهم، وذاك زعمهم، الذى نشأ عن جهلهم، وربما عن مكرهم، إذ أراد الله عز وجل أن يفرق بين شهادة ومشهود له. فالمشهود له بأن محمدًا رسول الله، فتلك قضية صحيحة ١٠٠٪ وصادقة بكل

المقاييس، وقد علم الله ذلك **﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾** وشهد الله به **﴿وكفى بالله شهيدا﴾**.

وأما الشهادة، فإن المنافقين لما شهدوا تلك الشهادة فقد كانوا كاذبين فى شهادهم، فهم لم يقولوها صدقا ولا اعتقدوها حقا، وإنما تظاهروا بها دون صدق أو يقين ، ودون أن تكون عن إذعان وإقرار، فهم بذلك كاذبون فى شهادهم، فالشهادة هى الكذب، وأما المشهود له فقد دلت الحقائق، ودلت الآية على أنه رسول الله، كما تمت الشهادة بذلك، وسبق به علم الله تعالى.

إذاً هناك فارق بين شهادة ومشهود له. أما المشهود له: **﴿إنك لرسول الله﴾** تؤكدها الآية **﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾**

ولكن فى قولهم: نشهد، هم كاذبون، ولذا قال: **﴿والله يشهد أن المنافقين لكاذبون﴾** أى فى شهادهم التي كانت باللسان، ولم تكن بالجنان، ولذلك فعظمة الآية أن تأتى تلك الجملة الاعتراضية **﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾** لتؤكد صحة المشهود له وصدقه، فى ذات الوقت تبين كذب شهادة المنافقين، فما أجمل أسلوب القرآن، وما أعظم القرآن، وفيه من الجمال والجلال ما فيه[1].



---

(١) خواطر وتأملات الشيخ الشعراوى.

من سورة التغابن

"كيف يكون الأزواج والأولاد أعداءا؟"

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التغابن :١٤]

والفهم الخاطئ يتمثل فى أُناس عجز فهمهم عن فهم هذه الآية، وكيف يكون الأزواج والأولاد أعداء، وكيف يحذرهم الزوج أو الأب؟ والصواب أن الله تعالى يخبر عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد، بمعنى أنه يلتهى به عن العمل الصالح كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المنافقون : ٩].

ولهذا قال تعالى ههنا ﴿**فأحذروهم**﴾ قال ابن زيد: يعنى على دينكم.

وقال مجاهد: ﴿**إن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم**﴾ قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه.

وروى ابن حاتم بسنده عن ابن عباس أنه سأله رجل فى هذه الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**﴾ قال فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فابى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿**وإن تعفوا وتصفحوا**

وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾.

وقوله تعالى بعدها ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن :١٥].

يقول تعالى: إنما الأموال والأولاد فتنة أى اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطعه ممن يعصيه، وقوله تعالى ﴿والله عنده﴾ أى يوم القيامة ﴿أجر عظيم﴾ كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ..﴾ [آل عمران : ١٤، ١٥]

❁❁❁

من سورة الطلاق

هل خلق الله سبع أراضين ؟

قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً** ﴾ [الطلاق :١٢].

والفهم الخاطئ يتمثل فى أن آيات القرآن تذكر السموات جمعًا، والأرض مفردة، فيفهم منها أن السموات سبع، والأرض واحدة، ولكن هذه الآية تقول **﴿ومن الأرض مثلهن﴾** أى سبع أراضين، فهل هى سبع أراضين أم أرض واحدة ؟!

والجواب على ذلك أن الذى نعلمه يقينا أن الله عز وجل خلق سبع سموات وسبع أرضين، كما دلت عليه الآية هنا، ولا تُنافي مع بقية الآيات التى تعبر عن الأرض كاسم جنس، وليس اسم علم أو مفرد.

وفى السنة ما يصرح بذلك ، ففي الصحيحين قال ﷺ: « **من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين** »[1] وفى صحيح البخارى: «**خسف به إلى سبع أرضين**»[2].

وقد روى فى السنة ما يدل على كثافة كل واحدة منهن وما بينهن بخمسمائة عام، وهكذا قال ابن مسعود وغيره، وكذا فى الحديث الآخر:

---

(١) أخرجه البخارى فى المظالم (٢٤٥٤) ، ومسلم في المساقاة (١٦١٢).

(٢) أخرجه البخارى فى المظالم (٢٤٥٤).

« السموات السبع وما فيهن وما بينهن، والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة»[١].

وأما الزعم بأن ابن عباس قال: سبع أرضين، فى كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى، فهذا لم يصح وهو شاذ[٢].

❁❁❁

(١) أخرجه ابن حبان فى الموارد (٩٤) وابن عساكر فى التاريخ (٣٥٦/٦) والبيهقي فى الأسماء والصفات (٤٠٤ ، ٤٠٥) وابن الجوزى فى زاد المسير (٣٠٤/١).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٣٨٥ بتصرف.

من سورة التحريم

"كيف حرم الرسول ما أحل الله له؟"

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التحريم : ١]

والفهم الخاطئ: يتمثل فى الأخذ بظاهر الآية فيقال: كيف حرم النبي ما أحل الله له وهذا أمر عظيم، والتحليل والتحريم حق الله تعالى وحده؟!

والجواب: بأن الأمر ليس على نحو ما فهموا أو زعموا، فإن أساليب اللغة حمالة وجوه، ومنها المبالغة أو الكناية أو التعريض والنبى ﷺ لم يُحرِّم شيئًا إلاَّ ما حرم الله تعالى ، كما لم يُحل إلا ما أحله الله، وما حدث - وكان سبب فى نزول هذه الآية - أن النبى ﷺ أراد أن يمتنع عن أمر هو فى أصله حلال، وذلك من باب الصلح وترضية أزواجه فأقسم على عدم اتيانه،فعاتبه الله فى ذلك.

وقد ذكر فى ذلك معنيان، الأول ما رواه ابن جرير الطبري بسنده أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم "مارية القبطية" فى بيت بعض نسائه، فقالت: أي رسول الله فى بيتى وعلى فراشى؟! فجعلها عليه حرامًا، قالت: أى رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله تعالى ﴿**يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك**﴾ [1] الآية

المعنى الثانى ماوراه البخاري بسنده عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى.

يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأتُ أنا وحفصة على ايتنا دخل عليها، فلتقل له: أكلت مغافير، إنى أجد منك ريح مغافير، قال: لا ولكنى كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا"(١).

والمغافير شبيه بالصمغ يكون فى الرمث فيه حلاوة.

وقد يقال إنهما واقعتان، ولا بعد فى ذلك إلاّ أن كونها سببًا فى نزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم.

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري فى التفسير (٤٩١٢) ومسلم فى الطلاق (١٤٧٤).

"هل تخون زوجة النبي؟"

٢- قال تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾ [التحريم: ١٠].

والفهم الخاطئ: فى تفسير معنى الخيانة بالخيانة الزوجية، والوقوع فى الفاحشة والصواب بأنه ليس المراد بقوله ﴿**فخانتاهما**﴾ فى فاحشة بل فى الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة لحرمة الأنبياء ، وعن ابن عباس يقول فى هذه الآية: ﴿**فخانتاهما**﴾ قال: ما زنتا ، أما خيانة امراة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه ، وعنه أيضًا كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح ، فأذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء.

وقال ابن عباس: ما بغت امرأة نبى قط ، إنما كانت خيانتهما فى الدين.

وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم[1]

❁❁❁

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤ بتصرف.

من سورة الملك

"ما معنى : أأمنتم من فى السماء؟"

قال تعالى: ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ** ﴾ [الملك : ١٦].

والفهم الخاطئ يتمثل فى تأويل هذه الآية كمن تأولوا الأسماء والصفات فزعموا فى تفسير الآية: أأمنتم من فى السماء أمره أو عرشه ، ومن فى السماء حكمه وملائكته!!

وكذلك من فهم الآية بحرفيتها ، يزعم أن السماء ظرف ، والذات الألهية مظروف ثم يسأل وكيف يحيط المخلوق بالخلق؟!

والجواب الصحيح: أن الأمر ليس كذلك.

فنحن نثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ ونعلم بأن، الله عز وجل مستوٍ على عرشه ، وعرشه فوق جناته ، وجناته فوق سمواته ، وأنه هو القاهر فوق عباده ، وأنه سبحانه وتعالى قريب فى علوه ، عليٌّ فى قربه ، وليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير ، كل ما خطر ببالك ، فالله بخلاف ذلك.

فسبحانه ليس العرش يحمله ، ولا الكرسي يسنده.

بل العرش وحملته ، والكرسى وعظمته ، الكل محمولٌ بقدرته ، محمولٌ بعظمته ، محفوفٌ بإرادته.

فالإيمان بأن الله عز وجل له صفة العلو ، وأنه العلي الأعلى هذا مذهبنا ، وقوله: ﴿ **أأمنتم من فى السماء** ﴾ بمعنى على أي على السماء ، لأنه يجب الإيمان بأن الله مستوٍ على عرشه والعرش فوق سماواته ، ومن زعم بأنه لا يدري هل الله عز وجل مستو على عرشه أم لا ، ولا يدرى أين العرش؟ فهذا يحتاج إلى تصحيح عقيدته[1]

❁❁❁

---

(١) راجع بتوسع رسالتنا : عقيدتنا فى الأسماء والصفات: عقيدة السلف الصالح ، للمؤلف.

من سورة القلم

"ما معنى ﴿نون﴾؟"

قال تعالى: ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ [القلم : ١].

والفهم الخاطئ لهذه الآية هو: ما ذكرته الإسرائيليات فى تفسيرها فزعموا أن ﴿ن﴾ هو الحوت الذى على ظهره الأرض ، ويسمى "اليهموت"(١) وأنه إذا اضطربت تحركت الأرض وتزلزلت.

هو كقولهم أن الأرض على صخرة ، والصخرة على قرن ثور ، فإذا حرك الثور قرنه ، تحركت الصخرة.

والصواب أن هذا من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسل، والتنقيص من شأن هذا القرآن.

إذ لا يصح من ذلك شيء. ما عدا كونه من حروف الهجاء التي فى فواتح السور ، من أمثال: (ق ، ص ، وألم ، وحم ..الخ) فهى أسماء مسمياها الحروف الهجائية ، لتكون بمثابة الدليل على إعجاز القرآن كأن الله قال: إن القرآن مكون من جنس هذه الحروف ، ومن كلمات من هذه الحروف، وقد تحدى به النبى ﷺ الإنس والجن فعجزوا، وما ذلك إلاّ لأنه ليس من كلام بشر ، وإنما هو كلام خالق القوى والقدر.

❁❁❁

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ ٤٢٨ ، ٤٢٩ بتصرف.

"ما معنى الساق؟"

قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ [القلم :٤٢]

الفهم الخاطئ فيمن تأول هذه الآية ، ونفى ﴿**الساق**﴾ عن الله عز وجل وعبروا عن ذلك بأنه يوم عصيب يكشف فيه عن أمر فظيع شديد فى غاية الهول والشدة وكما روى ابن عباس بأنه هو يوم القيامة يوم كرب وشدة.

والصواب هو ما فسرها به النبى ﷺ فقال:« **يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد لها كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياءً وسمعةً فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدا** »وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وفى غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور[1].

فهنا أثبت الحديث أن لله عز وجل ساقًا كما ذكر فى الحديث أيضا:« **يضع رب العزة جل وعلا قدمه فى النار فتقول قط قط أى اكتفيت اكتفيت** »[2].

ويكون مانعتقده فى هذا كسائر ما نعتقده فى الأسماء والصفات وإن كان هذا لا يتنافى مع قول ابن عباس إذ يقول عن يوم القيامة هو يوم كرب وشدة، مع فظاعة الهول يوم القيامة.

لكن يكمن الخطأ فى نفي صفة تثبت لله عز وجل صرح بها فى الحديث

---

(١) أخرجه البخاري فى التوحيد (٧٤٣٩) ومسلم فى الإيمان (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري فى التفسير (٤٨٤٩) ومسلم فى الجنة (٢٨٤٨).

"**يكشف ربنا عن ساقه**.."فيجب أن نثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه ، وما أثبته له رسول الله ﷺ ، مع تفويض الكيفية لله عز وجل، بما يتفق مع ذات الله وجلاله وكماله ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [الشورى : ١١].

❁❁❁

من سورة الحاقة

"ما هى الأذن؟"

قال تعالى: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [الحاقة :١٢].

الفهم الخاطئ: هو تفسير كاذب من تفسيرات الشيعة بأن المراد بها أذن علي ، ورووا أن النبي ﷺ لما نزلت الآية أخذ بأذنه ، وقال: **هي أذنك يا علي** ، وفي رواية : «**سألت ربي أن يجعلها أذن علي**»[1].

وهذا لم يصح ، بل هو من الموضوعات كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من الأئمة.

والصواب: أن الآية تحدثنا عن كل إنسان عنده وعي وعقل ، ويسمع ويفهم ويتدبر ، فهذه أذن واعية ، عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله ، أو من كان له سمع صحيح ، وعقل رجيح ، وهذا عام في كل من فهم ووعى[2]

❁❁❁

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢٩/٣٥٩) وأورده ابن كثير في التفسير (٤/٤١٣) والهندي في الكنز (٣٦٥٢٦) وهو حديث مرسل.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ٤٦٨ بتصرف وتفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٤١٣ بتصرف.

من سورة المعارج

"هل هو مشرق ومغرب أم مشارق ومغارب؟"

قال تعالى: ﴿ **فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** ﴾ [المعارج: ٤٠ ، ٤١]

والفهم الخاطئ يتمثل فيمن قرأ قوله تعالى: ﴿ **رَّبُّ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً** ﴾ [المزمل : ٩] وقوله تعالى: ﴿**رب المشرقين ورب المغربين**﴾ [الرحمن : ١٧].

مع هذه الآية ، ولم يستطع أن يوفق بينهم.

فسأل المسلم: لماذا وردت مفردة ومثناة وجمعا؟

واعترض الكافر وقال: أليس هذا من التناقض؟

والصواب أن الأمر ليس فيه أدنى تناقض ، بل الأمر يسير ، ومعروف ، فإذا قال الله تعالى: ﴿ **رب المشرق والمغرب** ﴾ فمعناه مشرق هذا الكون ومغربه ، أو هو جنس المشارق والمغارب ، والذى يهيمن عليه هو الله. وإذا قال ﴿ **رب المشرقين ورب المغربين** ﴾ فإنه يعنى مشرقي الصيف والشتاء ، ومغربي الصيف والشتاء.

فإذا قال: ﴿ **رب المشرق والمغرب** ﴾ فذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها فى كل يوم وبروزها منه إلى الناس ، وكذا اختلاف مغاربها تبعا لذلك ، ولا شك أن المشارق والمغارب تتعدد بتعدد فصول السنة. وهو أيضا

تعدد المشارق والمغارب لكل أمة أو قوم ، أو وطن أو جهة أو بلد.

ويذكر انه تعدد مشارق النجوم ومغاربها أيضًا.

فالآيات تتحدث عن لون من الإعجاز العلمى الذى أثبته العلم الحديث ، مبينًا وجود مشرق ومغرب ، ومشرقين ومغربين ، ومشارق ومغارب.

وحقيقة جريان الشمس ، ودوران الأرض الذى ثبت يدل على اختلاف المشارق والمغارب ، فسبحان الله رب السموات والأرض رب العرش العظيم.



من سورة نوح

"هل غرق قوم نوح فدخلوا النار؟"

قال تعالى: ﴿ **مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً** ﴾ [نوح : ٢٥]

الفهم الخاطئ: يتمثل فيمن سأل عن معنى الآية ، مستفسرًا أو معترضًا.

كيف أغرقوا فأدخلوا النار ، وشتان بين وقت غرقهم ، وبين يوم القيامة الذى يدخلون فيه النار ، ومعلوم أن الفاء للتعقيب ، فكيف ذلك؟.

والفهم الصحيح: أن الآية تحدثنا عن حياة البرزخ ، وفترة بقائهم فى قبورهم منذ غرقهم ، فدخولهم النار ذلك فى القبر ، وهى نار صغرى دون الكبرى أو هو العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر.

كقوله تعالى: ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [السجدة : ٢١].

عند من فسرها بأنه عذاب القبر فى أحد القولين.

وهو كقوله تعالى عن قوم فرعون. ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر : ٤٦].

فالآية تشير إلى عذاب القبر ، وأن عذاب الكافرين موصول منذ موهم و إلى أن تقوم القيامة فيستحقون دخول النار مع الخلود فيها ، فمن تيار البحار إلى حرارة النار.

وكما يقال: من الدار إلى النار. وهو كقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف :٣٧، ٣٨].

❁❁❁

من سورة الجن

"هل الطرق الصوفية مذكورة فى القرآن؟"

قال تعالى: ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً** ﴾ [الجن : ١٦].

والفهم الخاطئ لهذه الآية هو من المضحكات، ذلك أن هذه الآية كثيرًا ما يُستشهد بها أبناء الطرق الصوفية على صحة طريقتهم ، وأن طريقتهم مذكورة فى القرآن فى قول الله تعالى: ﴿ **وألو استقاموا على الطريقة** ﴾ ثم يقول إنها طريقتنا!!.

وهو كمن زعم أن اسم شيخ طريقته "الشيخ كوكا" مذكور فى القرآن.

وذلك فى قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً** ﴾ [الجمعة :١١].

يقرأها "وترى كوكا قائما"!!! وفى التصوف مضحكات كثيرة ومبكيات!! والفهم الصحيح للآية التى نحن بصددها إنها تحدثنا عن طريق الإسلام.

أى وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ﴿ **لأسقيناهم ماءً غدقا** ﴾ أى كثيرا ، والمراد بذلك سعة الرزق.

وهو كقوله تعالى عن أهل الكتاب ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم يَعْمَلُونَ** ﴾

[المائدة :٦٦] وكقوله تعالى على العموم: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿ وألو استقاموا على الطريقة﴾ قال ابن عباس يعنى بالاستقامة: الطاعة ، وقال مجاهد: الإسلام ، وكذا قال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والسدى ، ومحمد بن كعب القرظى[1].

❁❁❁

---

[1] تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٤٣١ بتصرف .

من سورة المزمل

"هل يجوز التبتل؟"

قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزمل : ٨].

والفهم الخاطئ : كيف يأمرنا الله تعالى بالتبتل فى هذه الآية ، وفى نفس الوقت (نهى النبى ﷺ عن التبتل)[1] الذى هو الانقطاع للعبادة ، وترك التزوج؟!.

والصواب أن معنى الآية هنا: أن الله تعالى يأمر بكثرة ذكره ، والتفرغ لعبادته إذا فرغت من اشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك ، كما قال تعالى: ﴿ **فإذا فرغت فانصب** ﴾ [الشرح :٧]. أى إذا فرغت من مهمتك فانصب فى طاعته وعبادته لتكون فارغ البال ، قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه.

وقال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي فى الآية ﴿ **وتبتل إليه تبتيلاً** ﴾ أى أخلص له العبادة ، وقال الحسن: اجتهد وابتل إليه نفسك.

وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل بهذا المعنى.

فلا تعارض مع الحديث الذى نهى عن التبتل الذى هو بمعنى الانقطاع

---

(١) رواه الترمذي فى النكاح (١٠٨٢) والنسائى فى النكاح (٣٢١٨) وابن ماجة فى النكاح (١٨٤٩) وصححه الألباني فى صحيح ابن ماجة بقم (١٤٩٩).

للعبادة والانصراف عن ملذات الدنيا بحيث يصوم النهار ويقوم الليل ، وينقطع عن الزواج. فهذا من الرهبانية التى نهى عنها الإسلام[١].

❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٤٣٧.

من سورة المدثر

"هل خزنة جهنم تسعة عشر فقط؟"

قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر : ٣٠].

الفهم الخاطئ : كيف نوفق بين الآية الكريمة وهى تذكر أن عدد زبانية جهنم تسعة عشر ، والحديث الذى يقول « **يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها** »[1] .

وما الحكمة فى ذكر العدد "تسعة عشر" ؟.

والجواب الصحيح: بأن ما ذكر فى الآية هم رؤوس الزبانية ، وما ذكر فى الحديث إنما هم خزنة جهنم الذين يقومون على أمرها ، وتعذيب أهلها وأما الحكمة فى ذكر العدد فعلمها عند ربي.

ولكن القرآن الكريم بين أن هذا العدد إنما هم من الملائكة وليسوا بشرًا عاديين حتى يُغلبوا من قبل أهل النار مثلاً ، أو على نحو ما زعم أبو جهل لما قال: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبوهم؟.

أو ما قاله آخر يدعى "أبو الأشدين" واسمه "كلدة بن أسيد بن خلف" قال:"يا معشر قريش أكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر ، اعجابًا منه بنفسه وكان قد بلغ من القوة مبلغًا ، فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينـــزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٥) وقال صحيح على شرط مسلم وقال الذهبي (قلت لكن العلاء كذبه أبو سلمة التبوذكي) ورواه ابن الجوزي في تلبيس إبليس (٣٤٣) .

يتزحزح عنه"(١).

ولذلك قال الله تعالى مشيرًا إلى الحكمة: ﴿ **وما جعلنا عدهم إلاَّ فتنة للذين كفروا** ﴾ فذكر عدهم أهم تسعة عشر اختبارًا منا للناس.

﴿**لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً**﴾ [المدثر : ٣١] أى يقولون ما الحكمة فى ذكر هذا هنا؟ كما قاله قومٌ الآن ، فقال الله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** ﴾ [المدثر : ٣١].

وقوله تعالى: ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾ أى ما يعلم عددهم إلا هو تعالى لئلا يتوهم متوهم أهم تسعة عشر فقط ، كما زعم قوم.

فآخر هذه الآية يشير إلى ما ذكر فى الحديث من كثرة الملائكة الذين هم خزنة جهنم ، فضلا عن غيرهم من الملائكة ، وكلهم من جنود الرحمن جل و علا.

هذا وما زعمه قوم من أهل الضلالة والجهالة ؛ من الفلاسفة اليونانيين أو البهائية المارقين حول قداسة الرقم "تسعة عشر" ومن شايعهم ، وقبل دعواهم، إنما هو من الإفك والكذب ، وكذا ما ذكر عن اعجاز رقم "تسعة عشر" فى القرآن ، إنما كانت دعاية مغرضة لصالح البهائية ، ولكن الله تعالى فضحهم وبين زيفهم ، سيما وقد استخرجوا من هذا الرقم موعدًا محددًا ليوم القيامة ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرا.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٤٤٤ بتصرف .

من سورة القيامة

"هل كان يقرأ النبى ﷺ القرآن قبل جبريل؟"

قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة : ١٦، ١٩].

والفهم الخاطئ لهذه الآيات فيمن زعم من الفلاسفة ونحوهم من المتصوفة الذين قالوا بأن النبى ﷺ كان يعلم القرآن قبل نزوله.

وكان يقرأه قبل جبريل ، يتعجل به ، فأنزل الله فيه هذه الآيات ، وهى كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه : ١١٤].

هذا وعند ذكر هذه الآية الثانية التى فى سورة طه ، قمنا بالرد على تلك الفرية التى اخترعها ابن عربى – ذلك الطاغوت الصوفى – وآمن به مغفلون كثيرون من جُهال الصوفية ،و هم لا يدرون أن هذا من الكفر البواح ، وأنهم بذلك يشاركون المشركين قولهم بأن القرآن من عند محمد ﷺ.

قد رأينا بما ذكرناه من الأدلة ما ينفى تلك الفرية ، حيث أن النبى ﷺ سأله المشركون ، و لم يستطع إجابتهم فى الموعد المحدد لانقطاع الوحى عنه ، كما لم يعلم براءة زوجه "عائشة" الصديقة بنت الصديق حتى نزلت براءتها من السماء ، وكذا أمور أخرى تكررت فى حياته ﷺ.

وأما المعنى الصحيح لهذه الآيات: فكما قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ فى كيفية تلقيه الوحى من الملك ، فإنه

كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك فى قراءته ، فأمهر الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحى أن يستمع له ، وتكفل الله له أن يجمعه فى صدره وأن ييسره لآدائه على الوجه الذى ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه. فالحالة الأولى جمعة فى صدره ، والثانية تلاوته ، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ، ولهذا قال تعالى: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾ أى بالقرآن ، كما قال تعالى ﴿ **وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾

ثم قال تعالى: ﴿ **إن علينا جمعه** ﴾ أى : فى صدرك.

﴿**وقرآنه**﴾ أى أن تقرأه ﴿**فإذا قرأناه**﴾ أى إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى. ﴿**فاتبع قرآنه**﴾ أى : فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾ أى بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عبد أبى عوانة عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: "كان رسول الله ﷺ يعالج من التنـــزيل شدة فكان يحرك شفتيه ، قال: فقال لي ابن عباس: أنا أُحرك شفتى كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه ، وقال لي سعيد: وأنا أحرك شفتى كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه. فأنزل الله عز وجل ﴿ **لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ [طه : ١١٤].قال جمعة فى صدرك ثم تقرأه ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ أى فاستمع له وأنصت ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾. فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه". وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبى عائشة به ، ولفظ البخاري

« إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل »[١] .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمى حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:"كان رسول الله ﷺ إذا أُنزل عليه الوحى يلقى منه شدة ، وكان إذا نزل عليه عُرف فى تحريكه شفتيه يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، فأنزل الله تعالى: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾[٢]

وهكذا قال الشعبى والحسن البصرى وقتادة ومجاهد والضحاك غير واحد إن هذه الآية نزلت فى ذلك.[٣]

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري فى بدء الوحى (٥) ومسلم فى الصلاة (٤٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي فى التفسير (٣٣٢٩) والحميدى فى مسنده (٥٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٤٤٩ بتصرف.

من سورة الإنسان

"هل العبرة بعمومة اللفظ أم بخصوص السبب"

قال تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً** ﴾ [الإنسان : ٨].

الفهم الخاطئ: ولعله من بعض تفسيرات الشيعة، قالوا: لقد مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما ، فعادهما جدهما ﷺ، فقال لسيدنا على: أنذر عن ولديك ، أي من أجل شفائهما وعافيتهما فنذر أن يصوم ثلاثة أيام ، وقد شفاهما الله وعافاهما فكان يصوم مع السيدة فاطمة فإذا أعدا طعام الإفطار ، وجلسا لتناوله دق على الباب سائل ، ففى اليوم الأول دق مسكين فأعطوه الطعام وباتا طاويين من الجوع ، وفى اليوم الثانى جاء يتيم ، وفى اليوم الثالث جاء أسير ، وفى كل مرة يعطون السائل طعام إفطارهم ، و يصبحون صائمين لا إفطار ولا سحور ، ويؤثرون السائلين بطعامهم على الرغم من شدة احتياجهم إليه.

قالوا: فأمر الله جبريل أن ينـــزل مباشرة بهذه الآية ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً** ﴾ الآيات.

والحق أن هذه الآيات عامة وتخصيصها في علي وفاطمة تخصيص بغير مخصص، والقصة الواردة فى ذلك مكذوبة ، ولا أساس لها من الصحة.



من سورة المرسلات

"كيف شرر جهنم؟"

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات : ٣٢ :٣٣].

والفهم الخاطئ لهذه الآية فيمن يقول: هل شرر جهنم كالقصر، أم أنه كالجمالة الصفر؟ وما وجه الشبه بين هذا وذاك؟

والجواب على ذلك: بأن شرر جهنم - أعاذنا الله منها - فى حجمه كالقصر، وفى تتابعه كالجمال الصفر فأي عجب فى ذلك أو تناقض؟!.

هذا ويفسر القصر - فى لغة العرب - بالحصون ، وكذا أصول الشجر ، وتفسر الجمالة الصفر بالإبل السود، وكذا بحبال السفن إذا جمعت، وأيضا قطع النحاس[1].

وهذا - على اختلاف معانية التى تعرفها العرب - يدل على عظم شرر جهنم ، مع تطايرها وتتابعها ، أعاذنا الله منها.

وفى النار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما فى الجنة كذلك - ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

نسأل الله الجنة ، ونعوذ به من النار.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٤٦٠ بتصرف.

من سورة النبأ

"ما معنى "الأحقاب"، وهل يخلد الكفار فى النار؟"

قال تعالى: **﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآباً (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً ﴾** [النبأ :٢١ ، ٢٣].

الفهم الخاطئ: زعم قوم أن النار ستفنى ، وأن الكفار لا يخلدون فيها ، لأن الله تعالى حدد مدة مكثهم فى النار بأنها أحقاب ، وهذه الأحقاب مدد محددة من الزمان وإن اختلفوا فى مقدارها ، فلابد وأن تنقطع وإن طال أمدها!!.

والجواب الصحيح الذى نعلمه ونوقن به أن الجنة والنار لا تفنيان ولا تبيدان وأن الكفار مخلدون فى النار ، كما أن المؤمنين مخلدون فى الجنة وأنه لا يمكن من خلال معنى آية - قد فهمت على غير وجهها - يستخرج منها حكم ، مع ترك ما عداها من الآيات المحكمة الصريحة والتى ذكرت حكم الخلود للكافرين فى النار **﴿خالدين فيها أبدا﴾** .

هذا ولا نسلم لهم بأن "الأحقاب" عبارة عن مدة زمنية ، ستنتهى أو تنقطع حتما.

بل نقول هى أحقاب ليس لها عدة إلاَّ الخلود فى النار ، و أحقاب لا يعلم عدها إلا الله عز وجل، وأنها بلا انقطاع، وأنه كلما مضى حقب جاء حقب بعده، وأن أيام تلك الاحقاب بالأيام التى عند الله تعالى **﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾** [الحج : ٤٧].

فإذا نظرنا إلى كلام العرب بأن الحقب سبعون أو ثمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا كل يوم كألف سنة مما تعدون ، يضاف إلى ذلك ما ذكره السدى بأنها سبعمائة حقب ، فالأمر إذن هو الخلود والتأبيد ، وذكر الأحقاب على سبيل تكثير الأيام كم هو معلوم عند العرب ، والله اعلم.

❁❁❁

من سورة النازعات

"هل قال فرعون: أنا ربكم الأعلى؟"

قوله تعالى في قصة فرعون قوله: ﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى** ﴾ [النازعات : ٢٤ ، ٢٥].

الفهم الخاطئ : زعم قوم – وهو من المزاعم المضحكة – أن فرعون لمَّا أراد أن يضحك على قومه خرج عليهم بثوب واسع الأكمام ، يقول لهم: أنا رب كُم أعلى ، أى صاحب كم كبير عن أكماكم ، فظنوه يقول: أنا ربكم الأعلى ، فألَّهوه ، وسمعوا له وأطاعوا ، وأن هذا من استخفافه بهم﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ** ﴾ [الزخرف : ٥٤] .

نقول: ومثل هذا لعله يكون من حكايات القصاصين والأفاكين ، ولقد كنا نسمع مثل هذا من العوام والجهال فى بلادنا يذكرونه على قارعة الطريق، ولكنا نعتقد أنهم أخذوه عمن يظن فيهم العلم وعلمهم – كما نعلم – ليس من كتاب ولا حساب ، ولعله من تحت عتبة الباب ، فالصواب أن فرعون زعم لنفسه الألوهية والربوبية يوم أن قال ﴿ **ما علمتُ لكم من إله غيرى** ﴾ [القصص : ٣٨].

ثم قال بعد ذلك ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ ، فأخذ الله أخذ عزيز مقتدر ، جزاء كلمته الأولى والثانية.

وعاقبه فى الدنيا بالغرق ، وفى الآخرة بالحرق ، فهم كما قال تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ**

العَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦].

وكما قال عز وجل عنه أيضا: ﴿ **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ** ﴾ [هود :٩٨ ، ٩٩].

❁❁❁

من سورة عبس

"هل عبس النبى ﷺ فى وجه أحد؟"

قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس : ١ ، ٤].

والفهم الخاطئ فيمن اتهم الرسول ﷺ بالتقصير فى هذا الأمر ، ونفى عنه العصمة ،وذكر هذا من الشبهات التى تنفي العصمة عن الأنبياء وأنه يمكن صدور الذنب منهم ، أو وقوع التقصير ، كهذا الذى حدث من النبى ﷺ مع عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه .

والجواب الصحيح بأن الأمر ليس كما زعموا ، والذى وقع من النبى ﷺ كان أمرًا عارضًا خلاف الأولى ، لا يتنافى مع عصمته ، وما فعله ﷺ قصدًا ولا أراد به سوءًا ، وإنما هو القصد الكريم ، والحرص النبيل ، فى هداية من جاءه من قريش يحدثهم فى أمر الدين ، لعل الله عز وجل أن يهديهم إلى الإسلام ، وقدترك إبن ام مكتوم بعض الوقت يُعرض عنه ، يكِله إلى إيمانه السابق ، ويقبل على هؤلاء المشركين لعلهم يسلموا لله رب العالمين.

ومع حسن المقصد ، وطهر النية ، ونبل الغرض ، وجهه الله تعالى إلى ما هو أولى ، فاستجاب كما ينبغي أن تكون الاستجابة ، وأسرع فى ذلك على النحو الذى ذكر فى السيرة والحديث ، وفيما ذكره غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يومًا يخاطب بعض عظماء قريش ، وقد طمع فى إسلامهم فبينما هو يخاطبهم ويناجيهم ، إذ اقبل ابن أم مكتوم ، وكان ممن

أسلم قديمًا ، فجعل يسأل رسول الله ﷺ فى شيء ويلح عليه ، وود النبى ﷺ أن لو كف ساعته تلك ، ليتمكن من مخاطبة القوم طمعًا ورغبة فى هدايتهم ، وعبس فى وجه ابن أم مكتوم ، وأعرض عنه ، وأقبل على القوم ، وفى رواية أنه رجل وكان أبي بن خلف ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وفيها يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحد ، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف ، والفقير والغنى ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار ، ثم الله تعالى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

قال الحافظ أبو يعلى فى مسنده - بسنده - عن أنس - رضي الله عنه - فى قوله تعالى "**عبس وتولى**" جاء ابن أم مكتوم إلى النبى ﷺ وهو يكلم أُبى بن خلف ، فأعرض عنه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى** ﴾ وكان النبى ﷺ بعد ذلك يكرمه[١] .كما كان يقول له «**هل لك حاجة فى شيء ويقول له: أهلا بمن عاتبنى فيه ربي**» .

كما جعله ﷺ مؤذنا له فى صلاة الفجر ، مع بلال ، وكان يقول ﷺ «**إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعون آذان ابن أم مكتوم**»[٢]. ا.هـ[٣]

---

(١) أخرجه ابو يعلى فى مسنده (٣١٢٣) وأورده السيوطي فى الدر المنثور (٥١٨/٦) وابن كثير فى تفسيره (٤٧٠/٤) ويشهد له حديث عائشة عند الترمذي (٣٣٢٨)،وصححه ابن حبان برقم (١٧٦٩) والحاكم(٥١٤/٢) ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري فى الأذان (٦١٧٩ ومسلم فى الصيام (١٠٩٢) ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٤٧٠ بتصرف.

من سورة التكوير

"هل كان النبى ﷺ يعلم الغيب؟"

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير : ٢٤].

الفهم الخاطئ: زعم قوم أن النبى ﷺ يعلم الغيب ، وأنه لم يضن علينا بشيء منه، فعلمنا علم الأولين والآخرين، وما كان وما يكون!!.

والصحيح أن الغيب هنا بمعنى القرآن الكريم المنـــزل من عند الله تعالى ، ويكون معنى الآية: وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين أى بمتهم ، ومن قرأ بالضاد أى ببخيل ، بل يبذله لكل أحد. وقال سفيان بن عيينة: ظنين وضنين سواء ، أى ما هو بكاذب وما هو بفاجر. والظنين المتهم ، والضنين البخيل، وقال قتادة: كان القرآن غيبًا فأنزله الله على محمد ، فما ضن به على الناس ، بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد ، قلت: والكلام لإبن كثير - وكلاهما متواتر ، ومعناه صحيح كما تقدم[١].

وأما مسألة علم الغيب للنبى ﷺ، فقد وضحنا القول فيها عند قوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ.. ﴾ [الأنعام ٥٠].

بما خلاصته أن علم الغيب لله وحده ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ.. ﴾ [النمل : ٦٥].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٤٨٠ بتصرف.

وإن الله تعالى يهب من علمه لمن يشاء من أنبيائه تصديقًا لهم وتأييدًا ، كما قال: ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً** ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٨].

❁❁❁

من سورة الانفطار

"هل الشفاعة منفية يوم القيامة؟"

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الإنفطار : ١٩].

الفهم الخاطئ: سمعت من يستشهد بهذه الآية على نفي الشفاعة يوم القيامة!!.

والصواب: أن الشفاعة ثابتة يوم القيامة لمن أذن الله له أن يشفع ولمن رضيَّ فيه الشفاعة ، وهنا شفاعات مثبتة ، على رأسها شفاعات النبي ﷺ ، ثم الأنبياء ، والملائكة ، والشهداء ..الخ.

وشفاعات منفية: مثل شفاعات الكافرين ، والآلهة المزعومة ، وغير ذلك والآية التي بين أيدينا ليست حكما وحدها فى القضية ، كما أنها لا تنفى الشفاعة على النحو الذى زعمه قوم.

ذلك أن الآية تبين أنه لا يقدر أحد على نفع أحد ، ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، لأن الأمر كله يومئذ لله وحده لا ينازعه فيه أحد ، وقد أخبره بمنه وكرمه عن قبول الشفاعة والشفعاء من بعد إذنه ورضاه ، فكيف تنكر الشفاعة، بآية ، أو آيات ، تفسر على غير وجهها وتوضع فى غير موضعها؟!!.

❁❁❁

من سورة المطففين

"هل نرى ربنا يوم القيامة؟"

قال تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ [المطففين : ١٥].

والفهم الخاطئ : تمثل فيمن استشهد بهذه الآية على إنكار رؤية الله عز وجل!!.

وهو أمر عجب ، وفيه حجب لصاحبه عن الفهم الصحيح ، والزيغ عن الصراط المستقيم ، فالآية تحدثنا عن الكفار الذين ران على قلوبهم حتى عميت ، فعاقبهم الله يوم القيامة بأنه أنزلهم منزلة السجين ، فهم يوم القيامة محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم ، ورحم الله الشافعي إذ قال: وفى هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل ، يوم القيامة ، وهذا الذى قاله الشافعى فى غاية الحسن ، وهو استدلال بمفهوم هذه الاية كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

والآية الكريمة ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ [يونس : ٢٦]. والحسنى هى الجنة ، والزيادة هى رؤية الله تعالى ، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل فى الدار الآخرة ، رؤية بالأبصار فى عرصات القيامة ، وفى روضات الجنان. هذا ، وإن رؤية الله عز وجل لا يعادلها نعيم فى الجنة ولأهل الإيمان ، كما أن حجب الكفار عن رؤية الله عز وجل لهو أشد عليهم من

عذاب جهنم.

هذا ولنا الحق أن نتعجب من قوم استدلوا بهذه الآية على إنكار رؤية الله عز وجل ونقول: إنهم لما اقنعوا انفسهم بالفكرة ، راحوا يبحثون لها عن أى دليل ، فلما وجدوا هذه الآية جعلوها زيادة فى أدلتهم ، وما نظروا أنها فى الكافرين ، وليست فى المؤمنين ، ولكنه الهوى والتحكم!!.



من سورة الانشقاق

" ما معنى الحساب اليسير؟"

قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً**﴾ [الإنشقاق : ٧، ٨].

والفهم الذى وضع فى غير موضعه ما جاء فى الحديث عن عائشة رضىَّ الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ « **من نوقش الحساب عذب** » قالت: فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿ **فسوف يُحاسب حِسابًا يسيرًا** ﴾؟ قال: « **ليس ذلك بالحساب ، ولكن ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب** » [١] وهكذا رواه البخاري ومسلم الترمذي والنسائي وأحمد وابن جرير.

وروى أحمد بسنده عن عائشة أيضًا قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بعض صلاته: « **اللهم حاسبنى حسابًا يسيرًا** » فلما انصرف قلت يا رسول الله: ما الحساب اليسير؟ فقال: « **أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه. إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك** » صحيح على شرط مسلم[٢]

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري فى التفسير (٤٩٣٩) ومسلم فى الجنة (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه أحمد ٤٨/٠٦ وابن خزيمة (٨٤٩)، والحاكم فى المستدرك (٥٧٩/١ وصححه ووافقه الذهبى.

من سورة البروج

"ما معنى الشاهد والمشهود؟"

قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج :١ ، ٣].

الفهم الخاطئ: زعمت الشيعة أن معنى الشاهد والمشهود هو الحسن والحسين!! ونقله عنهم قومٌ من المتصوفة!! كما فسره قوم بأن الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة!.

وقال آخرون الشاهد ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة؟.

وفسر بأن الشاهد هو الله ، والمشهود نحن!.

وكل هذا الذى ذكره فى الأخير - محتمل وفيه نظر ، وله وجه أو دلالة لكن الذى قالته الشيعة ، فذلك الشيء غير المحتمل ، فلا اللغة تسعفه ولا السياق يؤيده ، ولا ثمة شيء يدل عليه.

هذا وذكر حول معنى الشاهد ما قاله الله تعالى عن نفسه: ﴿ وكفى بالله شهيدًا ﴾ [الفتح :٢٨] .وما قاله عن رسول الله ﷺ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً ﴾ [النساء : ٤١].

وقال فى معنى المشهود ، حول يوم القيامة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود : ١٠٣].

وصلاة الفجر ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ [الإسراء : ٨٧] .

وفى الحديث قال ﷺ: « **أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة** »(١) وروى أحمد عن أبي هريرة أنه قال: فى هذه الآية: **﴿وشاهد ومشهود﴾**

قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة . والله أعلم بالصواب(٢).

❁❁❁

(١) رواه ابن ماجة فى الجنائز (١٦٣٧) والبيهقي فى السنن الكبرى (٣/٢٤٩).

(٢) تفسير ابن كثير حـ١ صـ ٤٩١ ، ٤٩٢ بتصرف.

من سورة الطارق

"ما معنى الطارق؟"

قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)﴾ [الطارق : ١ ،٣].

والفهم الخاطئ هو ذكر الآية الأولى فى غير موضعها. كأن يعبر الإنسان عن فقره وإفلاسه فيقول: والسماء والطارق!!.

مع أن القرآن الكريم فسر الطارق بعد السؤال عنه: ﴿ **وما أدراك ما الطارق** ﴾ فقال مفسرًا له: ﴿**النجم الثاقب**﴾ قال قتادة وغيره ، وإنما سُمى النجم طارقًا ، لأنه إنما يُرى بالليل ويختفى بالنهار ، ويؤيده ما جاء فى الحديث الصحيح « **نُهى أن يطرق الرجل أهله طروقا** »[1] ، أى يأتيهم فجأة بالليل ، وفى الحديث الآخر المشتمل على الدعاء « **إلاّ طارقا يطرق بخير يا رحمن** »[2]

❁❁❁

(١) رواه البخاري فى العمرة (١٨٠١)، ومسلم فى الإمارة (٧١٥)، وأبو داود فى الجهاد (٢٧٧٦).

(٢) رواه مالك فى الموطأ كتاب الشعر (٩٥١/٢).

من سورة الأعلى

"هل التيسير يكون تهاونا؟"

قال تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ [الأعلى : ٨] .

الفهم الخاطئ عند كثير من الناس لمعنى التيسير أنه التهاون والترك باسم التيسير ، ورفع الحرج وعدم الكلفة!.

والصواب أن اليسر شيء، والتهاون فى أمر الدين شيء آخر ، فالتيسير هو أن الله تعالى سهل علينا أفعال الخير وأقواله ، وشرع لنا شرعًا سهلاً سمحًا مستقيمًا عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

وأما أن نترك بعض تكاليف الدين باسم اليسر فى الدين ، فهذا لا علاقة له باليسرية ورفع الحرج.

هذا وكم نجد فى حياة الناس من يخلط بين هذا وذاك حتى ضاعت أكثر معالم الدين باسم سماحة الدين، ويسر الإسلام!!.

❖❖❖

من سورة الغاشية

"ما هى الوجوه الخاشعة والناعمة؟"

قال تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ**﴾ [الغاشية : ٢، ٥] . فكيف هي خاشعة ، وعاملة ناصبة، ثم فى ذات الوقت تصلى نارًا حامية؟! . والصواب أنها خاشعة بمعنى ذليلة ، وأنها عملت عملاً كثيرًا ونصبت فيه ولكن لا ينفعها عملها ، وستصلى يوم القيامة نارًا حامية ، لأنه انبنى على غير أساس ، أو لم يكن مبنيًا على الإيمان ، أو لا إخلاص فيه كما قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [المائدة : ٥] .

وكما ذكر أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مر بدار راهب ، فناداه يا راهب ، فأشرف، قال فجعل عمر ينظر إليه ويبكى ، فقيل له يا أمير المؤمنين : ما يبكيك من هذا ؟ قال: « ذكرت قول الله عز وجل فى كتابه: ﴿ **عاملة ناصبة (٣) تصلى نارًا حامية** ﴾ فذاك الذى أبكانى »[1] .

فالوجوه الخاشعة العاملة الناصبة ، وجوه النصارى من الرهبان ومن على شاكلتهم ، وأيضا هى العاملة فى الدنيا بالمعاصي ،فهى ناصبة فى النار والعذاب والإهلاك[2] .

---

(١) أوراده السيوطى فى الدر المنثور (٥٧٣/٦)، وابن كثير فى التفسير (٢٠٥/٤).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٥٠٢ بتصرفه.

ثم قال تعالى: **﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ..﴾** [الغاشية : ٨ ، ١٠] .

زعم قوم أن هذه الوجوه الناعمة ، لا شعر فيها ولا لحية ، وإذا كان هذا حالهم فى الآخرة ، فليكن هذا دأبهم فى الدنيا ، فترى الرجل منهم يحلق لحيته وينعمها متشبهًا بالمرأة - ثم يقول: **﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾**!!!.

ونحن نعرف أن الوجوه الناعمة يوم القيامة ، لا تقاس بنعومة أهل الدنيا ونعومة النساء ، أما نعومة الوجوه يوم القيامة ، فهو معرفة النعيم فيها ، وإنما حصل لها ذلك بسعيها ، وأهل الجنة يدخلونها جردًا مردًا مكحلين منعمين ، وذاك حالهم فى الآخرة ، مقابل سعيهم فى الدنيا ، وقد حُفت الجنة بالمكاره ، كما حفت النار بالشهوات.



من سورة الفجر

"هل رأى النبى ﷺ قوم عاد؟"

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ**﴾ [الفجر : ٦ ، ١١] .

الفهم الخاطئ يتمثل فى استشهاد المتصوفة ونحوهم على أن النبى محمد ﷺ هو أول الخلق ، وأنه حي من الأزل ، وسيبقى إلى الأبد، بدليل أنه رأى عاد، وثمود وفرعون إلخ.

وقد خاطبه الله بذلك: ﴿**ألم تر**﴾ فهو كان يرى ويشاهد الأحداث ، وينظر وراء ستار الغيب!! مع أن هذه الأحداث كلها حدثت قبل ولادته ، فدل ذلك على أن محمدا ﷺ كان يعيش فى الأزل وأنه سيبقى إلى الأبد!!.

نقول : وهذا كلام جد خطير ، وهو بعيد عن الصواب ، وهو أشنع مما قاله المستشرقون فى كتاب الله ، إذ أن كلامهم هذا يناقض ما جاء فى كتاب الله ، ويناقض الحقيقة والواقع ، فالنبى ﷺ وُلد يوم الإثنين ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول - على الراجح - ولم يُولد قبل هذا ، ولم يكن حيًا قبل ولادته ، ولا كان مشاهدًا للأحداث ، أو متبعًا للوقائع ، وما جرى للأمم السابقة وقول ربنا ﴿**ألم تر**﴾ إنما أوقعهم فيما ذهبوا إليه الأخذ بظاهرة اللفظ ، والجهل باسأليب اللغة العربية ، وهذه الرؤية ليست بصرية ، حتى يصح ما ذهبوا إليه ، ولا يمكن أن يصح.

وإنما هى الرؤية الإيمانية التى لا ترتبط ببصر ولا نظر ، وهذه تحدث لإنسان إذا كان مؤمنا فهو يرى رؤية إيمانية إذا أخبره الله عز وجل فيصدق كلام الله ، وإن كان العلم وحده لا يكفى فى ذلك ، وهو كقوله تعالى **﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾** [الفيل : ١] ولنا معها وقفة إن شاء الله، فكلام الصوفية بأن ﷺ حي من الأزل ، بدليل هذه الآية ، مرفوض على نحو ما علمت وأما قولهم: وسيبقى إلى الأبد ، فينكره قوله تعالى: **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾** [الزمر : ٣٠].

وكذلك: **﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ ﴾** [الأنبياء : ٣٤].

فهذا كلام غريب ، وفهم عجيب ، لا يحكمه دين ولا يقره منطق ، وإنما هى العواطف غير المنضبطة بشرع ولا عقل ، وهذا الدين ليس بدين العواطف غير المنضبطة وإنما هو الدين الذى قام على العلم والبرهان والدليل **﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾** [البقرة : ١١١].

❖❖❖

"ما هي إرم؟"

هذا وحول الآيات أيضا ذكرت إسرائيليات كثيرة، فقالوا فى معنى **﴿إرم ذات العماد﴾** ما صنع الحداد – كما يقولون – فزعموا أن عاد كان له ولدان ، أحدهما يدعى شديد ، والآخر شداد ، سمعا حديثًا عن الجنة واتساعها ، وأنها بُنيت من لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، حصباؤها اللؤلؤ والياقوت، فقالا: سنبني مثل الجنة فخرجا فى الصحراء ، وبدأوا يبنون مدينة إرم ، فبنوها فى ثلاثمائة سنة ، وكان عمرها تسعمائة سنة ، وقد بنيا (إرم) باتساع الصحراء ، وجعلوها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وجعلوا ترابها أو حصباتها اللؤلؤ والياقوت والجواهر!!.

وأن هذه المدينة كانت وكانت، أي جنة فى الأرض. الخ مزاعمهم!!.

نقول: ليس الأمر كما زعموا من قريب ولا من بعيد ، فإرم لم تكن مدينة على الإطلاق ، كما حكت الإسرائيليات وإنما "إرم" هذا فى النسب فيقال عاد بن إرم **﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد .. إرم ..﴾** تعرب على أنها بدل من عاد أو عطف بيان ، يعنى عاد أولاد إرم ، وكان لهم القوة و الصولجان وكانت لهم مباني عظيمة وقصور شامخة وذلك مع قوتهم وبطشهم، فلذلك قال **﴿إرم ذات العماد﴾** أي وصف للقبيلة[1].

ويقال هذا لطول قامتهم كما شبههم الله عند هلاكهم **﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾** [الحاقة : ٧].

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير .

وحكى القرآن بعض الهم، أو أهم صفاهم، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٤٠].

أقول: فإرم هو أصل عاد، واليهود - أصحاب هذه الإسرائيليات - يعلمون ذلك، ولذلك كانوا يقولون للأوس والخزرج: «يوشك أن يبعث فينا نبي أخر الزمان، نؤمن به، ونقاتلكم معه قتل عاد وإرم».

فإرم لم تكن مدينة - على نحو ما حكت الإسرائيليات - لعاد أو شديد وشداد، ولا فى دمشق ولا الإسكندرية!!.

وما كانت جنة، لبنة من ذهب، ولا من فضة، ولا باتساع الصحراء، وإلاّ فأين أطلالها أو آثارها أو مخلفاها؟!!.

❁❁❁

من سورة البلد

"من الوالد ومن الولد؟"

قال تعالى: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد : ٣].

وقد ذهب الناس فى تفسيرها مذاهب شتى ، كل يُغني فيها على ما ذهب إليه ، والناس فيما يعشقون مذاهب ، فمنهم من قال: الوالد "علي" والمولود: "الحسن والحسين" وهو تفسير شيعي قطعًا، ومن قال الوالد آدم ، المولود : محمد ﷺ أو المولود جميع ولد آدم أي ذريته ، وقال ابن عباس: الوالد الذي يلد، وما ولد: العاقر الذى لا يولد له وقال عكرمة: الوالد العاقر ، وما ولد الذى يلد.

والصواب أن الآية عامة فى كل ولد وولده، والله أعلم.



من سورة الشمس

"هل يجوز القسم بالأشياء؟"

قال تعالى: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**﴾[الشمس : ١ ، ٧].

الفهم الخاطئ: زعم قوم أنه يجوز لنا القسم بغير الله تعالى ، واستدلوا بهذه الآيات ونظائرها ، ولقد سمعت رئيسًا يخطب يومًا يقول والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ، لتظلن مآذن الأزهر عالية خفاقة!!.

- فقلت: اخسأ، فلن تعدو قدرك، فإن هذا ليس لك، وإنما يقسم الله عز وجل بالأشياء يلفت نظرنا لما أودع فيها من حكم وأسرار،وما فيها من آيات ونعم.

- وأما نحن فليس لنا أن نقسم إلا بالله تعالى لقول النبي ﷺ «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»[١] وكذا قال «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[٢].

❁❁❁

(١) رواه البخاري في الإيمان والنذور (٦٦٤)،ومسلم في الإيمان ١٦٤٦٩.

(٢) رواه أحمد (٦٧/٢)، وابن حبان في الموارد (١٧٧)،وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (١٥٥/٣) .

من سورة الليل

"هل نتكل على كتابنا الأول؟"

قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾ [الليل : ٥ ، ٧]

والفهم الخاطئ: هل نعمل لأمر فرغ منه، أم على أمر مستقبل؟

وإذا كان كل إنسان قد قدر له كل شيء وهو فى بطن أمه، ففيم العمل؟

وقد قضى الله أمره باليسر أو بالعسر، فكيف ذلك؟

والجواب: أن هذا الأمر مرتبط بمسألة القضاء والقدر، وأنه يحتاج إلى فهم صحيح، مع جمع بين النصوص .

وهذا رسول الله ﷺ يبين الأمر ويجلي المسألة.

وفى الحديث أن أبا بكر قال: « **قلت لرسول الله ﷺ أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مستأنف قال: بل على أمر قد فرغ منه، قال: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له** »[1].

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال:« كنا مع رسول الله ﷺ فى بقيع الغرقد فى جنازة، فقال : ما منكم من أحد إلاَّ وقد كتب مقعده من الجنة أو مقعده من النار، فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل؟ **فقال: فاعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ثم قال ﴿فأما من أعطى واتقى (٥) وصدق بالحسنى (٦) فسنيسره لليسرى إلى قوله – للعسرى﴾**»[2]. وقد جاء الحديث بروايات مختلفة

---

(١) رواه مسلم فى القدر (٢٦٤٨) وأبو داود فى السنة (١٤٧٠٩) وابن ماجة فى المقدمة (٧٨).

(٢) رواه البخاري فى التفسير (٤٩٤٦) وأحمد (١/١٤٠).

من سورة الضحى

"ما معنى الضلال؟"

قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ﴾ [الضحى : ٧].

والفهم الخاطئ فى تفسير معنى الضلال عند بعض المسلمين، أو استغلال هذه الآية من قبل المغرضين - من المستشرقين أو المستغربين - إذ عمدت طائفة منهم إلى محاولة النيل من مقام النبوة الكريم، وذلك عن طريق المدح فى شخصه ﷺ واتهامه فى عقيدته، ووصمه بالضلال، أو مشاركته للكافرين فى قبائح الأعمال.

وفى ردنا على ذلك نقول: إذا كان المؤمن - بما وقر فى قلبه من إيمان - ليتعجب من هذا الاتهام، فإن عجبه يزداد عند التأمل فيما ساقوه من دليل لتأييد أدعائهم وتدعيم افترائهم، حيث قالوا: إن قوله تعالى ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى** ﴾ يفهم منه أنه ﷺ كان على الوثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد!!

وأما هذا الافتراء المبين لا يملك المرء إلاَّ أن يقول: ﴿**سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ [النور : ١٦]

وكيف يكون كذلك، والله تعالى يكلؤه بعنايته، ويحوطه بحفظه ورعايته؟!!

لقد عصم الله تعالى نبيه ﷺ عن جميع مظاهر الإنحراف والضلال والجاهلية، لقد نشأ محمدﷺ موحدًا لم يسجد لصنم، وطاهرًا لم يقترف

فاحشة، فضلال الشرك، وضلال الهوى فى العمل كان بعيدين عن ذاته الكريمة ، يرهبان الدنو من نفسه القوية.

فلا يفهم من هذه الآية أنه ﷺ كان على وثنية قبل الاهداء إلى التوحيد، أو على غير السبيل القويم قبل الخلق العظيم - حاشا الله - إن ذلك لهو الإفك المبين وإما الضلال الوراد فى الآية الكريمة له معان أخرى منها.

١- اشتباه المآخذ على النفس حتى تأخذها الحيرة فيما ينبغي أن تختار لقد نشأ ﷺ فى جاهلية مضطربة التصورات والعقائد، منحرفة السلوك والأوضاع، فلم تطمئن نفسه إليها، ولكنه ﷺ لم يجد طريقًا واضحًا مطمئنًا يلجأ إليه، لا فيما عند الجاهلية، ولا فيما عند أتباع موسى وعيسى - عليهما السلام الذين حرفوا وبدلوا، وانحرفوا وتاهوا.

وإنها بمعنى الحيرة، لما رآه النبى الكريم من فساد دين قومه، وفساد دين أهل الكتاب، مع أن الأصل فيه أنه دين توحيد ينتسب إلى نبي من الأنبياء، فهل فى اختيار احد الدينين مصلحة له ولقومه؟ وهل فى الدعوة إلى ما يختار منهما فلاح لنفسه ولشعبه؟ وهو ﷺ أمي لا يقرأ الكتب، ولا يعرف ما حوته تلك الأديان من الشرائع والأحكام؟ كيف كان يصلح ذلك وأهل كل من الدينين لم يكونا فى حالهم أرشد من قومه؟!

فكان شيء من الشرك يشوب عقائدهم، وكثير من السيئات والجرائم تدنس أعمالهم!!

٢- الغفلة عن السبيل الموصل إلى إنقاذ الهالكين وإرشاد الضالين. وكما

كان ﷺ فى حيرة من أمره فيما يختار له ولقومه من الأديان، كان كذلك فى حيرة من أمر العرب أنفسهم فى فساد اعتقادهم واضطراب شئوهم، ومن ثم فى معرفة السبيل الذى ينبغى السير عليه لمن يبغى إصلاحهم والارتقاء بهم.

فما العمل فى تقويم عقائدهم وتخليصهم من تحكم عاداهم فيهم؟! وأى طريق ينبغى أن يسلك فى إيقاظهم من سباهم؟! ومن أي الأبواب يمكن أن يدخل إلى قلوبهم؟.

فما أشدها حيرة على الصديقين ، وما أعظمها ظلمة تغشى السالكين من أهل الصدق واليقين إلى أن يكشفها الله بالنور المبين !!

٣- الفغلة عن الشرائع والأحكام التى بها الهداية والإيمان :

ومن معانى الضلالة فى الآية: غفلته ﷺ عن الشرائع التى تهتدى بها العقول، وتطمئن إليها النفوس، كذا غفلته عن رسائل القرب إلى الله تعالى، فهداه ربه تعالى إلى معرفتها، ويسر له طرق تحصيلها بما أنزل عليه من القرآن الذى فيه بيان الشرائع والأحكام .

ومما سبق يتضح لنا أن الضلال المذكور فى الآية الكريمة لا يفهم منه أنه ﷺ كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، أو على جهل بالله قبل معرفته وإنما المراد بالضلالة أمور هى :

* الحيرة التى تنتاب النفس فى معرفة الدين الحق الذى به النجاة والفلاح، وقد هداه الله تعالى إلى الإسلام، وارتضاه لأمته دينا.

* الغفلة : عن معرفة السبيل الموصل لهداية قومه وتقويم عوجهم ، وقد

هداه الله تعالى إليه باصطفائه لرسالته ، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته.

* الجهل بالشرائع و الأحكام التي يتعبد بها إلى الله تعالى: وقد هداه ربه تعالى إلى القرآن وشرائع الإسلام، وهو معنى قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَــن نَّشَــاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾** [الشورى : ٥٢ ، ٥٣] . ا.هـ[1]

❁❁❁

(١) راجع بتوسع: تفسير جزء "عم" للإمام محمد عبده صـ ٨٤، ٨٥، ورسالة التوحيد صـ ١٢٢ ، ١٢٣ وفى ظلال القرآن جـ٦ صـ ٣٩٢٧.

من سورة الشرح

"كيف شُرح صدر النبي ﷺ، وهل كان له وزر؟ "

قال الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾ [الشرح : ١ ، ٤]

الفهم الخاطئ تمثل فى أن قومًا أنكروا انشراح صدر النبى ﷺ هذا من ناحية وزعم قوم آخرون عدم عصمة النبى ﷺ بالآية الثانية ﴿**ووضعنا عنك وزرك**﴾ وفى الرد عليهم نقول: كلاهما قد أبعد النـــزع، وضل فى الفهم، وانحرف عن جادة الصراط، ذلك أن الله تعالى أثنى على نبيه ﷺ بانشراح الصدر، مع وضع الوزر، وجاء فى معنى هذا ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ يعنى أما شرحنا لك صدرك أى نورنا وجعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا، كقوله تعالى: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾ [الأنعام : ١٢٥]، هذا انشراح معنوي بخلاف الانشراح الحسي الذي وقع له ﷺ فى صغر سنه، وكذا فى ليلة الإسراء والمعراج، فنشأ عنه الشرح المعني أيضا وفى السنة ما يدل على وقوع انشراح الصدر له ﷺ، فيما لا يحتمل تأويلاً ولا تكذيبًا.

وأما قوله تعالى: ﴿**ووضعنا عنك وزرك**﴾ فإنها بمعنى قوله تعالى ﴿ **يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ [الفتح : ٢]، على نحو ما علمت تفسيرها هنالك.

فهي لا تدل على عدم العصمة، كما زعموا، ولا يفهم منها أن النبى ﷺ كانت له أوزار محيت عنه، وإنما هو تكريم النبى ﷺ ببعد الأوزار عنه حتى لا

يثقل حمله ﴿ **وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ** ﴾ أي أثقلك حمله، فهى كقوله تعالى عن سيدنا ويوسف - عليه السلام : ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٤]

فالآيات فى معرض المدح وليس الذم، ولذلك أردفها الله بقوله: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ فلا يذكر الله تعالى إلاَّ وقد ذُكر رسوله ﷺ

❁❁❁

من سورة التين

"ما معنى تسفل الإنسان؟"

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين : ٤ ، ٦]

الفهم الخاطئ: فيمن جهل معنى تسفل الإنسان، وهو يتخيل أنه يتردى إلى الأرض السابعة مثلاً، أو نحو لذلك!!

والرد على ذلك، نقول: إن الكلام هنا على الجانب المعنوى، وليس الحسي فالحديث فى هذا المقام عن خصائصه الروحية، فهى التى تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة، ويحيد عن الإيمان المستقيم معها.

إذ أنه من الواضح أن خلقته البدنية لا تنتكس إلى أسفل سافلين. وفى هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الإنساني، فهو مهيأ لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين، كما تشهد بذلك قصة المعراج .. حيث وقف جبريل عليه السلام – عند مقام، وارتفع محمد بن عبد الله ﷺ – الإنسان – إلى المقام الأسنى .

بينما هذا الإنسان مهيأ– حين ينتكس – لأن يهوى إلى الدرك الذى لا يبلغ إليه مخلوق قط. ﴿**ثم رددناه أسفل سافلين**﴾ حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها فى الأرض على هدى . بينما هو المخلوق فى أحسن تقويم ، يجحد ربه ويرتكس مع هواه، إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه.

﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ فطرة واستعدادًا **﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾** حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذى هداه الله إليه، وبينه له ، وتركه ليختار أحد النجدين **﴿إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** فهؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح، ويرتقون بها إلى الكمال المقدر لها، حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال فى دار الكمال **﴿فلهم أجر غير ممنون﴾** دائم غير مقطوع [(١)].

❁❁❁

---

(١) فى ظلال القرآن الكريم جـ٦ صـ ٣٩٣٣.

من سورة العلق

"هل العلم يورث الطغيان؟"

قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾ [العلق : ١، ٨] .

الفهم الخاطئ: يتمثل فى شبهة تحريم العلم غير الشرعي لأنه يورث الطغيان، أو أنه يجب هجران التعليم لتتحقق الأمية التي هي صفة تلك الأمة، والأعجب من ذلك أن يرتبط التعليم بالعبادة ولا يؤخذ منه إلا بقدر الحاجة الضرورية فما زاد على ذلك فهو من الطغيان المشار إليه فى قوله تعالى ﴿ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾

والرد على ذلك: أن أمر ربط الطغيان بزيادة العلم، والحكم بخطأ من تعلم علما لا يحتاجه فى أمور العبادة، ليس صحيحا، لأن زيادة العلم طريق الهدى الموصل إلى الله عز وجل ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣]

وإن تعجب فعجب قول شباب التكفير ــ أصحاب هذه الشبهة ــ :

إن ذرة تعلم يقصد بها غير بلوغ هذه الغاية إنما هى ذرة خارجة عن العبودية مضافة إلى التأله فى الأرض بغير حق. مبتدأة بداية الطغيان البشرى ﴿كلا أن الإنسان ليطغى﴾ !!

نعم يطلب من المسلم أن يصحح نيته لله عز وجل،ولكن لا يقتصر ذلك على علوم الدين، أو على ما يحتاجه الإنسان فقط، وإنما ما تحتاجه البشرية أيضًا، وكل علم نافع - ولا شك - أن البشرية محتاجة إليه يعد من قبيل العلم الذى أباحه الله عز وجل، وطلب منا التفكير فى مخلوقاته والنظر إلى ملكوته علما فى الدنيا والدين، قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾** [فاطر : ٢٧ ، ٢٨]

أليس هذا هو علم الدين والدنيا. وكلاهما يوصل إلى خشية الله عز وجل؟!!



من سورة الزلزلة

"هل الجزاء العادل يمنع الشفاعة؟"

قال تعالى : **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾** [الزلزلة : ٧ ، ٨].

والفهم الخاطئ : يتمثل فيما يردده رويبضات هذا العصر، من نفيهم للشفاعة يوم القيامة برغم أن هذه الآية محكمة تضع مبدأ عاما للثواب والعقاب، وأنها كلمة سبقت منذ الأزل، تقرر الجزاء حتى أنكروا الأحاديث الواردة فى الشفاعة كلها، مع تأويل الآيات تأويلاً خاطئًا.

والجواب على ذلك : أن العدل لا يتنافى مع الرحمة والفضل، كما أن الجزاء المذكور فى الآية ليس له صورة واحدة، مرتبطة بالجزاء فى الآخرة، وإنما هو على نحو ما جاء فى الحديث .

روى ابن جرير بسنده عن أنس رضى الله عنه قال:« **كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ فرفع أبو بكر يده، وقال يا رسول الله : إني أجزى بما علمت من مثقال ذرة الشر؟ فقال: يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره، فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثقاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة**».

وروى : من طريق أخرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: « **لما نزلت ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد**

فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله : ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال يبكيني هذه السورة، فقال له رسول الله ﷺ: "لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»[١].

وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدرى قال:« **لما أنزلت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ قلت يا رسول الله: إني لراء عملي؟ قال: "نعم"، قلت :تلك الكبار الكبار؟ قال "نعم" ، قلت الصغار الصغار ؟ قال : "نعم" ، قلت : وأثكل أمي ، قال: أبشر يا أبا سعيد، فإن الحسنة بعشر أمثالها – يعني إلى سبعمائة ضعف – ويضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يعفو الله، ولن ينجو أحد منكم بعمله، قلت : ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة»**.

وجاء فى معناها أيضا فيما رواه ابن ابى حاتم عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى: **﴿فمن يعمل مثال ذرة..﴾** وذلك لما نزلت هذه الآية **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾** كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، فيجى المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون، ما هذا بشيء، إنما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه .

وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة

---

(١) رواه مسلم.

والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فرغبهم فى القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر فإنه يوشك أن يكثر، فنـزلت **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾** معنى **﴿يره﴾** أي فى كتابه، فتسره الحسنة، وتسوءه السيئة، ويكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة، وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحد عشرا، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات ، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة وفى ذات الوقت يحذر ﷺ بقوله «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**» وأن رسول الله ﷺ "ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجئ بالعود والرجل يجئ بالعود حتى جمعوا سوادًا وأججوا نارا وانضجوا ما قذفوا فيها"[١].

❁❁❁

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٥٤٠ ، ٥٤١ بتصرف.

من سورة التكاثر

" ما معنى زيارة القبر؟"

قال تعالى: ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ** ﴾ [التكاثر : ١ ، ٢]

الفهم الخاطئ: أن يفهم أناس معنى الزيارة بما يقوم به الأحياء من زيارة قبور الأموات، ويجعلون ذلك عاما للرجال والنساء، وليس الأمر كذلك.

والصواب: أنه يراد بها الموت، فيمن شغل بدنياه حتى وافقته المنية وأتاه الأجل، ودفن فى القبور.

ومعناها: ألهاكم التكاثر عن الطاعة، حتى زرتم المقابر أى حتى يأتيكم الموت.

وفى الحديث الذى رواه مسلم والترمذى وأحمد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول «**﴿ألهاكم التكاثر﴾ يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟**»[(١)].

وعبر القرآن عن الموت بزيارة المقابر لأن بقاءه فيها كبقاء الزائر الذي لابد أن يرجع إلى منـــزله، والمنـــزل إما جنة وإما نار، فاللهم اجعله جنة ولا تجعله نارًا برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد.

فحى على جنات عدن فإنهـــا منازلك الأولى وفيها المخيـــم

ولكننا سبى العدو فهل تـــرى نعـــــود إلى أوطاننا ونسلـــم

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه فهو مغـــرم

وأى اغتراب فوق غربتنا الـــتى لها أضحت الأعداء فينا تحكم

❁❁❁

من سورة الفيل

"هل أرسل الله طيرا أبابيل؟"

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**﴾ [الفيل : ١ ، ٥]

والفهم الخاطئ ارتبط بقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ﴾ فقالوا: حادث الفيل حدث قبل ولادة النبى ﷺ أو فى العام الذى ولد فيه، فحادث الفيل سبق ولادة النبى ﷺ ومع ذلك فالقرآن يقول له: ﴿**ألم تر**﴾ وهو لم ير، وكان أولى أن يقال له: ألم تعلم، لأن العلم يحدث عن الرؤية ويحدث بالسماع فلو جاء أحد الناس فأخبره، فهو بذا قد علم.

فلم قالت الآية ﴿**ألم تر**﴾ ولم تقل: ألم تعلم، ولو قالت : ألم تعلم لصدقت وأما فى قوله ﴿**ألم تر**﴾ دليل على أنها هفوة بشرية فى القرآن..!

وجوابنا على هذه الشبهة كالآتى: لماذا قال الله ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ﴾ ولم يقل ألم تعلم؟ لأن الذى حدث مع أصحاب الفيل لا يكفي فيه العلم، وربما لا يصدق، فكون العلم التجريبي يصدق أن عصفورًا صغيرا وقف على ظهر فيل ضخم عظيم، فحوله إلى طعام مطهى مفتت، فكيف يصدق ذلك، وأي علم تجريبي يقبله؟ إن هذه المعجزة الضخمة لا يكفي فيها العلم، فلابد فيها من إيمان، وقوله ﴿**ألم تر**﴾ لم يرد الرؤية البصرية، ولا العلمية، وإنما أراد الرؤية الإيمانية، التى تؤمن بالقدر الإلهية الخارقة، وأما

العلم هنا فلا ينفع وحده بل يكذب هذا، فالواقع المجرد يقول: لو أن عشرات الطيور والعصافير وقفت على ظهر فيل ما أحس بها وما يأبه لها ، أما وأن ينــزل عصفور أو طائر صغير على ظهر فيل فيتحول فى لحظات إلى عصف مأكول، فهذه قدرة إلهية تحتاج إلى إيمان، لأنك كإنسان لو أردت أن تعين ضعيفًا لا يقدر على حمل متاعه، فإنك تحمل عنه، لكنك لا تستطيع أن تجعل الضعيف قويًا، وأما الذي يستطيع أن يجعل الضعيف قويًا وأن يجعل أقوى الأقوياء من أضعف الضعفاء إنما هو رب الأرض والسماء، وهذا أبرهة بخيله ورجله وبقوته وأفياله وهو يمثل قوة لم يستطع العرب أن يقفوا أمامها، وسلموا له مكة وأفسحوا له الطريق، لأنه يمثل قوة خارقة بأفياله القوية الضخمة ، فلما تخلت قوى الأرض عن بيت الله الحرام، تدخلت عناية السماء، وحفظ الله بيته الحرام، فلم ينــزل ملائكته، ولم يرسل عليهم صاعقة، وإنما أرسل طيرا صغيرا، تحمل فى منقارها وأرجلها حجارة صغيرة من جهنم ، وبهذا المخلوق الضعيف الذى يمكن أن يمسك الطفل به أويلعب به أن يضغط عليه فيموت فى يده، بهذا المخلوق الضعيف هزم الله عز وجل أقوى الأقوياء فى عهده، وذلك بقدرته - سبحانه - إذ يقول للشيء كن فيكون"(١).

أقول : وهذه القدرة لا يمكن أن تأتي بالعلم ولا يمكن أن تدخل إلى نطاق التجارب، وإنما تحتاج إلى رؤية إيمانية، يرى القلب بها قدرة الله عز وجل وعظمته، فيؤمن بتلك المعجزة الخارقة، لأن المعجزات خارقة للعادات،

---

(١) خواطر الشيخ الشعراوى (حديث فى التليفزيون) بتصرف..

فاحتاج الأمر إلى رؤية إيمانية وإلى قلب يرى، وأن تكون الرؤية متجددة مستمرة. فلم يقل له (هل رأيت) وإنما قال ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ حتى تظل تلك الرؤية الإيمانية متجددة له ولأتباعه على مدى العصور الدهور.

وكما علمت، فليست كل رؤية بصرية - حتى يقال ما أبصر - وإنما هناك رؤية علمية، تثبت فى معامل الاختبار بالتجارب ولا تثبت بالنظر، ورؤية إيمانية تختلف عن سابقتيها.

وهناك جزئية أخرى من الفهم الخاطئ لهذه السورة: زعم بعض المفسرين أن الذى فتك بجيش أبرهة إنما هم جراثيم وميكروبات أو وباء! بالتالي أنكروا المعجزة وأنكروا نزول طير أبابيل، أو حجارة من سجيل!!

وهذا جرم عظيم وخطأ جسيم، لأنه يخالف نص القرآن الصريح، ويتفق مع كلام المستشرقين القبيح، فهل يمكن أن يعبر عن الجراثيم والميكروبات بالطير الأبابيل، وأنها ترمى بحجارة من سجيل، فبأى أسلوب أو لغة؟ وهل يمكن لهذه الجراثيم والميكروبات أو ذلك الوباء أن يجعل الناس - فى لحظات - كعصف مأكول؟

أم أن الوباء أقصاه أن يموت الناس على أثره، وأما جعلهم كعصف مأكول فهذا يحتاج إلى مدة طويلة لقد أصبح جيش أبرهة وأفياله فى لحظات كعصف مأكول، فسبحان القوى القادر، والعظيم القاهر .

ثم لوكان الأمر كما زعموا فإن حادث الفيل وقد حدث فى العام الذى ولد فيه النبى ﷺ ثم بعث فى الأربعين من عمره وفى الناس من هو ابن

الخمسين أو الستين أو السبعين، يعنى رأى حادث الفيل يقينا، وكان يومها يعقل ذلك لبلوغه الحلم على الأقل وقد نزلت سورة الفيل وهى تحكي وقائع تلك المعجزة الباهرة والحدث العظيم، فلو أنه لم يحدث أن طيرًا نزل من السماء أو أنها تحمل حجارة من سجيل، أو أن أبرهة وجيشه وأفياله لم تصبح مطبوخة مطهية كعصف مأكول، لاستغلها المشركون فرصة وانتهزوها فى تكذيب النبى محمد ﷺ وقرآنه ودعوته، ولقالوا: كنا يومها من الأحياء، ولم نر شيئًا من ذلك، فهذا كذب ولكن هذا ما حدث، بل العكس هو الصحيح، وأقر كل من رأى الحادث بما جاء فى سورة الفيل، فالأمر إذا كان معجزة تحتاج إلى إيمان ولا تتوقف على علم، والله ناصر المظلوم، مهما كان ضعفه، وقاهر الظالم ومنتقم منه مهما كانت قوته.

والله تعالى أعلى وأعلم

﴿ فهرس الموضوعات ﴾

الموضوع	رقم الصفحة

